منشورات كلية الآداب والتربية
جامعة قاريونس - بنغازي

مجلة

كلية الآداب والتربية

العددان
21 - 22
2001-2000

جامعة بنغازي - كلية الآداب
مراجع مكتبة كلية الآداب

مجلة كلية الآداب

العددان 21 – 22

2000 – 2001 ف

مجلة كلية الآداب

العددان 21 – 22

2000 – 2001 ف

منشورات كلية الآداب

جامعة قاريونس – بنغازي

منشورات كلية الآداب
جامعة قاريونس - بنغازي

مجلة كلية الآداب
تأسست سنة 1958

أمين التحرير : أ . د . ميلاد أبو سلامة المقرحي (قسم التاريخ)
هيئة التحرير :
- د . عبدالله الطاهر مسعود ، (قسم الفلسفة)
- د . محمد عبدالله لامة ، (قسم الجغرافيا)
- د. عابدين الدردير الشريف ، (قسم الإعلام)
- مراجع عبدالقادر الطلحي (قسم اللغة العربية وآدابها)

الإشراف الفني : مصطفى فرج الفلاح
إدارة التعريب والنشر بالجامعة

مجلة كلية الآداب

مجلة علمية تهتم بنشر البحوث والدراسات الموثقة في مجال العلوم الإنسانية وتصدر مرة كل عام عن كلية الآداب ، جامعة قاريونس ، بنغازي ، ليبيا .

لاتعبر الآراء التي تنشر بالمجلة إلا عن رأي أصحابها ولا تمثل وجهات نظر هيئة التحرير أو الكلية .

المقالات التي ترد إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .

تحتفظ الكلية بجميع حقوق الطبع ولا يسمح بإعادة الطبع إلا بإذن مسبق .

جميع المراسلات ومواد التحرير ترسل إلى العنوان التالي :

مكتب مجلة كلية الآداب
كلية الآداب – جامعة قاريونس
بنغازي – ليبيا
(يرجى ارسال نسختين من كل مقال أو بحث)

هـ + بريد مصور : 061 / 2228824

البريد الإلكتروني : Art - Fact.@Lttnet.net

رؤساء تحرير مجلة كلية الآداب منذ تأسيسها في سنة 1958 حتى الآن

1 - د. مختار مصطفى بورو .
2 - د. سعيد الأفغانى .
3 - د. إدريس صالح الحرير .
4 - د. رجب مفتاح أبو دبوس .
5 - د. عقيل محمد البربار .
6 - د. ميلاد أبو سلامة المقرحى 1985 – 1993 .
7 - د. محمد محمد بالروين 1995 – 1996 .
8 - د. ميلاد أبو سلامة المقرحى بدءاً من 21 / 3 / 2000 ف .

محتويات العدد

شروط النشر فى المجلة
تقديم
الافتتاحية
1- الثورة الثقافية فى الصين 1965 – 1976 ، د. ميلاد أ . المقرحى — 15
2- الإبداع واتجاهات تفسير الفن: دراسة فى فلسفة الجمال، د. عبدالكريم هلال خالد — 31
3- أزمة الموضوعية فى علم الاجتماع ، د . عقيل نورى محمد — 51
4- أصول عربية محتملة لقصص وحكايات أسبانية ، د. عبدالله محمد الزيات — 69
5- عودٌ على بدْء ← مراجع عبدالقادر الطلحى — 85
6- التحليل المكانى لمشكلة التلوث البيئى بمدينة البيضاء وسبل معالجتها د. محمد العرفى وأبو بكر الصديق عبدالله — 111
7- الاهتمام الدولى بالبيئة ، د. محمد عبدالله لامه — 133
8- تأثير برنامجى تمرينات بنائية زوجية وفردية لتنمية بعض مكونات اللياقة البدنية للطالبات المكفوفات ، د. هانم حسن أحمد الكساب — 146
9- الرضا الوظيفى : مفهومه وطرق قياسه ، رمضان سعد كريم — 165

مراجعات وعرض الكتب

10- عرض ومراجعة لخمسة كتب فى التاريخ الأوروبى الحديث والمعاصر ، د. ميلاد المقرحى .. — 171
11- ترحال فى الصحراء تأليف ج . ريتشارد سن ، ترجمة الهادى م . أبو لقمة عرض ومراجعة عبدالله على الرحيبى — 178
12- التغييرات البيئية : جغرافية الزمن الرابع تأليف أندرو جودى ترجمة محمود محمد عاشور ، عرض ومراجعة ، د. محمد عبدالله لامه — 189
13- إصدارات جديدة — 193
14- كشاف للبحوث والمقالات التى نشرت بالمجلة من العدد 1 إلى العدد 20 إعداد : صالح احميده حويل — 195

شروط نشر المقالات والبحوث والدراسات فى مجلة كلية الآداب

أولاً : تهدف المجلة إلى نشر الأنماط التالية من البحوث والمقالات :

أ- بحث أو مقالة يعتمد أساساً على دراسة ميدانية أو وثائقية لم يسبق استخدامها من قبل أو دراسة قائمة على استعمال وثائق أو مخطوطات سبق استعمالها شريطة أن يتناولها الباحث بطريقة مغايرة تنجم عنها نتائج جديدة .

ب- بحث أو مقالة يعتمد على اقتراحات نظرية على أن تكون دراسة رائدة لم يسبق نشرها .

ج- ان الفرق بين البحث والمقال لدى مجلة كلية الآداب والتربية ينحصر فى تقييم هيئة التحرير للعناصر الأساسية الواردة فى كل بحث أو مقال :

أولاً : الأصالة فى البحث .

ثانياً : نوعية المصادر التى اعتمد عليها الكاتب فى حالة استخدام أية مصادر .

ثالثاً : حجم الدراسة ومدى الجهد الذى بذل فيها .

ثانياً : تطلب هئة التحرير من صاحب المادة المقدمة للنشر ما يلى :

1 - يجب أن يكتب عنوان البحث أو المقال على صفحة منفردة بوضوح بالإضافة إلى اسم الكاتب وعنوانه للمراسلة وبعض المعلومات الأساسية الأخرى كمكان العمل والبحوث التى قام بنشرها .

2 - أن يكون للبحث أو المقال مقدمة تثار فيها المشكلة الماثلة بوضوح وأن تطرح الإجابة فى متن البحث أو المقال بأسلوب منطقى سلس ، ومن ثم الوصول إلى نتيجة للقضية أو المسائل المطروحة .

3 - المجلة لا تنشر أى بحث أو مقال سبق نشره .

4 - يمكن نشر بحث أو مقال يعتمد كاتبه على مصادر ثانوية إذا ما جاء بفكرة جديدة لم يسبق طرحها أو نشرها .

5 - فيما يخص استعمال المصادر فإن سياسة هيئة تحرير المجلة تلزم المؤلف بأن يعطى الاقتباسات والتعليقات أرقاماً مسلسلة فى المتن وتلحق هوامش كل صفحة بآخرها ويكتب المؤلف الذى اقتبس منه ثلاثياً وعنوان المصدر والجزء إن وجد ومكان النشر والسنة وتاريخ النشر والصفحة أو الصفحات التى اقتبس منها .

6 - يصاحب كل بحث أو مقال مقدم للنشر ملخص قصير فى حدود المائة كلمة يبين فيه الكاتب الغرض من الدراسة وتحديد ابعاد المشكلة المطروحة بما فى ذلك ذكر بعض المعلومات عن طبيعة البيانات المستعملة وطريقة تحليلها وينبغى أن يشير هذا الملخص إلى النتائج العامة التى توصل إليها الكاتب .

7 - من سياسة مجلة كلية الآداب والتربية ان تحال المادة المقدمة للنشر إلى قارئين كحد أقصى لتقييمها وإذا ما نالت استحسان المقيمين فإنها تعاد إلى الكاتب لإبداء الرأى وإجراء التعديلات النهائية إذا تطلب الأمر ذلك قبل النشر .

8 - لهيئة التحرير الحق فى عدم نشر أى بحث أو مقال يتعارض مع هذه الشروط دون إبداء الأسباب .

تقديـــم

تميزت مجلة كلية الآداب منذ بداية صدورها بأصالة ما تنشره من بحوث ومقالات فى فروع العلوم الإنسانية المختلفة ، حتى أصبحت يُشار إليها بالبنان ، ويترقب صدورها الباحثون داخل الجماهيرية وخارجها ، إلا أن استمرار صدورها دورياً وبدون توقف كان حلماً لأساتذة هذه الكلية وهيئات تحرير المجلة لم يتحقق فى بعض السنوات لظروف اعتذر عنها المسؤولون بالكلية فى حينها .

وشعوراً من اللجنة الشعبية للكلية بأهمية هذه المجلة وما تقدمه من خدمة للعملية التعليمية وللباحثين فقد سارعت إلى إحيائها وكلفت هيئة تحرير جديدة مشهود لأمينها وأعضائها بالجد والعطاء ، وإننا إذ نكرر الاعتذار عن التأخر فى إصدار العددين .. نأمل أن يتصل عطاء هذه المجلة .. ونحن على ثقة بأن أساتذة الكلية والجامعة بشكل عام سيوفرون لها الزاد الطيب ..

وختاماً نشكر هيئات التحرير السابقة على ما قدموه ونتمنى لأسرة التحرير الجديدة كل توفيق ..

د. محمد المبروك الذويب
أمين اللجنة الشعبية للكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

صـــدر العدد الأول من مجلة كلية الآداب والتربية فى سنة 1377هـ - 1956م ، ولـــم يقـــيض للعدد الثانى منها أن ينشر إلا بعد عقد كامل من ظهور العدد الأول، وذلك سنة 1388هـــ - 1968 م . وقد اعتذر د. مختار مصطفى بورو عميد كلية الآداب يومئذ فى تقديمـــه للعـــدد الثانى عن طول الفاصل الزمنى بين صدور العددين مؤكداً أن الانقطاع كان ناجماً عن أسباب خارجة عن إرادة إدارة الكلية . وكان القائمون على تحرير المجلة فى ذلك الوقت يرغبون فى إصدارها سنوياً مؤقتاً ، إذ كان فى طموحهم إصدار أكثر من عدد كل سنة ، غـــير أن الـــنوايا الطيبة وحدها لا تصنع شيئاً ، فلم يطرد إصدار هذه المجلة سنوياً - بل إصدار أكثر من عدد كل عام - إلا فى فترات متفاوتة فبعد العدد الثامن الصادر سنة 1976 ف توقفـــت المجلة فلم يصدر العدد التاسع منها إلا فى سنة 1980ف ليكون فاتحة خير فقد تتابع إصدار أعدادهـــا حتى سنة 1989ف التى شهدت غيابها مرة أخرى بصـــدور العددين 17 - 18 (1988- 1989ف) ثـــم عاد فى سنة 1996ف بإصـــدار العددين 19 - 20 معا (1995 - 1996) ..

ومنذ ذلك التاريخ عادت المجلة إلى الاحتجاب حتى ظن الكثيرون أن بعثها من جديد ســـراب يلمحـــه الظمـــآن يتراقص من بعيد فيحسبه ماء .. ومع ذلك فإن مسيرة هذه المجلة العلمـــية الرائدة لا تعرف التوقف ، وإنما تحثُ خطاها نحو هدفها النبيل فى ثقة وتأنٍ ، تجابه العقبات ، وتتحدى الصعاب ليس فى معجمها ارتداد مؤذٍ على الذات يئدها .. فمن يئد إشعاع نـــور .. وإيمانـــاً من اللجنة الشعبية لكلية الآداب ممثلة فى أمينها د. محمد المبروك الذويب بأهمـــية هذا الرافد العلمى فى حياة المجتمع ومسيرته المتجددة أصدرت قرارها بتشكيل هيئة تحرير جديدة لمجلة كلية الآداب ..

وهيـــئة تحرير هذه المجلة لن تدخر وسعاً فى سبيل حمل الأمانة المنوطة بها ، وهى ليســـت فى حاجة إلى دعوة أساتذة الكلية أو الجامعة إلى تزويدها بأبحاثهم ، إذ ما إن علموا بعودة هذه المجلة إلى الصدور حتى انهمر سيل عطائهم العلمى ففاض عن قدرة المجلة على احتوائه فى عدد واحد ، لذا فإن هيئة التحرير لا تملك إلا أن تعتذر عن عدم تمكنها من نشر بعـــض الأبحاث والمقالات ، مع وعد منها بأنها ستنشر فى أعداد لاحقة ما تقر لجان التقويم صـــلاحيته للنشر ، آخذة فى الاعتبار أصالة البحث الذى يراعى المنهج العلمى القويم ، إذ لا تقـــبل للنشـــر مـــا سبق نشره فى أى صورة كانت ، كما لا تقبل الأبحاث المستلة من رسائل

الماجستير واطروحات الدكتوراه المنشورة وغير المنشورة . كما أن قدم العهد بالبحث حائل دون نشـــره ، إذ إن تطور الحياة السريع ، وسيل المعلومات المتدفق يجعل نتائجه غير ذات أهمية للقراء ..

هيئة تحرير المجلة

بنغازي في 23 / 7 / 2002 ف

الثورة الثقافية فى الصين
1965 -1976

د.ميلاد أ .المقرحى

ا ــ مقدمة

الحركة الثورية الصينية التي بدأت بتأسيس الحزب الشيوعي الصيني سنة 1921، ما كان لها أن تنتصـــر وتســـتمر إلا بقـــيادة ماوتسى تونج ، وثوريته غير المحدودة، وقيادته الصارمة، والحاجة إلى الوحدة والنظام وحرب التحرير ،كلها أدت إلى ، وساعدت على توحيد الحزب (والثورة والأمة حول ماوتسى تونج رمزا وعلى إبراز قيادته مصدرا للإبداع والحكمة) ولم تكـــن الـــثورة الصينية فى سنة 1949 نتاج ثورة تقليدية، وإنما كانت نتاج عقدين من الحرب الأهلـــية، حكـــم الجيش الأحمر خلالها أجزاء شاسعة من الصين. وبعد سنة 1949 حلق ماو عاليا فوق جميع زملائه الثوار، ومنذ ذلك الوقت أيضا كانت صورته تحتل مكان الصدارة فى المـــبانى العامة والشوارع والبيوت وتزين السيارات والشاحنات العسكرية . ومنذ سنة 1949 وحـــتى وفاتـــه في 1976 كان لماو تأثير لامثيل له على بلاده، وعلى كل الحركة الشيوعية الأممـــية ، وعلى العالم الثالث .ويعتبر ماو صاحب عبقرية وموهبة ومقدرة عظيمة فى تنظيم الجماهير وقيادتها.

وكانـــت أهـــم قضـــية واجهـــت حكومة الصين الثورية بعد سنة 1949 هي قضية الإصلاح الزراعـــي ولتنفيذ ذلك صدر قانون الإصلاح الزراعي في يونيو 1950 ووفقا له تمت عملية إعـــادة توزيع الأرض على الفلاحين.وفى سنة 1951 شهدت الصين حملات جماهيرية تمثلت فـــى مطـــاردة أعـــداء الثورة وحملات أخرى ضد البيروقراطية والفساد والإسراف والجنح الاقتصـــادية. وفـــى سنة 1952 زاد التأكيد على الحملة الاقتصادية وأعلنت الخطة الخمسية الأولى 1953ــ1957 وتم توجيه كل دعاية الحزب نحو زيادة الإنتاج. وبدءاً من أواخر سنة 1957 تدافعت الحملات الجماهيرية والأهداف الإنتاجية وأدت مباشرة إلى حملة القفزة الكبر ى إلى الإمام التي أعلن عنها رسميا فى مايو 1958. وكانت أحداث سنة 1958 كبيرة الأهمية، ففى هذه السنة حاولت الثورة الصينية أن تتطرف فى تطبيق التجربة الاشتراكية، وحل أسلوب مـــاو فـــى الـــتحريض والحث والدفع من الخارج محل المنطق والعقلانية والتطور التاريخي وشهدت هذه السنة أيضا حملة القفزة الكبرى إلى الإمام وإنشاء كوميونات الشعب.

---

* أستاذ التاريخ الحديث ، قسم التاريخ / كلية الآداب ، جامعة قاريونس ، بنغازي .

تجاهلت القفزة الكبرى إلى الإمام المعوقات المادية والتقنية، وأرادت بناء التقدم بالاعتماد علـــى إرادة الإنســـان أساسا، واستندت إلى استنفار اليد العاملة فى البلاد، الا أنها أثرت سلبيا علـــى الأحـــوال الاقتصادية فى البلاد، خاصة الزراعة والصناعة. أما نظام الكوميونات فهو نظـــام اجتماعـــي واقتصـــادي فرض على المواطنين الحياة الجماعية فى معسكرات من دون أملاك خاصة . فقد كان نظام الكوميون فى الصين يعنى خضوع حياة الناس للتنظيم الجماعى فى جميع مجالات الحياة . وقد اتسعت طموحات الزعامة الشيوعية إلى حد أنها غدت تسعى للـــتحول الـــى المجـــتمع الاشتراكى الكامل. وكان ماو يهدف إلى حل مشاكل الصين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى حملة جماهيرية واحدة، ومعالجة الركود والكساد الزراعـــي بالتعبـــئة الجماهـــيرية ونشر الكوميونات التى توفر اساسا للنمو الصناعى السريع حسب وجهة نظره.

ومـــن أجـــل تحويل الروح الثورية لدى الفلاحين إلى قوة مادية شن الحزب الشيوعى فى سنة 1958 حملة ضد الثقافة السائدة مطالبا بالأدب والفن من أجل الفلاحين والعمال واشترك الريف الصيني فى تحويل الروح الثورية إلى قوة مادية كبيرة تنشر الشيوعية إلى الملايين في الصـــين.ولكـــن حملـــة القفزة الكبرى إلى الأمام وإنشاء نظام الكوميونات تزامن مع الوقف المفاجئ للدعم السوفييتي يومئذ للصين سنة 1960. ومن أجل تفادى وقوع كارثة في الاقتصاد القومـــي تراجعت القيادة الشيوعية عن نظام الكوميونات ولكنها لم تعترف بفشله، وأدركت أن الفلاح لن يعمل دون حافز شخصي ولذلك لم تحاول التخلص من نظام قطع الأرض الخاصة ، وتمـــت ، الموافقة على عودة الفلاحين إلى أسلـــوب الزراعة الـــفردية[1].ومن ناحية أخرى بـــادر مـــاو إلى تنظيم حملات جديدة تركزت على تنقية المجتمع الصيني الذي اعتبر إقطاعيا ومتخلفا. وفى سبتمبر 1962 بدأت الحملة التربوية الاشتراكية التى هدفت إلى تطهير الفلاحين مـــن ميولهم الفردية الإقطاعية والرأسمالية. وبدءا من سنة 1963 شرعت القيادة في ترسيخ جديـــد للعقـــيدة فـــي صفوف الجيش الأحمر من خلال الكتاب/ الكتيب الأحمر الذي يتضمن مختارات من أقوال ماو. وفى كل الأحوال أصبح الطريق ممهداً لتفجير الثورة الثقافية .

ومـــن خـــلال مـــا أشـــرنا إلـــيه سابقا نرى أن ماوتسى تونج كان يرمى إلى ضمان اســـتمرارية الـــثورة من خلال تحقيق سلسلة من الانتفاضات الثورية المتعاقبة ويرى أنه لاشيء غير هذا يؤدى إلى استمرار النضال الثوري. ويعتبر ماو الصراع الطبقي أسلوبا قياسيا في الأيديولوجية الشيوعية لضمان برنامج ثوري مستمر. وعلى هذا الأساس يبدو

---

1 ــ لمـــزيد مـــن التفاصـــيل عـــن الـــثورة الصينية يمكن العودة إلى ميلاد أ . المقرحي تاريخ آسيا الحديث والمعاصر جـــ 1 شرق آسيا : الصين اليابان ، كوريا (بنغازي : منشورات جامعة قاريونس 1997) ص ص 129 ــ 143

أن الثورة الصينية آنذاك لم تكن تسعى إلى كفالة حالة من الاستقرار تنطلق في ظلها قوى الإنتاج لتحقيق الرخاء، لأن ماو كان يعتقد أن تحقيق النجاح يتم عن طريق توليد طاقات ديناميـة متصـلة الحلقـات ، أو من خلال إحداث موجات من الحركة ، الموجة تعقب الأخرى، وما الثورة الثقافية سوى موجة منها.

2 أصول الثورة الثقافية وبداياتها الأولى

تـرجع الـبدايات الأولـى للثورة الثقافية في الصين إلى يناير 1961 عندما كتب المؤرخ الروائـي يـوو ــ هان مسرحية بعنوان ((عزل هاى جوى)) نشرت في مجلة بكين للآداب والفـنون فى يناير 1961، تتحدث ظاهريا عن قصة موظف نزيه كان يخدم الدولة فى عصر إحـدى الأسرات الصينية الإمبراطورية القديمة ، عزله الإمبراطور لدفاعه عن الفلاحين ضد الطغـيان والظلـم والتعسـف. والأمر يتطلب فقط القليل من التخيل لنرى أن المؤلف يقصد بالإمـبراطور مـاو وبـالموظف المعزول بينج تا ــ هوى وزير الدفاع الذي عزله ماو من منصـبه فـى سنة 1959[2]. يكمن الغرض الحقيقي من هذه المسرحية، إذا، فى مهاجمة ماو لقيامه سنة 1959 بتصفية بعض عناصر الحزب وإبعادها وفى مقدمتها بينج تا ــ هوى. وقد اسـتمرت حملة مهاجمة ماو خلال السنوات 1961،1962،1963 ففي يونيو 1961 نشر يوو ــ هان قصة موظف حكومي في التاريخ الصيني القديم ظلمه القائم على السلطة آنذاك فعزله عـن منصبه ثم تبين له خطاه فعينه وزيراً للدفاع . وفى سنة 1962 نشر يوو ــ هان قصة رمزية أخرى تشير إلى سيرة قائد عسكري في تاريخ الصين القديم وقع ضحية اتهامات باطلة وجههـا إليه الإمبراطور. وفى هذه القصة أشار الكاتب إلى الانتكاسات التي يتكبدها أصحاب السـلطة لعـدم اهتمامهم بالمواقف الإيجابية وإهمالهم نصائح أصحاب التجارب والخبرة. وما كـان لهـذه الجماعة الجرأة على سلوك هذا السبيل لو لم تعتمد على تأييد شخصيات قوية فى الحزب الشيوعي الصينى.

وأيا كان الأمر فان ماو استجاب للتحدى وأعلن ، فى ديسمبر 1963، بداية خطة جماهيرية محورها أن على البلاد كلها وقيادات الحزب بالذات أن تتعلم من جيش التحرير الشعبي. كما أشار إلى أن الموتى لا يزالون يسيطرون على كثير من مجالات الفكر. وكان ماو يخشى على الـثورة من أن تفقد الحماسة لها بين الأجيال المقبلة بعد أن رأى بوادر الترهل وعدم الاندفاع بيـن الجيل الثانى للثورة، ومن مراهنة القوى الاستعمارية على ذوبان الثورة الاشتراكية عبر تـتابع الأجيال .ولم يرض ماو من وراء الثورة الثقافية بأقل من تجديد شباب ثورته الكبرى، وأن يسـتعيد لها الانفعال والنظام والحيوية والنشاط وهى السمات التي لازمتها طوال سنوات

---

2 ــ Kuang Huan Fang ed., The Ghinese Guitural Revoiution : Seieeted Documents (niew york , 1968) p . 199 .

النضال الثوري التي حفلت بالمتاعب والمصاعب والآلام . والدافع الكامن وراء الثورة الثقافية هو شعور الزعامة بالقلق الشديد من ضعف المبادئ الثورية بفعل المغريات المادية وهي كانت أساسا من تفكير ماو وحده ، وترجع إلى تلك المثالية التي تخيلها في ذهنه عن الثورة أثناء سنوات الإعداد للثورة التي اتسمت بكراهية المثقفين وموظفي الدولة والمدن . فالثورة الثقافية فرضت فرضنا من أعلى ، أي أن الزعامة وحدها هي التي نفخت في الرماد فأحالته ضراما . وأرادت بذلك مطاردة المناوئين للثورة وتدمير المعارضة. وانصب الغضب بصورة خاصة على المثقفين والقضاء على سلوكهم البورجوازي وانحرافهم عن الخط الاشتراكي الذى اختارته القيادة. ويكمن الهدف فى تحويل البلاد كلها إلى مدرسة كبيرة لفكر ماو ومضاعفة الجهود لتغيير أذهان ملايين الصينيين وعقولهم ، والحفاظ على مركز الصدارة للعقيدة واحترام العلم وضرورة أن يبقى العلم والإدارة تابعان لها. ومن أهدافها أيضا العمل على تحويل كل صينى إلى عامل يحضى بقدر كبير من الوعي الاجتماعي والثقافة الرفيعة.

وقد جمعت الصين بين الأيديولوجية الاشتراكية العالمية وبين الفكر التقدمي الثوري النابع من أعماق الريف والتراث الحضاري الصيني وهو فكر ماو. ويتسم نظام الحكم الشيوعى الصيني بالنزوع إلى الشك في الآخرين والاحساس بالاضطهاد والخوف منهم ، وبالتالى قام عبر السنين، بشن حملات داخلية على اليمنيين تارة واليساريين تارة أخرى، والتحريفيين في مناسبة، واتباع تشانج كاى تشيك في مناسبة أخرى ، والمثقفين في مناسبة ثالثة. والقيادة الشيوعية في الصين مولعة بتحطيم الناس ثم رد اعتبارهم وتكريمهم. فهناك من مشاهير الصينيين من كرمتهم الحكومة الشيوعية الثورية ثم عادت وحطمتهم، وهناك الكثير من المفكرين والعلماء الذين تعرضوا لحملات التشهير مرارا في الفترة التي تلت سنة 1952، ثم احتلوا مكانة رفيعة في النظام فيما بعد.

منذ يناير 1964 التفت ماو إلى الشباب وضرورة اعدادهم للمهمة القادمة ، وبدأ بتنظيم الخلايا الثورية سرا فى رابطة الشباب ذاتها. وفى يونيو 1964 حذر بل أنذر المثقفين بأنهم يتزلقون إلى حافة الانحراف التام عن الاشتراكية. وفى ديسمبر من السنة ذاتها ألقى تشوإن لاى ، رئيس الوزراء ، تقريرا استخدم فيه لأول مرة عبارة ((الثورة الثقافية)) وأشار إلى ضرورة إحداث تحول أساسي فى المجتمع. وفى اجتماع عقدته لجنة الحزب الشيوعي المركزية في سبتمبر 1965 أعطى ماو إشارة بداية الهجوم على ما أسماه بـ " الأيديولوجية البورجوازية الرجعية " . وهذا يعنى أن تجاوز آراء ماو في أوائل الستينات وقد استمر لفترة مؤقتة. وقبل أن تفتح المدارس والجامعات أبوابها بعد عطلة صيف سنة 1965 استطاع ماو أن يعبئ تأييدا كافيا لفكرته المتطرفة وهى إيقاف الدراسة لفترة من أجل إعادة تشكيل المدارس وإعادة صياغة المناهج. وكان ماو يرى ضرورة قضاء وقت أقل فى المدارس والجامعات، وضرورة ربط التعليم بالعمل الإنتاجي وأن ينتقل الإشراف على

المـــدارس من أصحاب المهن التعليمية المشكوك فى أمرهم إلى أيدى العمال والفلاحين ، أى يجب عدم السماح باستمرار سيطرة المفكرين البورجوازيين على التعليم وينبغى على الطلاب بالإضـــافة إلـــى الدراسة أن يتعلموا أشياء أخرى مثل الأمور العسكرية والأعمال الصناعية والحرف والزراعة، وعليهم أيضا أن يتعلموا انتقاد البورجوازية.

ويتمـــثل الهـــدف الـــتربوي عند ماو فى تكوين مجتمع لاطبقى يتم فيه توجيه الأفراد نحو مصـــلحة الجماعة وتحت شعار "اخدم الناس" أو "اخدم الشعب". ويمكن إيجاز استراتيجية ماو التربوية على النحو الآتي:

1ـ إعادة تربية المدرسين والمثقفين.

2ـ إتاحة فرص متساوية للالتحاق بالتعليم.

3ـ ضمان توجيه خبراء المستقبل نحو الصالح الجماعي.

4ـ إعادة صياغة المناهج وتعديلها.

5ـ الاتجاه نحو لامركزية إدارة التعليم وإلغاء الوزارات المركزية للتعليم العام والعالي.

6ـ وضع المدارس الابتدائية الريفية تحت إدارة فريق منتج بمعنى الاعتماد على الذات.

7ـ تقلـــيص مهنة التدريس والدور الأكاديمي فى قيادة المدارس والجماعات وإدارتها وتغيير القيادات التقليدية فى المؤسسات التعليمية [3].

ومنذ سنة 1965 قرر ماو ضرورة إرجاع الصين إلى عهد تسوده البساطة والخشونة والغليان الثوري الذي تميزت به بداية الثورة. وكانت الظروف الخارجية المتمثلة فى تدهور العلاقات مـــع الاتحـــاد السوفييتي يومئذ، واحتمالات الحرب مع الولايات المتحدة فى فيتنام ،وحوادث الحدود بين الصين والهند، وما ترتب على ذلك من تيارات واتجاهات صينية معارضة لسياسة ماو الخارجية والاقتصادية، وظهور فجوة بين المثقفين وسياسات الحزب، هذه التطورات كلها كانـــت من بين الأسباب التى دفعت ماو إلى التفكير فى التخطيط لعمل جديد يتغلب فيه أو به علـــى قوى المعارضة. وقد وجد ماو فى الثورة الثقافية المجال، وفى طلاب الجامعات الأداة ولا مفر من أن تؤثر الثورة الثقافية على أولئك الذين تؤثر أفكارهم فى عقول الشعب، وبالتالي تركز الهجوم على مؤلفي المسرح والسينما والشعراء والروائيين والمؤرخين ورؤساء تحرير الصحف والمجلات والمعلمين وأساتذة الجامعات ، وفى كلمات شاملة كل المشتغلين فى مجال الثقافة والفكر، وخاصة الأساتذة الذين يمجدون التعليم والتثقيف الأكاديمي، ولا يكترثون كثيراً بمـــبادىء الثورة وأهدافها الثورية.والهدف يكمن فى بناء نوع جديد من الناس بعقلية جديدة ، وأنماط جديدة. وقرر الزعيم ماو أن يتحقق ذلك على ثلاثة مستويات وهى على النحو الآتي:

اولا: إعادة صياغة أفكار الجماهير، وما التعليم الأكاديمي سواء جانب ثانوي فى التعليم العام

---

3 جـــوف فـــاي فليد " تطور السياسة التربوية في الصين الحديثة " ترجمة كمال توفيق الهلباوي مجاله رسالة الخليج العربي 16:8 (1985) 375 ــ 378 .

وتكمـــن أهم أهداف التثقيف الشيوعي فى تعليم الشعب حب الحياة الاجتماعية، وأن يعمل من أجـــل المصـــلحة العامة للوطن، ويتقبل التضحية بالمصالح الذاتية فى سبيل نجاح الثورة فى المدى البعيد .[4]

ثانياً: توجيه الجهود التعليمية نحو رفع مستوى شباب الأمة الصينية.

ثالـــثاً: معالجـــة أمـــراض المثقفيـــن وبخاصة كراهة المثقف للشيوعية وسلوكه البورجوازي المنحرف.

وفى منشور صدر فى 16 مايو سنة 1966 حذرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي من أن هناك قضايا غير الشؤون الثقافية تتطلب قيادة الأمة، وأعلنت البداية الرسمية للثورة الثقافية : ((لقـــد بدأ النضال الوطني ويجب أن تنصب الجهود لتصفية ممثلي البورجوازية الذين تسللوا إلى الحزب والحكومة والجيش وجميع مجالات الثقافة)) وتم اختيار ثلاث قواعد للثورة الثقافية وهـــى صـــحيفة العلم الأحمر وصحيفة جيش التحرير اليومية ومنظمة الحزب فى شنغهاى. وبلغـــت الثورة الثقافية ذروتها عندما هاجم طلاب جامعة بكين المسؤولين واتهموهم بمحاولة الحّـــد مـــن الـــنقد حفاظـــاً على النظام العام. وبدأت هذه المرحلة بنشر بيان علق على حائط بالجامعـــة شجب رئيس الجامعة والأمين الأول والثاني للحزب بالجامعة، وأعقب ذلك حملات نقـــد واســـعة ضـــد المسؤولين عن التعليم العالي. ثم سرعان ما امتدت حملة النقد إلى كبار الموظفيـــن فى المدارس والجامعات، ثم إلى المعلمين وأساتذة الجامعات. وترتب على ذلك أن عشـــرات من عمداء الكليات الجامعية والأساتذة فقدوا وظائفهم ومراكزهم العلمية .وكان على كثـــير مـــن المعلمين أن يكظموا غيظهم فى انتظار الفرصة المناسبة لردة الفعل ، ولكن تلك الفرصة لم تأت إلا بعد موت ماو فى خريف سنة 1976 ونهاية الثورة الثقافية.

3- الحرس الأحمر ودوره فى الثورة الثقافية.

مـــنذ ســـنة 1935 كان الحزب قاعدة سلطة ماو الوحيدة ومصدر السلطة ، ولكن بعد الثورة تبين لماو عدم استطاعته الاعتماد على الحزب اعتمادا تاما، كما كان الحال فى الماضى، فى تنفيذ برامجه الفكرية الثورية.فقد اعتقد ماو أن منظمات الحزب غدت غير فعالة بدرجة كافية بســـبب تأثير بعض المعارضين مثل ليوتشاوتشى [5]. وكان من الضرورى أن يتجه ماو نحو الشباب، ومن خلالهم وبهم نجح فى تأسيس منظمة الحرس الأحمر التى حصلت على الشرعية بوصفها منظمة ثورية من اللجنة المركزية للحزب فى أغسطس 1966.

---

4 ــ جون فاي فليد ، المرجع السابق ، 378 .

5 ــ ليوتشاوتشـــي (1898 ــ 1969) كـــان احـــد ابـــرز أعضـــاء الحزب الشيوعي الصيني وطوال خمس وعشرين سنة كان يعتبر خليفة ماو . وفي سنة 1968 ابعد عن جميع مناصب الحكومة والحزب .

تشـكلت اولى وحدات الحرس الأحمر فى سنة 1927 فى مقاطعة يّنان الشرقية. أما مصطلح الحـرس الأحمر فقد ظهر لأول مرة فى سنة 1960. وفى مايو 1966 تم تنظيم أول وحدات الحـرس الأحمـر بشكله الجديد، وكما أراد ماو، فى جامعة بكين، ثم انتشرت حركة تكوين الوحدات فى جميع أنحاء الجمهورية . وهكذا ظهرت قاعدة جديدة للسلطة يشن ماو من خلالها ثـورة عارمـة جديدة مليئة بالحيوية والنشاط والحماس الثوري. وقد أراد ماو تدعيم مركزه وزعامـته من خلال الحرس الأحمر الذى أصبح الآن الجهاز الثوري الجديد .وفى8 أغسطس 1966 عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اجتماعا وأصدرت بيانا تضمن النقاط الآتية:

اولا: استرداد الزعامة من أولئك القابعين داخل مكاتب الحزب ويمارسون سلطاتهم على البلاد بالرغم من انتهاجهم النهج الرأسمالي.

ثانيا: إيجاد جهاز جديد دائم فى شكل جماعات ولجان ومؤتمرات ثقافية ثورية فى كل مناحى الحياة المهنية تتولى تنفيذ فكرة الثورة الثقافية .

ثالثا : إن الثورة الثقافية ثورة عظيمة تمس أعمق ما فى ذات الإنسان وتمثل مرحلة جديدة أشد عمقا وأشد تحولاً في الثورة الاشتراكية فى الصين.

رابعـا :حددً البيان أهداف الثورة الثقافية فى سحق البورجوازية والرجعية، وإصلاح التربية والأدب والفن.

وفـى 1966/8/18 عقد الحرس الأحمر أولى اجتماعاته بميدان السلام السماوي فى بكين، وحضـر هذا الاجتماع ماو ولين بياو، وأصبح ماو نفسه رئيسا لمنظمة الحرس الأحمر التى كانت تتكون من طلاب تتروح أعمارهم بين15و25 سنة شريطة أن يكونوا من أبناء العمال والفلاحيـن والجـنود ومن أبناء شهداء الثورة وتولى الجيش مهمة تنظيم هذه الجماعات من شباب الحرس الأحمر وتزويدها بالملابس الرسمية (البدلة الزرقاء) والشعارات، وخصصت لهـم مراكـز تدريـب ونظموا على نمط فرق عسكرية لها شرطتها الخاصة.وأصبح شعار الحرس الأحمر : " تعلموا كيفية إشعال الثورات بإشعالها" كما رفع شعار تهديم الباليات الأربع وهـى : التقاليد القديمة ، والعادات القديمة، والأفكار القديمة والثقافة القديمة، وأن يحل محلها .فكـر مـاو. ولكن هذا لايعنى هدم كل ماهو قديم ولايعنى بالضرورة إلغاء التراث الصيني الفكري والعلمي.فالمقصود بالشعارات السابقة هو هدم كل مالا يتفق مع الفكر الاشتراكي الذى رآه ماو. أما التراث فيؤخذ منه ماهو نافع ويترك ماهو ضار. ومع ذلك فإن الثورة الثقافية قد ترتب عليها تحطيم الكثير من الأعمال الفنية القديمة فى المتاحف وحتى فى البيوت الخاصة.

وتنفيذا للثورة الثقافية بدأ شباب الحرس الأحمر فى اجتياح المدن والقرى حاملين دمى تمثل خصـوم مـاو وتهـتف ضدهم تكتسح بيوتهم، وتوجه إليهم الألفاظ البذئية النابية. واستخدام الحـرس الأحمـر أكثر من أسلوب لشرح فكر ماو، (واتخذ من الحزب والجامعة والمصنع والمـزرعة ميادين يمارس فيها نشاطه على هيئة حلقات دراسية لفكر ماو) وقراءات للكتاب

الأحمر الذى يحتوى على مقتطفات من أقوال الزعيم ماو، ومسيرات تطوف الشوارع، وتعليق اللافتات، والتنقل بالقطارات مجانا من مدينة إلى أخرى لنقل التجارب الثورية والهجوم على المعارضين علنا وتنظيم محاكمات لهم وممارسة النقد والنقد الذاتى فى جلسات علنية [6]. وهكذا تدفق شباب الحرس الأحمر على الدولة يهتفون بسقوط كبار قادة الحزب، ويرفعون شعارات متطرفة. ومن ناحية أخرى ازداد تأثير حركة الحرس الأحمر فى المدارس تدريجيا فى كل أنحاء البلاد. ففى كل يوم كان يتم تجميع الطلاب ويحاضر فيهم قادتهم عن مدى اعتماد ماو عليهم لإنقاذ الثورة.

ومن أجل أن يظهر الحرس الأحمر ولاءه لماو قام فى الفترة ما بين 8/18 و11/26/ 1966 بثمان مظاهرات عارمة فى بكين اشترك فيها ملايين الشباب بهدف لقاء ماو ، وقد يتحدث إليهم أولا يتحدث فى أكبر ميادين العاصمة اتساعا. ويبدو أن الحماس قد سيطر عليهم ولم يعد فى ذهنهم غير ماو وما قاله فى كتابه الأحمر. وفى هذا الصدد يورد ألبرتومورافيا فى كتابه: ثورة ماو الثقافية، حواراً أجراه هو شخصيا مع بعض شباب الأحمر، ظهر فيه أن الشباب يرون أن الثورة ثورتهم:وأنهم مع ماو ضد الجميع، وأنهم يقرأون ماو وليس ماركس، وأن إقفال الجامعات تم لإتاحة الفرصة لعقد الاجتماعات ولزيارة الزعيم ماو ولقائه ولإعادة تنظيم مناهج الدراسة[7] . ومن خلال الآراء التي أبداها الطلاب، فإن المرء لايتوقع أن تكون إجاباتهم بعيدة عما أدلوا به، وهو أمر يتفق تماما مع ما أراده ماو منهم. والواقع أن ماو قد حقق نجاحاً باهراً فى هذا الخصوص، وأصبحت سيطرته عليهم عارمة، كما أصبحوا أداة طيعة فى يده يوجههم حيث يريد [8].وكان الطلاب يرون أن فكرة الحرس من الشعب وليس من الحزب، وأن هدفهم يكمن فى حماية الزعيم ماو ضد حفنة سلكت السبيل الرأسمالى واتخذت طريق المعارضة لماو. (كما أعلنوا أنهم يطيعون ماو وليس الحزب، وأن ليوتشاوتشى يسير فى طريق الضلال) [9].ومن طريق هذه الملايين من التلاميذ والطلاب الذين جندهم، وجعلهم يعبدونه ويقدسونه تمكن ماو من القضاء على خصومه.

وقد أدت الحملات السياسية المكثفة الموجهة لتصحيح الفكر إلى إثارة الرعب والفوضى فى البلاد ووضعت الثورة الثقافية، فيما بعد، بأنها كانت كارثة كبرى وفوضى عارمة استمرت لمدة عشر سنوات ولكن الكثير من الكتاب الغربيين قد وقعوا فى خطأ فادح عندما وصفوا الحرس الأحمر بأنه مجموعة من المعربدين والمشاغبين غدوا يّسيطرون على شوارع المدن.

---

6 ــ عبدا لرحيم أحمد حسين " الثورة الثقافية في تاريخ الصين " مجلة عالم الفكر 1:19 (1988) 127 ــ 128 ، فؤاد محمد شبل حكمة الصين جـ 2 (القاهرة : دار المعارف 1968) 369 ــ 372 .

7 ــ ألبرتو مورافيا ثورة ماو الثقافية ترجمة وحيد نقاش (بيروت دار الأدب ، 1968) .

8 ــ ع . أ . حسين " الثورة الثقافية في تاريخ الصين " 128 .

9 ــ حسن صعب ثورة الطلاب في العالم (بيروت : دار العلم للملايين 1968) 92 .

فالحـــرس الأحمر فى الحقيقة، كان تجسيدا لسلطة ماو يستخدمه لترويع خصومه ومعارضيه، وكان أداة سياسية فعالة تستخدمها عبقرية أوتيت درجة كبيرة من قوة التصور والإبداع، فضلا عن كونه مدبرا فذا لأستثارة الحمية والثورة بين الشباب الذين لم يجابهوا أحداث الثورة مثلما جابهها ماو ورفاقه.

واســـتعدادا وتعمـــيقا للصراع ضد خصومه ابتكر ماو تدبيرا جديدا. فقد سرت فكرة دراسة آرائـــه فى صفوف الجنود وجميع المواطنين ، وأصبح كل فرد يحمل كتابا يحتوي على آراء واستشهادات من أقوال ماو. وفى كل أنحاء الصين كان الناس يقرأون الكتاب الأحمر فقد كان يقـــرأه ركـــاب السيارات العامة والحافلات والقطارات، والعمال فى المصانع والفلاحون فى الحقول والمزارع، وكان يُقرأ حتى فى أثناء تناول الوجبات الغذائية.وقد استنتج بعض الباحثين المتخصصـــين فى الشؤون الصينية من هذا الإجراء وغيره أن ماو كان مصابا بمرض جنون العظمـــة وجـــنون الاضطهاد أى جنون الارتياب وهى نزعة عند الأفراد والجماعات تجعلهم شـــديدي الشك والارتياب فى الآخرين. ومع ذلك فقد برهن ماو على أنه كان عبقريا استطاع أن يوجـــد جـــوا لا يجـــرأ أحد فى غماره على معارضة آرائه أو مناقشتها ومهما كانت شدة إجـــراءات التطهـــير وقســـوة الأساليب التى اتبعها الحرس الأحمر ، فلم تسفك دماء ولم تجر مذابح.

اســـتخدام ماو ضد خصومه الأساليب النفسية من خلال تدمير روحهم المعنوية، فيعجزون عـــن رفع أصواتهم ضده. ومثال ذلك إغراء أبنائهم بالتمرد عليهم لمخالفتهم آراءه. وقد تطور هـــذا الصـــراع أثـــناء هذه الفترة فى المدارس والجامعات بين مختلف فئات الحرس الأحمر. وأصـــبحت كـــل فئة من فئات الحرس الأحمر المتنافسة تصرّ على أنها تمثل الروح الحقيقية للماويـــة مما أدى إلى تدهور دور طلاب المدارس الثانوية والعليا الذين كانوا يشكلون غالبية أعضـــاء الحـــرس الأحمر. وبالتالي أتيحت الفرصة لطلاب الجامعات ليقوموا بدور أكبر فى الثورة الثقافية ، كما تحولت أيضا القيادة من الحرس الأحمر إلى المتمردين الثوار الذين فكروا الآن فـــى إقامـــة تحالف مع الفلاحين ، والعمال إلا أنهم اخفقوا فى تحقيق ذلك بسبب سلوك الحرس الأحمر السابق. وفى هذا الوقت اتجه ماو إلى الجيش الذى تحول إلى منظمة سياسية فعالة.

أمـــا حـــركة التطهير فقد تناولت أمين الحزب ورؤساء تحرير الصحف والكتاب والقائمين علـــى شـــؤون الدعايـــة، ومديري الإذاعات والمعلمين وأساتذة الجامعات ، إلا أنها لم تشمل ضـــابطا واحدا من ضابط الجيش أو مدير مصنع من المصانع. وفى الحقل الاقتصادي بالذات حاولـــت القيادة توفير الاستقرار في الحياة الاقتصادية، وكان هناك حرص على عدم المساس بالإنـــتاج، فقـــد أعلن تشو إن ــ لاى رئيس الوزراء، أن الإنتاج مقدس، وأمر افراد الحرس الأحمر بالابتعاد التام عن المزارع والمصانع ، كما طلب من الفلاحين والعمال عدم المشاركة

فى اجتماعات الحرس الأحمر، وأرسلت الحكومة فرقا من الحرس الأحمر لمساعدة الفلاحين فى حصد المحصول الزراعي. كما شكل الحزب والجيش لجانا لمراقبة أفراد الحرس الاحمر ومـنعه عن الاندفاع فى الطرق والمسالك التى تضر القضايا الوطنية. وفى هذه الفترة كانت الدراسـة لاتـزال متوقفة فى المدارس والجامعات وأعطى الطلاب الأجانب إجازة علم. أما الجـيش فكانت الروح الثورية تسوده بعد تصفية المنشقين فى سنة 1959 وبعد إجراء حركة تطهير شاملة فى سنة 1965، كما تم تعيين ضباط سياسيين كانت لهم الكلمة العليا فى شؤون الجـيش بأسره، وعليه صار الجيش منظمة سياسية فعالة كما سبق القول، بالرغم من أنها لم تصل إلى مستوى الحزب.

وفى ربيع 1967 غدت الصين في حالة فوضى بسبب نشاطات الحرس الأحمر والمتمردين الثوريين، وفقد النظام سيطرته ولكن ماو لم يتعاطف مع هذا التطرف، فقد كان يؤمن، لاريب، بالـثورة إلا أنه، في الوقت ذاته، كان يطالب بالانضباط والقيادة السليمة. وفى هذا الوقت كان علـى ماو أن يبحث عن وسائل جديدة لتحقيق ما يريد فاتجه إلى جيش التحرير الشعبى، فهو سـلطة ملتزمة بالثورة لا تنساق وراء السلوك غير المنظم وغير المنضبط. وهكذا أعيد تنظيم مجموعـة الثورة الثقافية في الجيش وأصبحت تشيانج تشينج، زوجة ماو ، مستشارة لها.ومن خـلال التسلسل المنطقى للأحداث يبدو أن ماو قد وقع تحت سيطرة زوجته وتأثيرها، الممثلة القديمـة التى قامت بدور مهم فى الثورة الثقافية منذ محاولاتها الأولى فى الهيمنة على مسرح بكين.

4ـ اللجان الثورية:

بعـد أن جـرب استخدام الحرس الأحمر فى تنفيذ منهاجه الفكرى غير ماو رأيه وفكر فى إنشاء جهاز جديد دائم فى شكل جماعات ولجان ومؤتمرات ثقافية ثورية فى جميع أنحاء البلاد لتـتولى تنفيذ فكرة الثورة الثقافية. وقد كان واضحاً تماما أن الطلاب كانوا يرون فى شخص مـاو بديلاً عن الحزب، وأن أفكاره هى الموجه لهم. ومن أجل أداء الهدف المنشود بكفاءة تم تشـكيل لجـان ثوريـة من بينهم تقوم بعمل اللجان الحزبية فى الوقت السابق للثورة الثقافية. وسرعان ما أصبحت اللجان الثورية هى الأداة التنفيذية والتنظيمية لتنفيذ سياسة الثورة الثقافية وبـرنامجها فى دحض المعارضين والبورجوازيين والبيروقراطيين. وقد استمر إنشاء اللجان الثورية ببطء بسبب صعوبة تحديد من يمثل المتمردين الثوار والكوادر الثورية. ولكن لم يأت شـهر سبتمبر 1967 حتى كانت هناك لجان ثورية في ستة أقاليم فى حين كان الجيش يحكم بشـكل مباشـر في 22 إقليما. وفيما بعد، عندما أنشئت اللجان الثورية في هذه الأقاليم كانت تخضـع بصـورة مباشرة لسيطرة الجيش. ومن ناحية أخرى لم يلغ ماو المؤسسات الحزبية العلـيا مـثل المكتـب السياسـي، واللجنة المركزية للحزب ، واللجنة السياسية التابعة للجنة المركـزية وهى أعلى المؤسسات التنفيذية الحزبية، بالرغم من أن هذه المؤسسات لم تمارس

أعمالها وفق التنظيم الحزبي.

وأثناء الثورة الثقافية تعرض كثير من أعضاء المؤسسات الحزبية ، كان من بينهم ليوتشاوتشى [10] رئيس الدولة، الذى أطيح به للنقد، وقد سبقت الإشارة إلى أن الحرس الأحمر قد اندفع بلا حدود فى مهاجمة أى شخص باستثناء الرئيس ماو. وفى فترة من الفترات تمتع الحرس الأحمر بنوع من الحصانة، ومنعت أى سلطة من التدخل فى نشاطه. وأعلن ماو " أن التمرد حق " وكان ماو يرى أن الاضطرابات ستؤدى إلى الفوضى ، إلا أنها ستحمس الجماهير وهو ماكان يريده [11]. ويبدو أن الأمور قد خرجت عن نطاق السيطرة فى حالات كثيرة ، ووقعت تصادمات بين الحرس الأحمر ومجموعات فى المصانع والريف مما اضطر ماو إلى استخدام الجيش فى إعادة السيطرة وفرض النظام، وأيضا إعادة الطلاب إلى مدارسهم وجامعاتهم.وظهر فى هذه الفترة تلاحم الطلاب مع الجيش والكوادر الحزبية الملتزمة بخط ماو، وفى حالات كثر تطاول الحرس الأحمر على كثير من المؤسسات العلمية والشخصيات الفنية والأدبية. ولكن ماو منع الطلاب من التعرض لعلماء الذرة مهما كانت هويتهم [12]. ففى ذروة الثورة الثقافية جرى تفجير القنبلة الهيدروجينية الصينية فى سنة 1967، وقبل ذلك فجرت الصين القنبلة الذرية فى 10/16/ 1964 وقد تعزز موقف ماو بعد تفجير القنبلة الذرية بجهد صيني ، مما جعله يدحض آراء القائلين بضرورة الاعتماد على الاتحاد السوفييتي آنذاك . كما يشير ذلك إلى صحة نظرية ماو في أهمية اعتماد الصين على نفسها أولاً في بناء قوتها وحضارتها . وهكذا برهن ماو على أنه كان واعياً لما يفعل وأن الثورة يجب أن لا تخرج عن الحدود المرسومة ، وأن المصلحة العليا للوطن ، حتى لو ارتبطت ، أحيانا ، بوجود البورجوازيين ، يجب أن لا تمس . والحق أن ماو هو الذي وضع الصين على خريطة العالم كدولة عظمى نووياً .

ومع ذلك فقد بلغت المعارضة ذروتها للثورة الثقافية حينما وصلت الأمور إلى الصدامات المسلحة بين مؤيديها ومنتقديها في يناير . ولكن هنا ومرة أخرى أثبت ماو وعيه عندما تدخل مباشرة ونجح في تهدئة الأمور وإعادتها إلى نصابها وجنب بلاده خطر اندلاع حرب أهلية . وفي أكتوبر 1968 أعلن ماو إنهاء عهد الفوضى الثورية ، كما أعلن في الوقت ذاته أن ثورته هذه لن تكون الأولى ولا الأخيرة محذراً كل من يحاول التطاول عليه أو على أفكاره الاشتراكية . وهكذا نجح ماو في تهدئة الأمور وإنهاء الفوضى التي قام بها الحرس الأحمر

---

10 ــ في سنة 1966 حل لين بياو محل ليوتشاوتشي وفي سنة 1968 طرد لوتشاوتشي رسميا من جميع مناصب الحكومة والحزب .

11 ــ ع . أ . حسين " الثورة الثقافية في تاريخ الصين " 128 .

12 ــ حسن صعب ثورة الطلاب في العالم ، 127 ، ميلاد أ . المقرحي موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر (فاليتا : منشورات دار ELGA 1999) 53 ــ 57 .

واللجـــان الـــثورية إلا أنه لم يعلن إنهاء الثورة الثقافية . وفي 24 / 4 / 1969 عقد مؤتمر الحزب التاسع وفيه تم انتخاب ماو قائداً ولين بياو الرجل الثاني بعده . وأظهر المؤتمر ولاءً مطلقـــاً لمـــاو ومـــنحه سلطاته كاملة وفق الدستور الذي صدر في تلك السنة . وبذلك أضفى الحـــزب صفة الشرعية على كل الممارسات السابقة . وتعد الفترة من مايو 1966 إلى أبريل 1969 المرحلة الأولى من مراحل الثورة الثقافية في تاريخ الصين الحديث.

ومـــن الناحـــية الـــنظرية يفـــترض أنه بعد أن أعاد ماو ترسيخ زعامته وسلطته وإقصاء معارضـــة السياسيين ومنتقديه ومن المثقفين ، وأخذ الشرعية لتصرفاته من مؤتمر الحزب ــ يفـــترض أن يعود الهدوء إلى البلاد ، وتركز الدولة على البناء الاقتصادي ، ولكن الأمور لم تستمر وفق هذا التوقع . فقد اتضح أن محاولات التطور للفكر الاشتراكي الصيني التي بدأها مـــاو لم تنته بعد . ومما زاد الأمور تعقيداً ظهور خلافات بين العناصر الجديدة التي تسلمت الســـلطة . وبدأ لين بياو ، الرجل الثاني في الدولة ، فى التآمر ضد ماو ، ووصل الأمر إلى حدّ اتهامه بمحاولة تدبير انقلاب عسكري ضد ماو في سنة 1970 ــ 1971 . ولكن المحاولة أخفقت وانتهى مصيره بين إشاعات القتل أو الانتحار ، ومات في حادث طائرة في منغوليا في ســـبتمبر 1971 في محاولة هروب مزعومة إلى روسيا . وترك لين بياو مكانه لتشو إن لآي ليشرف على الأعمال اليومية للجنة المركزية للحزب التي تدير شؤون الدولة . واستطاع تشو إن لآي أن يـــنجو مـــن أثر التطاول والنقد أثناء الثورة الثقافية ، واستطاع أيضا أن لا يكون محســـوباً علـــى أي فـــئة متـــنازعة . وقد حاول تشو إن لآي أن يقترح على ماو القيام بنقد الأيديولوجـــية اليســـارية المتطرفة ، ولكن ماو رفض هذا الاقتراح ورأى ضرورة أن تستمر الـــثورة فـــي معارضة اليمين المتطرف . وربما كان قصد ماو في هذه المرحلة هو الجماعة المهتمة بتوجهاتها نحو الولايات المتحدة الأمريكية علنا وهي مجموعة زهاو آن لى .

ولجـــأ مـــاو إلـــى المؤتمـــر العاشر للحزب الشيوعي الصيني سنة 1974 الذي أيد قرارات المؤتمر التاسع سنة 1969 المؤيدة للثورة الثقافية . وبعد هذا المؤتمر ظهرت قيادات جديدة في أعلى سلطة سياسية في البلاد وهي المكتب السياسي التابع للجنة المركزية للحزب . واســـتطاعت مجموعة ما عرف بعصابة الأربعة [13] أن تصل إلى المكتب السياسي المكون مـــن عشـــرين شخصا فضلا عن ستة أعضاء تنتخبهم اللجنة المركزية للحزب . ومع ظهور عصابة الأربعة وإبعاد لين بياو وزهاو آن لي بدأ ما يمكن أن نسميه بالفترة الثالثة من الثورة الثقافية التي أرادها ماو ضد اليمين المتطرف ، والتي تواصلت حتى موته في سبتمبر 1976

تمادت عصابة الأربعة في عمليات الدحض فضلا عن التحقيق والتصفية اللذين لحقا بكـــل من أتهم بعلاقة مع لين بياو . كما وجهت اتهامها إلى رئيس الوزراء السيد تشو إن ــ لاي ، وهو أمر رأي فيه ماو محاولة لاغتصاب سلطة رئيس الوزراء ووجه إليهم نقداً قاسياً .

---

13 ــ وهم تشيانج تشينج زوجة ماو ، وشانج شون شياو ، ووانج هونج ــ وين ا ياو وين يوان .

وبالـرغم من أن العصابة قد أخفقت في الإساءة إلى تشو إن ــ لاي ، فإن المرض قد أقعده وتخلـى عـن منصبه سنة 1975 ، وحلّ محله تينج هسياو بينج Teng Hsia - ping الذي تحمـل مسـؤولية الإشراف على الأعمال اليومية للجنة المركزية للحزب . وإذا كانت بعض الممارسات الخاطئة التي صاحبت الثورة الثقافية في بداياتها الأولى تبرر بأنها كانت ضرورية لحماسـة الجماهـير ، فإن الممارسات التي بدأت تقوم بها عِصابة الأربعة لم يعد لها مبرر ، وكانت تتسّم بالمصالح الشخصية والمواقف الانتهازية .

وقـد تـزعم تـنج هسياو بينج الاتجاه الذي يدعو إلى إصلاح الأخطاء الماضية ، وعقدت عدة اجتماعات مهمة مدنية وعسكرية لحل المشكلات التي ظهرت في مختلف مناحي الحياة ، خاصة المشاكل الزراعية والصناعية . وكان تفكيره ينبع من الواقع الذي كانت البلاد تعيشـه . ويـبدو أنه لم يكن مقتنعاً بما كانت عصابة الأربعة تطرحه بخصوص وجود يمين متطرف في البلاد . وفي هذا الوقت (1974) كان ماو نفسه يتطلع إلى استقرار الدولة بعد ثمانـي سنوات من الثورة . ولكن عِصابة الأربعة لم تفضل ذلك ، واستطاعت أن تؤثر على ماو ودفعته إلى دحض تنج هسياو يينج [14] على أساس أنه كان تحريفياً يمينياً . وترتب على ذلـك نهاية فترة الاستقرار النسبي في الصين وإعادتها إلى الفوضى من جديد وغدت عصابة الأربعـة هـي المحركة للأحداث وليس ماو ــ كما اصبح الجيش بعيدا عن الخلافات ، في حين انزوت الصحافة وطلاب الجامعات أيضا .

5 ــ نهاية الثورة الثقافية

فـي يـناير 1976 مات تشو إن ــ لأي وتبع وفاته حادث عرف باسم حادث ميدان السـلام السماوي عندما عارضت عِصابة الأربعة الحداد على رئيس الوزراء الراحل ووافقت على ذلك أغلب قيادات الحزب وقمعت المظاهرات الضخمة التي تجمعت لهذا الغرض بالعنف . وأدى ذلـك إلـى وضـع العِصابة في مواجهة نقمة الجماهير التي كانت تكن كل الاحترام لرئـيس الـوزراء الراحل ، وفي مواجهة كثير من الحزبيين الذين تعاطفوا معه . ويعد هذا الحـادث نقطة تحوّل في تاريخ الصين المعاصر ، حيث إنه كان بداية النهاية لعِصابة الأربعة . فبعد أن تدهورت صحة ماو ومات في 9 / 9 / 1976 ، حاولت العِصابة أن تتسلم السلطة ، ولكن المكتب السياسي للجنة المركزية كان لها بالمرصاد ، وقام هوا كو- فينج Hua Kua Feng - بـدور أساسـي فـي هـذا الصدد . وقدمت عِصابة الأربعة ومعها مؤيدوها إلى المحاكمـة ، ولـم يشفع لها تأييد ماو قبل وفاته . وبذلك انتهت الثورة الثقافية التي دامت نحو عشر سنوات ، وبدأت القيادة الجماعية الرباعية تمارس مهامها . [15]

---

14 ــ تحت تأثير عصابة الأربعة ابعد تينج هسياو بينج عن منصبة بأمر من ماو .

15 ــ خيري عزيز " ماوتسى تونج ومسيرة الثورة الصينية " مجلة الطليعة 12:10 (أكتوبر ، 1976) 149 ــ 151 .

وبعـد موت ماو كان لابد من تعديل الاتجاه ، وأصبح هوا كو ـ فينج نائب الرئيس الأول للجنة المركزية للحزب ورئيسا لمجلس الوزراء في وقت واحد . وركز المؤتمر الحادي عشـر للحزب سنة 1977 في مناقشاته على الاستقرار والوحدة في البلاد . ويعد ذلك إشارة ضـمنية تعنـي أن الصين قد تعرضت للفوضى وخطر التفكك أثناء الثورة الثقافية . وبسبب التغيرات في الزعامة بعد سنة 1976 حدث تحول كبير عن القيم ومن ثمة عن سياسات الثورة الثقافية ، وظهر شجب عميق للفترة 1965 – 1976 . وتشير الانتقادات الرسمية الحالية إلى التحطـيم الذي منيت به الأمة بسبب نتائج الثورة الثقافية التي أدت إلى عداوة واسعة النطاق للـثقافة والمثقفيـن . وبعد سنة 1976 تم التعبير عن الصفة الجديدة المتميزة لما بعد الثورة الثقافية في التعليم في سنة 1977 من طريق ظهور ملصقات تحمل شعار " احترام المعلم " في المـدارس والأماكـن العامـة ، كما استعاد مكتب التعليم سلطاته خاصة (فيما يتعلق بتعيين المعلميـن ، وحلـت اللجان الثورية ، وأعيدت امتحانات القبول بالجامعات) في صيف سنة 1979 وأيضـا الدرجات الأكاديمية في الجامعات . وفي سنة 1978 قررت اللجنة المركزية للحـزب بداية ما يعرف بثورة التحديثات الأربعة وهي تحديث الزراعة ، والصناعة ، والعلم والتقنية ، والدفاع ، وهي سياسة انطلقت من قلب القيادة الشيوعية الصينية . [16]

6 ـ خاتمة

تتمـيز الثورة الثقافية في الصين باستمرارها فترة طويلة من الزمن وتركيزها على المثقفيـن والحـزب والحكومة الجيش ، كما اتسّمت بالمغالاة في تمجيد آراء ماو . وكان فكر الثورة الصينية يهدف إلى الصراع ويدعو إليه : الصراع بين العقيدة والخبرة ، بين أهل الثقة وأهـل المعـرفة ، بين المثالية والواقعية . وتبلور الهدف من الثورة الثقافية في القضاء على الانحـرافات بين المثقفين وخاصة داخل الحزب . وشملت حملة النقد والسياسي رئيس الدولة ليوتشاوتشـي ، ووزيـر الدفـاع ليـن بياو وعضو اللجنة المركزية للحزب تنج هسياو بينج ومحافظ بكين.. الخ . كما اشتمل التطاول ثمانية نواب لرئيس الحكومة وعشرين وزيرا ونائب وزير ، وأغلب هؤلاء ، إن لم يكن كلهم ، إما أعضاء في الحزب الشيوعي الحاكم أو مؤيدين له ، وكانت كتابات ليوتشاوتش تأتي في المرتبة الثانية بعد كتابات ماو نفسه .

وعلـى المسـتوى الثقافـي شملت حملة الدحض يوو ـ هان مؤلف المسرحية التي فجـرت الـثورة الثقافية ، وماو تون Mao Tun الكاتب الصيني المعروف ومؤلف قصة " منتصف الليل " نموذجا للأدب الصيني الحديث ، والشاعر أي شنج الذي عانى الكثير ما بين سـنة 1957 و 1976 . وأتهمه رئيس معهد الموسيقا في مدينة شنغهاي بأنه يسمع الجمهور سـيمفونيات حزيـنة تبث في نفوس الناس روح القنوط واليأس ، وأعدمت الموسيقية زهانج

16 ـ أنور عبدالملك ، تغيير العالم (الكويت : عالم المعرفة ، 1985) 94 .

زهـــي شن سنة 1975 . كما تم دحض الكثير من أساتذة الجامعات ، وتشير بعض المصادر إلـــى إعـــدام اعـــداد منهم لا سيما في جامعة بكين التي تعرض فيها من 73 إلى 90 أستاذا لحملات النقد .

وقـــد كان الهدف الأساسي من الثورة الثقافية هو مواصلة الثورة في ظل دكتاتورية البروليـــتاريا . وما هدف إليه ماو من جعل الشباب يأخذون دورهم في الثورة الثقافية ، ولكن أهداف ماو التي تحقق الجزء الأكبر منها مع نهاية سنة 1966 ، لم تستمر أهدافا للثورة . فقد ظهر لين بياو وجماعته ، ثم عِصابة الأربعة ومؤيديها ، وانحرفت الثورة عن هدفها المرسوم لهـــا . ولم يعد تثوير الأجيال وتجديد الثورة هدفا بقدر ما أصبح تحقيق الطموحات الشخصية في الاستيلاء على السلطة هو الهدف الأساسي ، وخاصة خلال فترة تدهور صحة ماو . ولم تلجـــأ مجموعـــة عِصـــابة الأربعة إلى العنف أو استخدام الجيش في إحداث انقلاب عسكري حفاظـــا على وحدة البلاد ، وبقى الجيش بعيدا عن الصراعات الداخلية ، وهو أمر تميزت به الصـــين منذ سنة 1949 عن غيرها في أغلب بلدان العالم الثالث التي حصلت على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية .

وخلاصـــة القـــول لقد كانت أهداف الثورة الثقافية بالنسبة للبعض بمثابة حلم المدينة الفاضلة الذي لا يمكن تحقيقه نظرا لأن تلك الأهداف كانت تحلق في سماء الطبيعة البشرية . وانـــتقد الكثيرون توقيت الثورة الثقافية على أساس أنه غير مناسب للمرحلة الحالية ، أي في ذلك الوقت من التطور الاشتراكي وأشار آخرون إلى إخفاق زعماء الثورة في إدراك الارتباط بيـــن طبيعة النظم التربوية وما يترتب عليها من فشل في التأثير على التغيرات الأساسية في الـــنظام الاقتصـــادي والسياسي الضروري لبقاء الابتكارات التعليمية . ومع ذلك فإن الثورة الثقافـــية قامت بردة فعل متميزة للدفاع عن الهوية الصينية الثقافية والتاريخية لمقاومة التزمت الاستعماري الغربي الذي يريد أن يفرض ثقافته الاستهلاكية وقانون السوق بما فيه من شراهة

لاستغلال العالم بأسره . ويمكن أن نستنبط أن ما حدث كان وراءه حافز سياسي داخل الصين وخارجها ، وخاصة علاقة الصين بالاتحاد السوفييتي آنذاك ، ووجهة نظر ماو حول ما حدث فيه بعد سنة 1956 عندما جرى الحط من قدر ستالين ووضع تاريخه في زاوية الإهمال . ولم تكن الثورة الثقافية حدثا عارضا في تاريخ الصين بل كانت مثار جدل ونقد ، واستمر الموقف الحزبي تجاهها في التأرجح حتى سنة 1984 عندما أعلن رسميا عن رفضها نهائيا .

الإبداع واتجاهات تفسير الفن :
دراسة فى فلسفة الجمال

د : عبد الكريم هلال خالد *

أولاً :إشكالية الإبداع الفنى :

تتميز عملية تفسير الفن ، أو تقييم الإبداع بصعوبة بالغة ، حيث تقوم هذه العملية على عدد هائل من الآراء التى أدلى بها الفلاسفة والمفكرون ، أو الفنانون والأدباء والنقاد على امتداد التاريخ البشرى .

ويشكل القدر الكبير والمتشعب من هذه الآراء الجزء الأول من المشكلة ، فقد عرف عن إدراك الجمال أو شرحه أو التعبير عنه عدم الخضوع لقواعد أو معايير ثابتة .

وتتسع دائرة النسبية والتمايز حول المعيار الذوقى بين الأفراد والجماعات ، فلا يحتم هذا المجال أى اتفاق إلا بالمصادفة أو بالمشاركة فى ظروف معينة .

وعلى أية حال ، فإنه لايفترض ذلك مطلقاً ، حيث كان اتفاق الذوق الجمالي على مستوى المجتمع الواحد ، كما هو بالنسبة للمجتمعات القومية ، خاضعاً لجوانب متعددة سوف نتعرض لها فيما بعد .

وعلى هذا يمكن التسليم بتفاوت الآراء وتعددها حيال الفن انطلاقاً من الفرد المتلقى ، إلى من يمارس عملية الإبداع ، وحتى الذين يفسرونها أو ينتقدونها ، فهؤلاء ينطلقون من معاييرهم ، أو قناعتهم الخاصة أحياناً ، ومن حصيلتهم الثقافية التى قد تكون متفاوتة فى أحيان أخرى ، وهذه الحصيلة تنبع بالنسبة للإدراك الجمالي من إدراك حسي ، أو نتيجة لتأثر وجداني أو عاطفي فى الغالب .

وهذا الحس الذى تقوم عليه عملية تذوق الأعمال الفنية تجمع الآراء على أنه خصوصي وذاتى على أبعد حد ، إلى جانب كونه صعب التحديد ، ولذلك اختلفت التفسيرات حوله ، فنجد الذى يرجعه إلى البيئة الطبيعية أو إلى القوة الخفية ، كما نجد من يرجعه إلى طفولة الفرد أو شخصيته عموماً ، أو إلى مجتمعه وثقافته ، أو إلى تنشئة الأفراد والظروف التى يتعرض لها كل واحد منهم على حدة ، وكذلك إلى علاقات العمل ، ثم التدريب والتمرس وإلى الصفات البدنية والقدرات الخارقة .. وغيرها .

وكل هذه الآراء وغيرها مما يبدو متعارضاً أو متوافقاً استوعبها الفن ووضعت إطاراً نظرياً له ، بالرغم من أنها لم تكن مغلقة ونهائية ، حيث بدت ــ على اتساعها ــ ضئيلة وناقصة ،

---

* عضو هيأة التدريس بقسم التفسير ، كلية الآداب ، جامعة قاريونس .

إلى جانب قوة الفنى والجمالى ورحابته بما جعل هذا الميدان مهيئاً لتقبل المزيد .

القسم الآخر من الصعوبة التى تحيط بعملية الإبداع أو تلقيه يعود إلى مضمون الفن نفسه . فهو موضوع شائك ومعقد ، تشترك فى إخراجه عدة مقومات ، حتى إننا لانستطيع ــ فى كثير من الأحيان ــ أن نعرف لماذا يكون هذا الشيء أو العمل جميلاً .

وإذا ماأمكننا ذلك فإن الأمر لاينطبق على سواه إلا نادراً ، بل لانعرف أحياناً إذا كان حكمنا يعود إلى تلاءم الشيء مع ذواتنا ، أو إلى عناصره فى حالة كونه منفصلاً عنا .

كما أن علم الجمال قد تعرض فيما مضى لانتماءات وتوجهات أقحمت عليه ، وأثرت فى مسيرته ، كإدخاله فى خضم الصراعات الأيديولوجية السياسية أو الاقتصادية ، أو إعطائه أدواراً لاتتناسب مع وظيفته فى تلك الصراعات ، مما أدى إلى اضطراب معاييره وانحراف مساراته .

هذه المفارقات وغيرها تبدو صعوبات حقيقية فى مجال الفن أو الإدراك الجمالى له ، إذ إن التذوق يكون على مستوى الفرد خاضعاً لعوامل نفسية وفردية ، وعلى مستوى المجتمع الواحد تشترك عدة عوامل ، وتتشابك فى بلورة الذوق العام لذلك المجتمع .

وهذه العوامل جميعها تتراوح بين التاريخى والثقافى أو العقائدى وغير ذلك من الظروف التى تصوغ الوحدة الفكرية والروحية ، وعلى مستوى المدارس والانتماءات يحتدم الصراع حول وضع الكيفية المناسبة للابتكار والتلقى لموضوعات الفن وأشكاله ، كما أن جزءاً من هذا يتجه نحو إيجاد معيار ثابت تجتمع حوله ، أو تتفق عليه كل الأذواق فى كل مكان .

ومع الجهود المبذولة على كل هذه الأصعدة ، تظل تلك الصعوبات قائمة بمستوياتها المختلفة بسبب طبيعة التذوق الفنى ومشكلاته التى تقوم وتنمو وفقاً لتطلع مثالى وحر اتسم به الفن ، وهو السبب نفسه الذى جعل الكتابات الحديثة والمعاصرة تحرص على وضع هذه الاشكاليات فى مقدمة اهتمامها .

يقول جورج سانتيانا فى ذلك : " هذا الاتساع المثالى للقدرة الإنسانية لاينزع إذن إلى إيجاد معيار واحد للجمال ، فمعايير الجمال تظل تعبر عن عادات حسية وخيالية مختلفة "[1] .

ولايتوقف ذلك ــ بطبيعة الحال ــ عند الفرد أو المجتمع ، بل يشمل جميع الحالات التى تتطلب أحكاماً حولها ، مما جعل نظرية واحدة ، أو عدداً من النظريات المرحلية عاجزة تماماً عن إيجاد تفسير كامل لإشكالية التذوق الفنى .

وقد توصل " توماس مونرو " الباحث الكبير فى هذا الميدان إلى النتيجة ذاتها ، حين صرح بأنه (لا النظرية التطورية ولا نظرية الدور ولا النظرية الماركسية ولا أية نظرية جمالية أخرى فى التاريخ بكافية لتفسير الحقائق) .

ويؤكد أن الأمر الأكثر معقولية فى هذا الشأن هو معالجة الموضوع " بطريقة تعددية " مع تشديده على الجوانب البيئية [2] .

---

1 ــ ج سانتيانا : الإحساس بالجمال ــ ترجمة : محمد مصطفى بدوى ــ المكتبة الأنجلو مصرية ــ القاهرة ، (بدون تاريخ) ص153 .

2)ــ توماس مونرو : التطور فى الفنون ــ ترجمة : عبد العزيز جاويد وآخرون ــ الهيأة العامة للكتاب ــ القاهرة ــ 1972 ــ ج3 ــ ص484 .

وقـد نشأت هذه الصعوبات النظرية أساساً من الاختلافات فى الذوق بين الناس والشعوب والبيـئات ، لكن السبب الرئيسى لها هو هذه العلاقة الغامضة التى تربطنا بالعمل الفنى ، ولا نكاد نحدد ملامحها ، بالرغم من سيطرتها علينا .

ويحصـر أ . ف جاريت فى كتابه " فلسفة الجمال " جوهر المشكلة فى الحالة التى تترتب عليها إدراكاتنا الجمالية الكامنة من ميلنا الطبيعى إلى الأشياء : " فحين نعتقد الجمال فى شىء مـن الأشـياء وجـب أن نكون على صواب فى هذا الرأى " مع أن هذا الميل الطبيعى أو الإحساس يتضمن كذلك افتراضاً بأن يكون خطأ .

ولايكون الجمال ــ بناء على ذلك ــ مجرد موافقة أو استحسان ، لكنه أكثر تعقيداً من هذا الأمـر ، وإلـى الحـد الذى يجعل من المعرفة وتداعى المعلومات والعادات العقلية " عوامل مؤثرة فى الجمال[3] .

إن الصـعوبات التى تكتنف الفن ، كعلاقة بين الإدراكات الحسية وموضوعات خارجية ، تشـمل أيضاً الكيفية أو المنهجية التى عولجت بها محتوياته ورموزه فى التاريخ ، كما تشمل أيضاً الأحكام المتعلقة بقيمة الأعمال الفنية وسخاء العملية الإبداعية فى كل عصر .

ولايوجد حول ذلك رأى حاسم ، بل ربما أدى الاتساع فى محيط الخلافات بين المعايير الفنية إلى تعذر البت فى هذا الأمر ، أو فك النزاع حول القضية التى مفادها : " أى من الفنانين هم العظمـاء وأى الأعمال الفنية هى العظيمة حقاً " بوصفها قضية أولية وأساسية فى الموضوع بأسره[3] .

فالنسـبية هـى الشىء المميز الوحيد فى الآراء حول الفن دائماً ، لكن هذه النسبية لاتقف عـند ذاتهـا ، وإنما تعنى من جانب آخر ، تفضيل ذوق على ذوق ، وهذا بدوره مثار للجدل الذى أوجد نمطاً من الصراع المألوف بين الأذواق والمدارس الفنية ، ثم أدى إلى اتساع دائرة الـنقد ، وتضمنها عديداً من المفاهيم المتعارضة ، فأصبح علم الجمال ميداناً للصراعات التى لايمـتلك أى طرف منها الأدلة الكافية ، أو كما قيل عنه : " أما الجمال فيبدو من الممكن أن نختصم فيه ، ولكن من المستحيل أن نقيم عليه الدليل "[4]

ولاينفى هذا وجود الصفة المشتركة لكل الموضوعات الجمالية أو لمفهوم الجمال عموماً ، فـى حين أن ذلك يعد إشكالاً جديداً لاتقل صعوبته عما يحيط بهذا الموضوع من صعوبات ، فهـذه الصفة (أو السمة المشتركة) تشبه اللون المميز لعدد من الأشياء ، بالرغم من وجوده بمثابة عامل مشترك بينها ، إلا أنه لايمكن تحليله[5] ، وبالإضافة إلى ذلك فإن لفظة (جميل) تستعمل فى الغالب دون تحديد واضح أو بمعان شتى .

ويتضـح لـنا مدى مجانيتها للصواب عند تفكيرنا فيها ، ومثال ذلك وصفنـا لـ (جرعة مـاء) بأنهـا جميلة حين نعنى أنها " روية أو ممتعة "[6] . وينطبق هذا المثل على كثير من

---

3) ــ أ . ف . جاريـت ــ فلسـفة الجمـال ــ تـرجمة : عـبد الحميد يونس وآخرون ــ دار الفكر العربى ــ القاهـرة ــ د. ت. ص80 .

3 ــ توماس مونرو ــ التطور فى الفنون ــ ص140 .

4 ــ أ . ف . جاريت ــ فلسفة الجمال ــ ص11 .

5) ــ المرجع السابق ــ ص14 .

6) ــ المرجع السابق ــ ص17 .

الاســتخدامات لهــذه اللفظة فى حياتنا اليومية ، مما أدى إلى تحقيق فاعلية الآراء الشخصية بوصفها إحدى المصادر التى يعتد بها فى إطار الأحكام الذوقية ، على الأقل بالنسبة للمتذوق الفــرد ، أو فيما يتعلق بعمل بذاته ، حيث إن الموقف هنا ــ وهو وليد اللحظة وفى مواجهة الموضوع مباشرة ــ لايقبل المناقشة أو لايكون مضطراً لها .

ولهذا كله تعددت الأحكام ، وكانت من القوة بحيث ظلت يصادم بعضها بعضاً عبر تاريخ النقد الجمالى ، وتفرض مبرراتها على النقاد والفلاسفة ، حيث أدى بأهم الدراسات النقدية ــ كالدراسة التى قام بها جيروم ستولنتيز فى النقد الفنى ــ إلى استخلاص قضية هى أنه : " فى تقديــر الفن ، فلا نجد شيئاً سوى الآراء الشخصية ، ولايمكن تقديم أسباب ، بل لا حاجة إلى تقديم أسباب فرأى كل شخص هو فى حدوده الخاصة ، نهائى ، حاسم " [7].

وحين يختلف اثنان حول حكم معين فلا سبيل إلى تفضيل أى من رأيهما إلا إذا استندنا إلى قــيمة عامة مرجعها إلى الموضوع الذى اختلفنا حوله ، فيكون المخطىء هو ذلك الذى يعزو إلى العمل صفة لايملكها هذا العمل .

ويمكــن ــ وفقاً لهذه القاعدة ــ أن نحدد الذوق السليم بأنه القدرة التى نتمكن بموجبها من إدراك القيمة الجمالية " عندما تكون موجودة فى موضوع ما " وعلى العكس من ذلك يكون " الذوق الفاسد " سمة لفاقد هذه الامكانية [8]

وحتى هذا المستوى من التحليل لايخرجنا من دائرة النسبية ، كما هو معروف عن إدراك القيم ، ولاسيما القيم الجمالية .

لكــن الباحث هنا ينقلنا إلى نسبية أخرى هى النسبية الموضوعية التى يتلخص موقفها فى النظرية الموضوعية القائمة على " الاعتقاد السائد فى موقفنا الطبيعى ، بأن حكم القيمة يشير إلــى الموضــوع الذى يحتم ــ هو أيضاً ــ أن تكون القيمة نسبية ، وليست مطلقة ، أى أنها ترتــبط بالــتجربة الإنسانية" وإذن فعلى الرغم من أننا نعزو القيمة إلى العمل فإننا لانستطيع اختيار الحكم عن طريق الاختبار الموضوعى للعمل فحسب . وإذن فالنسبى يهيب بالاستجابة الجمالية "[9]

إن النسبية التى يقوم عليها الحكم الجمالى ــ فيما يخص القيمة أو الموضوع ــ تجعل من النقد أمراً ممكنا خصوصاً فى الاتجاه الذى تخوض فيه هذه الدراسة ، ولكن الحكم الشمولى ، أو الصورة الكمالية لهذا الحكم هدف مستحيل فى حالة تناول الموضوعات الجمالية ، والاتفاق علــى الموضوع الفنى ــ حتى فى البيئة الواحدة أو المجتمع الواحد ــ أمر مؤقت لايلبث أن يتلاشى بفعل التغير الزمنى أو بفعل الظروف الحياتية .

ولكن علم الجمال ــ مع كل ماذكر ــ قد وجد بالفعل متمثلاً فى التراث النقدى الكبير ، وفى آراء الفلاســفة ، وبفضــل الجهــود الــتى بذلت لتوجيه الدراسات حوله وبلورته ، وتقسيم الاتجاهــات والأدوار ، أصبحت له مسارات ومدارس معروفة بغض النظر عن النتائج التى

---

7)ــ جــيروم ســتولنيتز ــ الــنقد الفنى ــ دراسة جمالية وفلسفية ــ ترجمة : فؤاد زكريا ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ 1981 ــ ص587 .

8) ــ المرجع السابق ــ ص591 .

9)ــ المرجع السابق ــ ص635 .

تصل إليها عمليات التفسير وفقاً لتلك المسارات والمدارس .

ولكـــنها ــ مع ذلك ــ تقوم على تصنيف الحجج والآراء المتوافقة ، والمتباينة ، وتاطيرها بما يعرف فى تاريخ الفلسفة أو الفكر بفلسفة الجمال ، أو النقد ، أو فيما يمكن أن نعده ــ على ســبيل الــتجاوز ــ الــنظرية الجمالية ، بالرغم من تلك النسبية أو الغموض المسيطر على مجمل الفن ، كما أشرنا فى الفقرة السابقة ، ويمكننا ــ بناء على ذلك ــ التطرق إلى مراحل علم الجمال من خلال الحقب التاريخية للحضارة الإنسانية .

وقد ميز دنيس هويسمان فى كتابه " الاستيطيقا " بين ثلاثة أدوار ازدهر فيها علم الجمال ، أولهـــا : " العصـــر الدجماطيقى " الذى يمثل ــ من وجهة نظره مرحلة المحاولات الأولى ، ويمتد من سقراط إلى بومجارتن ، وبعد أن تجاوز هذه المرحلة ــ كما يجب ــ شهد " عصراً نقديـــا " يمـــثله كـــانط KANT وأتباعه ، ثم نضج واكتمل فى أقل من مائة عام (1750 : 1850) أدرك بعدهـــا سن الرشد وأصبح ثابتاً مطمئناً ، فى حين يعد عصرنا الحالى امتداداً للعصـــر الوضعى ، حيث أصبح علم الجمال " أبعد مايكون عن الاضمحلال بل هو فى تمام الازدهار "[10].

هذا الرأى هو أحد الآراء المهمة فى هذا الاتجاه المؤرخ لعلم الجمال ، وهو يختصر العديد من وجهات النظر الأخرى التى تعتمد على هذا النوع من التقسيمات ، لا لعلم الجمال وحده ، وإنما لكثير من مجالات العلوم والمعرفة فى فروعها المختلفة .

والأهم من هذا ــ بالنسبة لعلم الجمال بالذات ــ أو بالنظر إلى طبيعة مشكلاته التى عرضنا لهـــا هو تصنيفه على نظريات واتجاهات تحتوى على الرصيد التاريخى الكبير من الآراء بعـــد إعـــادة ترتيبها حسب طبيعة كل منها وانتمائه ، وحسب السمة المشتركة بين ممثليه .. وفيما يلى عرض موجز لهذه الاتجاهات :

ثانياً : النظريات والاتجاهات المفسرة للفن

ــ مفهوم العبقرية الملهمة فى الإبداع :

تمـــتد الأفكار الرئيسية لهذا الاتجاه من الحقبة اليونانية فى عهد أفلاطون وأرسطو ، بل لقد وجدت بالفعل عند كل من هوميروس ، وهيراقليطس ، غير أن جذورها ــ بوصفها نظرية أو اتجاهـــاً ــ تنســـب إلى أفلاطون مؤسسها الأول الذى عبر عن وجهة نظره المحددة لذلك من خـــلال عـــدد مـــن محاوراتـــه ، أهمها ــ فيما يتعلق بهذا الأمر ــ محاورة : فايدروس عن الجمـــال ، ومحاورة أيون عن الإلياذة ، ففى فايدروس ــ وهى أكثر التزاماً بموضوعات الفن والجمـــال ــ يوصـــف الإدراك الجمـــالى بأنه نوع من الهوس ، وينسبه إلى " زيوس " الإله الـــيونانى الأكبر[11] ، ويجعل الشعر وحياً من ربات الشعر أو إلهاماً من بنات الآلهة[12]، كما

---

10) ــ هويســـمان دنيس ــ علم الجمال " الاستطيقيا " ــ ترجمة : أميرة حلمى مطر ــ دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة ــ ص .

11) ــ أفلاطون / فايدروس ــ ترجمة : أميرة حلمى مطر ــ ص78 ــ فقرة 249 .

12) ــ المرجع السابق ــ ص105 ــ فقرة 265 .

وصف المعرفة الخاصة بالجمال بأنها " شعور غامض من الرهبة القديمة "[3] . وخلاصة القول بالنسبة لأفلاطون أن الفن ــ أيا كان ــ مصدره إلهام أو وحى من ربات الفنون أو الآلهة عموما .

أما الفنان فهو إنسان مميز بما وهبته هذه الآلهة من قدرة الأخذ عنها والتعبير بملكة الإلهام والعبقرية . ولم يقتصر ذلك على أفلاطون ، كما لم يتوقف عند العصر اليونانى ، فعند العرب أيضا ارتبطت كلمة " عبقرى " بمفهوم شبيه بهذا المفهوم من حيث نسبته إلى قوة مجهولة ، تتجاوز طاقة الإنسان .

وبالإضافة إلى ماعرف عن " شيطان الشعر " الذى يأتى للبعض فى ظروف غامضة ، ليوحى إليهم بأشعارهم التى يبدعونها ، فقد ورد نقلا عن " لسان العرب " أن لفظ " عبقر " أطلق على موقع فى البادية العربية قيل إنه موطن للجن ، وتضمن ذلك المثل المشهور " كأنهم جن عبقر " ونقل عن ابن الأثير قوله :" عبقر قرية تسكنها الجن فيما زعموا ، فكلما رأوا شيئا فائقا غريبا مما يصعب عمله ويدق ، أو شيئا عظيما فى نفسه نسبوه إليها : فقالوا عبقرى "[1] .

وقد لازم هذا التصور العملية الإبداعية فى مراحل عديدة ، وحتى عهد قريب يؤرخ له بالقرن التاسع عشر ، حينما تمثل ذلك فى تيار نظرى ميتافيزيقى يؤمن أنصاره بوجود مصدر آخر أعلى لمفهوم الإبداع يتجاوز به ــ من وجهة النظر تلك ــ الواقع المحسوس ، ويشبه هذا الرأى نظرية أفلاطون فى الإلهام التى وضع أساسها قبل الميلاد بقرون .

ومن أولئك الذين تبنوا هذه الوجهة ، مفكرون متميزون أمثال فيكتور كوزان ، ولافيه وجبريل ساى ، وإتين سوريو ، وتولستوى ورسكن[2] ، وكروتشى الذى يرى أن الفن ليس سوى إلهام[3] .

وهذه الآراء وغيرها ــ مما هى على شاكلتها ــ تضفى على الإبداع سمة التقديس ، وتحيله إلى قوى خفية، أو أنها لاتقدم له تفسيرا كاملا أو واضحا .

وهناك وجهات نظر كثيرة من هذا النوع ، منها مفهوم الحدس عند كروتشه ، أو اعتبار الشعور الجمالى غريزة إنسانية كما هو لدى رسكن الذى يذكر أن هذه الغريزة تنقل عن " جمال الطبيعة الإلهى " .

ويعتنق هذه الآراء أيضا عدد من المبدعين الذين اشتهروا بإبداعاتهم الخالدة ، فمثلا يذكر لامارتن أنه " لايفكر على الإطلاق وإنما أفكاره هى التى تفكر له "[4] .

---

3 ــ المرجع نفسه ــ ص79 ــ فقرة 201 .

1 ــ جاء ذلك فى مقدمة العدد 176 من عالم المعرفة الذى يحمل عنوان " العبقرية والإبداع والقيادة " ــ المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ــ الكويت ــ تأليف : دين كيث سايمنتن ــ ترجمة : شاكر عبد الحميد ــ أغسطس 1993 ــ ص7 .

2 ــ أبو ريان ــ فلسفة الجمال ــ ص51 ، 52 .

ــ 3CROCE (BENDETTO) THE ESSEN OF AESTHEICS, WIIIAM, HEINEMANN. LINDON, 1921. P. 8 .

4 ــ أبو ريان ــ فلسفة الجمال (المرجع السابق) ــ ص147 .

ويعترف جيته بأنه لم يبذل أى جهد عند كتابته لام فارنر سوى الإنصات إلى باطنه ، أما شوبان فيقال عنه إنه يبدع بصورة تلقائية ، وإن الإلهام يأتيه بصورة فجائية ، ودون توقع منه ، وقال كولردج أنه كان " يكتب أثناء نومه كما لو كان مسحوراً "[5] .

وينطبق هذا على آراء المبدعين الرومانتيكيين جميعاً ، كقول نيتشه " إن الإلهام ضرب من السكر والنشوة والتخدير " ، أو كما تخيل بتهوفن " أنه يسمع الله يهمس فى أذنيه " ، وقد ذكر عن شلتوبريان قوله " إننى لأستلقى على سريرى ، وأغمض عينى تماماً ، ولاأقوم بأى مجهود ، بل أدع التأثيرات تتتابع مافوق شاشة عقلى ، دون أن أتدخل فى مجراها على الإطلاق "[1] .

وكل ذلك إلى جانب تناول الأحلام فى الحركة الرومانتيكية بوصفها فاعلاً حقيقياً ومؤثراً قوياً فى العملية الإبداعية لدى العباقرة والمفكرين الكبار[2] .

والمهم فى هذا الاتجاه أنه يلغى أى فعل للعقل فى الفن ، كما يتمثل هذا فى أغلب الآراء التى يقوم عليها ، ولايفسر الإبداع بالنظر إلى الإلهام والعبقرية سوى اللحظات التى يعلن عنها روادها على أنها فجائية ، لاتخضع لقانون محدد ، فهى كالحلم أو الخيال أو الحدس .. وغير ذلك من المفاهيم الغامضة التى لاتجد لها تفسيراً فى الواقع الإنسانى .

ب ــ المسار العقلى فى تفسير الظاهرة الفنية

فى مقابل نظرية الإلهام والعبقرية المشار إليهما ظهر اتجاه آخر يستند فى مقومات وجوده إلى الواقع من ناحية ، وإلى الإنسانية الإبداعية من ناحية أخرى ، هو الاتجاه العقلى ، أو النظرية العقلية كما تسمى فى بيان ترتيبها بالنسبة للاتجاهات الأخرى[1] ، وهى تقوم أساساً على الفكر والتأمل الواعى المتزن . وقد جاء هذا الاتجاه موازياً لحركة التطور التى أرسى دعائمها العقل فى كل المجالات ، وأخضعت الدراسات الجمالية كذلك للمعيار العقلى ، وبعد تغلب هذا الطابع على الاتجاهات الحديثة والمعاصرة بأكملها ، التى تتصور أن كل شىء لابد أن يقع تحت سيطرة العقل . ويأتى فى مقدمة ذلك آراء الفلاسفة والمفكرين الذين وضعوا أركان الفكر الحديث ، أمثال كانط وهيجل ، وقدر هائل من المفكرين والمبدعين فى عصر النهضة ، ومأأدلى به نقاد هذه الفترة من ملاحظات وتوجهات لترجيح كل ماهو عقلى ، ثم ماتلا ذلك من تيارات فكرية تسير فى الاتجاه نفسه . ولايزال حتى يومنا هذا ينظر إلى أى منهج عقلى ، أو التزام بشروطه ، على أنه تجاوز حقيقى لمراحل الركود والتخلف ، وأن ذلك يرمز إلى التطور والثورة على الموروث والقديم . ولقد بلغ الأمر بهذا الاتجاه إلى حد وصف ماكان يعد إلهاماً أو وحياً معجزاً للإنسان بأنه ليس إلا نتاجاً عقلياً ، وأن مايعرف باللاوعى ليس إلا خلاصة للفكر الواعى الطويل والمضنى . وتتكون حصيلة الفن ــ فى خلاصة هذه

---

5 ــ المرجع السابق ــ ص148 .

1 ــ على عبد المعطى ــ فلسفة الفن ــ ص30 .

2 ــ المرجع السابق ــ ص31 .

1 ــ المرجع السابق ــ ص39 .

الآراء ــ بصورة تدريجية حتى تصبح الأفكار المتعلقة بها رصيداً حقيقياً لعملية الإبداع . وتقوم هذه العملية إذا ردت لمصادرها الفعلية على نتائج الدراسة والتحصيل الدائبين للفنان ، أو المبدع ، وليست مجرد عمل إبداعى تلقائى[2] .

وقد برز فى بداية القرن التاسع عشر أقوى هذه التيارات الممثلة لهذا الاتجاه من خلال النظرية " الشكلية " المتأثرة بكانط ، وممن صاغوا هذا التوجه كان ج . ف . هيربارت الذى ذكر فى كتابه " مدخل إلى فلسفة تطبيقية عامة " عام 1808 : " إن الشكل يكون ذا قيمة ، بقدر مايتلاءم مع ظروف الخلق الفنى التى تختلف من فن إلى آخر " انطلاقاً من الإيمان بأن " جمالية عقلية يجب أن تنحصر فى دراسة الشكل "[3] ، ثم تعمق هذا المسار العقلى للشكل الجمالى بعد ذلك ، على مدى القرن التاسع عشر ، بفضل تلاميذ هيربارت[1] ، ولم يكن ذلك سوى أحد الاهتمامات التى اعتمدت فى تفسير الفن والجمال على المقاييس العقلية والخبرة العملية .

وأخذت الآراء تتركز فى هذا الجانب ، وتقيم الدراسات على أساس ارتباط الإبداع بالتجارب العقلية والخبرات المكتسبة ، على شاكلة الدراسة التى قدمها جون ديوى فى كتابه " الفن خبرة "[2] ، أو فلسفة آلن Alain التى تقوم على أن الفنان : " إنما هو صانع Artisan قبل أن يكون فناناً Artiste [3] .

ويتفق هذا الرأى مع توجهات أبرز المدارس الحديثة والمعاصرة ، كالوجودية التى تحصر الإبداع فى علاقة الإنسان بوجوده وبالآخر ، أو الماركسية التى تربطه بالعمل وعلاقاته المتجددة . وفى هذا الإطار يذكر جوزيف كونراد Joseph Conrad فى مقدمة روايته " جندى النارسيسوس (النرجس) عن مهمة الفنان بأنها " محاولة تتسم بالإصرار الكامل من أجل إعطاء الكون المنظور أعلى حق له ، عن طريق إلقاء الضوء على الحقيقة الكثيرة والواحدة ، الكامنة من وراء كل مظهر له ، فهى محاولة للاهتداء إلى ماهو باق وأساسى ، إذن فالفنان ــ شأنه شأن المفكر أو العالم ــ ينشد الحقيقة[4] .

وتتصف الموضوعات الجمالية ــ طبقاً للنظرية العقلية ــ بأنها " إمكان " أو " قدرة " على إحداث تجارب لها قيمة باطنة ، فالقيمة الجمالية ــ من وجهة نظر " النقد الفنى " ــ هى سمة " علائقية Relational " تشير من جانب آخر إلى التجربة الجمالية[5] .

وهكذا فإن المضمون الجمالى أو حتى الشكل الجمالى ، لايعد غامضاً أو مجهول المصدر ، بل يملك أساساً عقلياً وهدفاً رسم وخطط له من قبل الفنان المفكر ، وفى ذلك يقول هربرت ماركيوز : " يسعنا مؤقتاً تعريف الشكل الجمالى بأنه نتيجة تحويل مضمون معطى (واقعة حاضرة أو تاريخية شخصية أو اجتماعية) إلى كلية مكتفية بذاتها :

---

2 ــ المرجع السابق ــ ص40 : 41 .
3 ــ أندريه ريشارد ــ النقد الجمالى ــ ص181 .

1 ــ المرجع السابق ــ ص182 : 183 .
2 ــ زكريا إبراهيم ــ فلسفة الفن فى الفكر المعاصر ــ ص101 : 102 .
3 ــ المرجع السابق ــ ص135 .
4 ــ جيروم ستولينر ــ النقد الفنى ــ ص455 ــ نص منقول عن جوزيف كونراد .
5 ــ المرجع السابق ــ ص636 .

قصيـــدة ، مسرحية ، رواية ... الخ "[6] . وسواء أكنا ننظر فى تلك الواقعة إلى المضمون أم إلـــى شـــكلها الفـــنى ، فـــإن الأمر لايتعدى فعل العقل فى التاريخ ، أو الواقع ، أو التجربة الإنسانيـــة ، وإعادة صياغة كل ذلك فينا ، وبهذا يأتى دور المهارة أو الصنعة الفنية بوصفها صـــورة من صور إضفاء العقلية العملية على واقعنا من خلال الإبداع ، الذى يحتاج إلى هذه المهـــارة ، أو مايسميه البعض بـــ " التقنية " ، إذ لايمكن بدون هذه التقنية أو بقدر منها على الأقل إنجاز أى عمل فنى[1] . لكن الفن هنا ـــ بوصفه خاضعاً للتجربة والمهارة ـــ يمزج بين الجوانب الفكرية والانفعالات ليكون أكثر شمولية للتجربة الإنسانية ومضمون الخيال ، ويكون الفنان هو من استوعب كل جوانب هذه التجربة من ناحية انفعالاته هو ، ثم من خلال معرفته للعـــالم مـــن حوله ، فتحقق لديه ـــ إثر هذا ـــ القدرة الإبداعية الكامنة فى شمولية تخيلاته أو تصـــوراته الذاتية[2] . ومايقوم به الشاعر ـــ على سبيل المثال ـــ ليس أكثر من " خلط الفكر ذاته فى الانفعالات " ليكون العمل الفنى بذلك الخيال والفكر معاً[3] .

وهـــذه التجربة ، التى يمكن جعلها تجربة خيالية ـــ من بعض النواحى ـــ هى حتماً تجربة حســـية ، لكـــنها " رفعت إلى المستوى الخيالى بواسطة فعل الوعى " ،أى أنها بمعنى آخر " عبارة عن تجربة حسية بالإضافة إلى الوعى بهذه التجربة "[4] . وذلك فى النهاية هو المنهج الذى يمكن أن يسلكه النقد ، من الحسى إلى الخيالى ، ثم الوعى والإدراك بالمضمون الحاضر فى الفن كتلاءم بين مارسمه الخيال وماحققته التجربة .

هـــذه الرؤية ليست منسجمة دائماً ، من جهة أنها تحقيق للتصالح بين الإنسان وواقعه من خـــلال الإبداع الفنى ، ولكنها جاءت فى بعض التيارات المعاصرة ـــ وعلى وجه الخصوص فى الوجودية ـــ شكلاً من أشكال التمرد ، فالفنان يدرك الواقع ويستوعبه ، لاليحيله إلى خياله فـــى صياغات فنية فحسب ، وإنما ليعيد تشكيله وفقاً لإرادته الحرة والمتمردة على ذلك الواقع المأساوى المفروض عليه ، وكانت الرؤية الوجودية ـــ فى الأدب مثلاً ـــ تنطوى على كشف لمأساة الإنسان فى مواجهة زيف هذا العالم ، كما بدا لها .

وقـــد عـــنى الأدب الوجودى ـــ لاسيما عند سارتر بتعرية الطبيعة العبثية ، واللاعقلانية للإنسان[5] .

أمـــا البير كامى فيربط بين الإبداع والتمرد ، أى أن الفن ـــ من وجهة نظره ـــ يجب أن يســـهم فـــى تغيير العالم ، إنه على الإنسان أن "يعيد تشكيل العالم وصياغته من خلال عمله الفـــنى ، أو بمعـــنى آخر : على الفنان المتمرد أن يحاول فرض شكل فنى منظم ، أو صورة معقولـــة علـــى العالم[1] ، وعلى ذلك يكون الفنان صانعاً للعالم الذى يريده ، لا الذى يفرض

---

6 ـــ هربرت ماركيوز ـــ البعد الجمالى ـــ ص19 .

1 ـــ روبيـــن جـــورج كولـــنجورد ـــ مبادىء الفن ـــ ترجمة : أحمد حمدى محمود ـــ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـــ القاهرة ـــ 1966 ت ص37 .

2 ـــ المرجع السابق ـــ ص362 .

3 ـــ المرجع نفسه ـــ ص367 .

4 ـــ المرجع نفسه ـــ ص380 .

5 ـــ محمـــد زكى العشماوى ـــ فلسفة الجمال فى الفكر المعاصر ـــ دار النهضة العربية ـــ بيروت ـــ 1981 ـــ ص202 : 203 .

1 ـــ المرجع السابق ـــ ص207 .

عليـــه ، ويتحقق هذا بكامل وعيه وفكره .

إن مضمون الوجهة العقلية فى الفن يتلخص فى موقفها الثابت تجاه العبقرية الفنية بوصفها غير متعارضة مع العقل ، بل تقرر أن الفن لايصدر إلا عن العقل الناضج المستنير[2] . وقد ترتـــب علـــى هـــذا كثـــير من المناحى التجريبية التى تعتمد على القواعد العلمية المتبعة فى المجـــالات الأخـــرى غير الفن ، على غرار الأسلوب الذى اتبعه فخنر Gustar Thedor Fechner (1801 : 180) حيـــن استخدم الاستقراء للكشف عن الجمال انطلاقا من وحدات الجمال الجزئية المحسوسة[3] .

ويلخـــص فان جوخ هذا الموقف فى النص التالى : " إن العملية الإبداعية فضلاً عن أنها تقوم على حصيلة ضخمة من الخبرة الطويلة والعمل المضنى والدراسة المستمرة هى أدوات الإبداع ، إلا أن تمام العمل الفنى واستيضاح أمره لايمكن أن يتحقق مقدماً ، بل لابد من الأداء أو التنفيذ ، إذ هو المحك الأول لكل فكرة فنية"[4] .

وســـواء أكان الأمر يتعلق بالعملية الإبداعية أم بالكشف عنها ، فإن المعيار فى هذا الاتجاه يـــأتى من العقل دائما ، ولعل أوضح تعبير عن هذه النظرية مايمثله الفرنسى هنرى بركسون h. Bergson (1809 : 1941) ، وبعـــض الوجوديـــن الآخرين فى مفهوم الجهد العقلى leffort intellectuel الذى ينتهى إلى أن أى إبداع أو ابتكار ينتج بالضرورة عن جهد عقلى بـــالغ ، يصـــحبه التوتر والقلق واستخدام كل الإمكانات العقلية ، ويكون الناتج عملاً إبداعيا يـــتحقق مـــن خـــلال المثال الذى كان المبدع يضعه نصب عينيه أثناء عملية التفكير والخلق الإبداعـــى ، أو مايعـــرف بالتخطـــيط الكلى لذلك المثال الذى يتبلور مسبقاً لدى العبقرى[5] ، ويـــؤدى ذلـــك الجهـــد إلـــى الناتج العقلى للابداع أو الابتكار وتلك هى العملية الإبداعية أو (الاختراع)[6] .

ومن خلال الاهتمام بالعقل فى ابتكار الموضوعات الفنية ودراستها ، بدأت المعايير الذوقية تتطور فى أغلب فروع الفن ومجالاته ، ففى ميدان التشكيل المعمارى ظهرت اكتشافات تحدد العلاقـــة بيـــن الأوضاع المختلفة والايحاءات بالحركة والسكون[7] ، إلى جانب دراسة البيئة والمـــناخ ، ووضـــع مظاهر الطبيعة المختلفة فى الاعتبارات الإنشائية العمرانية ، واستخدم اللون والضوء وانعكاساتهما على أنها أهم وسائل تعبيرية فى التصوير ، كما لوحظ لدى فان جـــوخ الذى أعلن فى رسالة لأخيه " تيو " عام 1888 أنه باستخدام اللون : " أعبر بقوة أكـــثر عما أريد التعبير عنه "[1] . أو سيزان الذى قيل عنه إنه : " حين يعطى اللون أبعاده ، يعطى الشكل تمام اكتماله "[2] . وقد وصفت لوحة بيكاسو " صبايا أفينون " بأنها كانت " تعبر

---

2 ــ أبو ريان ــ فلسفة الجمال ــ ص148 .
3 ــ المرجع السابق ــ ص52 .
4 ــ المرجع نفسه ــ ص152 (نقلاً عن فان جوخ) .
5 ــ عبد الحليم محمود السيد ــ الإبداع والشخصية ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ 1971 ــ ص237 .
6 ــ المرجع السابق ــ ص241 : 243 .
7 ــ يحيى حمودة ــ التشكيل المعمارى ــ دار ا لمعارف ــ القاهرة ــ 1984 ــ ص73 : 84 .
1 ــ أندريه ريشار ــ النقد الجمالى ــ ص41 .
2 ــ المرجع السابق ــ ص41 .

عـن ثـورة فـى فـن التصـوير واستبصار جديد بالواقع " ، واللوحة المذكورة ــ كما هو معـــروف ــ هى أشهر لوحات بيكاسو التجريدية التى رسمها عام 1907 ، وتأثر بأسلوبها عديد من الفنانين[3] .

لقد انتهى هذا الاتجاه إلى ترسيخ القاعدة العقلية القائمة على التفكر والتأمل واستخدام الفنان أو المبدع كل الوسائل المتاحة له فى العمل الفنى ليكون إنجازاً معبراً ، ثم تقييم هذا العمل من خـلال تلك القاعدة ذاتها ، وبالنظر إلى الخبرة والتجربة . وكان هذا تحولاً تاريخياً مهماً فى الـرؤية الخاصـة بالفـن ، من اللاهوتى والميتافيزيقى والمجهول ، إلى الإنسانى والواقعى المدرك ، أو المواكب لحركة التطور التى تشهدها البشرية فى كل الميادين .

جـ ــ *المسار الاجتماعى ومعيار القيمة فى الفن :*

اعتمدت نظرية الإلهام والعبقرية على الفرد الملهم الذى حبته الطبيعة بقدرات خارقة تمكنه من العطاء الفنى ، بينما قامت النظرية العقلية على التفكير والتأمل ، ومن ثم التجربة والخبرة مـن جهـة الصقل الدائم والمثمر لشخصية الفنان الذى يصنف بوصفه مفكراً بارزاً وصانعاً ماهراً .

أما الاتجاه أو المسار ــ الذى نحن بصدده ــ وهو التفسير الاجتماعى للفن ، فإنه يقوم على رؤية أكثر شمولية لعملية الإبداع ، من حيث إن دور الفرد فيها محدود أو يقتصر على تجسيد النحن من خلال إبداعاته التى تنطلق وتقيم بالنظر إلى روح الجماعة ومعتقداتها ، ولذلك فإن الفـن ــ بالنسبة لهذه الرؤية ــ هو إنتاج جمعى ، تعد الجماعة هى الصانع الأول له وللفنان معـاً ، ثم تقيم الإبداع على هذا الأساس ، وقد تحدد وفقاً لذلك مفهوم التذوق الجمالى بوصفه مقياسـاً عاماً ، يشترك فيه الأفراد باشتراكهم فى عضوية الجماعة ، كما تحدد الفن على أنه تعبـير عن المجتمع ، ونتاج لعلاقاته ، وتولد بهذا مفهوم الفن لكونه عملاً اجتماعياً Jrarail social ، والفنان بوصفه محترفاً لمهنة[1] .

واصـبح يـنظر للأعمـال الفنية على أنها وقائع إيجابية اجتماعية تسهم فى حركة المجتمع وتطويره ، وبرز هذا المسار فى العصور الوسطى متمثلاً فى ظهور الحِرف الفنية التى بدأت وكأنهـا توجـه جديـد ، تحرص عليه بعض المجتمعات آنذاك ، ثم تعمق وتطور منذ القرن الثامن عشر ، حيث أصبح الفنانون صناعاً يجيدون المهارات الحرفية والمهنية التى تجمع بين حاجات المجتمع ورموزه الوطنية[2] .

وقـد أمكن قبل ذلك وصف عصر النهضة فى إيطاليا مابين عامى 1300 : 1550 بأنه : " أعظـم فترات فن الرسم فى تاريخ الفن الغربى " انطلاقاً من أن يقوم بدور رئيسى فى الحياة الاجتماعية "[3] ، حيث تبلور هذا المفهوم مصاحباً لمراحل التاريخ الاجتماعى بوجه خاص ،

---

3 ــ جيروم ستولنيتر ــ النقد الأدبى ــ ص199 .

1 ــ زكريا إبراهيم ــ مشكلة الفن ــ ص111 .

2 ــ المرجع السابق ــ ص111 : 112 .

3 ــ سـيدنى فنكشـتنين ــ الواقعـية فـى الفن ــ ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ــ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ 1981 ت ص83 .

مـــثلاً فى عصر الإقطاع حين تولدت الحاجة إلى مهارات فنية معينة كالنجارة أو النحت ، أو فى البناء والزخارف ، وتوطيد التعاليم الدينية فيما بعد ، كما كانت له فعالية فى التثقيف وبث القيم والعقائد عن طريق التمثيليات والتصوير على الجدران[4] .

وكـــان عصـــر النهضـــة فـــى أوربا عموما مثالاً حيا لتوطيد الرؤية الاجتماعية بالنسبة لموضوعات الفن الحديث واتجاهاته ، إذ كان فنانو تلك الحقبة يركزون على الصور الإنسانية الواقعية ذات الطابع الاجتماعى[1] .

ومـــن الواضـــح أن المدرســـة الاجتماعية ، فى تقييم الإبداعات الفنية قد ارتبطت ــ منذ ظهورهـــا ــ بالواقعية التى حققت تقدما ملموسا فى هذا الميدان ، جعل المسار الرئيسى للفن هـــو الإنسان وقضاياه ، وعكس أزماته المختلفة ، كظواهر الفقر والبؤس وغيرها ، مما ظهر لدى بعض كبار المبدعين آنذاك ، أمثال الفنـــان هيرونيمـــوس بـــوش H. Bosch حوالـــى (1450 : 1516) ، أو الرسام الألمانى ماتيس بنثارت حوالى (1455 : 1528) فى لوحته " مذبح كنيسة أيزهايم "[2] الشهيرة ، وغيرهما كثير ممن عبروا عن الواقع الإنسانى فى أشكاله وصوره المتعددة فى أوربا ، فيما عرف بعصر النهضة .

كمـــا أن هـــناك من ينظر إلى الواقعية على أنها جانب من الفن الاجتماعى ، ويؤرخ هذا الـــرأى لظهور الواقعية الاجتماعية فى الفن بعام 1840 على يد الروائى والبحاثة الفرنسى " شانفلورى " الذى ينسب إليه هذا الاستخدام ، كما يرجع إلى تثبيت بعض الاتجاهات التى كان مـــن شأنها بلورة فكرة الأعمال القومية على غرار عملى " دوميه الجمهورية عام 1848 و " الطحـــان عام 1849 ، حيث قال : " شانفلورى " : " بعد هذا العمل صار دومييه من جماعة الفنانين الأرباب "[3] .

وقـــد عمـــد برودون فى كتابه " مبدأ الفن ومصيره الاجتماعى " عام 1865 إلى تأكيد دور الفن فى " كمال المجتمع إذ يدلنا على الجراح الاجتماعية : كالبؤس والخبث وأشكال اللاأخلاق المتـــنوعة "[4] ، ثـــم أثـــنى (أى برودون) على أعمال الرسام الواقعى (كوربييه) مثل " قصابى الحجارة " و " الصبايا على ضفاف السين " و " المستحمات " .. الخ [5] .

وقـــد ذكر هربرت ريد فى كتابه " فلسفة الفن الحديث " : أن الواقعية والتجريدية قد ظهرتا مـــن خـــلال اعـــتمادهما على الذوق العام أو الحس المشترك Common Sense [6] ، كما اســـتعمل اصـــطلاح الواقعـــية المشتركة Socialist Realism فى تحليلاته التى تربط بين الواقعية فى الفن والمجتمع الاشتراكى فى روسيا بعد ثورة عام 1917 [7] .

---

4 ــ المرجع السابق ــ ص 83 : 85 .

1 ــ المرجع السابق ــ ص89 .

2 ــ المرجع السابق ــ ص101 .

3 ــ أندريه ريشار ــ النقد الجمالى ــ ص82 .

4 ــ المرجع السابق ــ ص83 .

5 ــ المرجع السابق ــ ص84 .

6 ــ HERVERT READ/ THE PHILOSOPHY OF MODERN ART/ FABER/ LONDON 1946. P. 88 .

7 ــ IBID. P. 96 .

وبذلك فإن العلاقة بين عملية الإبداع والتصورات أو المضامين " الجمعية " تتحدد وفقاً لمبدأ الواقعية ، والواقعية الاجتماعية على وجه الخصوص ، ويمكن أن تكون مهمة علم الجمال ــ بناء على ذلك ــ هى الكشف عن تلك العلاقة الفعلية التى تربط بين العمل الفنى والوسط الاجتماعى المنبثق عنه .

وقد يكون من المفيد الاستدلال على ذلك بالرابطة التى تجمع بين ظهور الفن والدين فى المجتمعات القديمة ، حيث رأى " آلن Alain " أن فنوناً كالمعمار والتمثيل المسرحى ، تنطوى تحت مفهوم الفنون الاجتماعية[1] . وكما هو معروف ، فإن بداية مثل هذه الفنون ارتبطت بالمعابد الدينية القائمة على أسس ومعان أخلاقية تجسد عقائد تلك المجتمعات وأخلاقياتها .

وعندما كان ظهور الواقعية مرتبطاً بالفكر الاشتراكى كان يعاب على الفنانين فى الأنظمة الرأسمالية تأكيدهم النواحى الفردية ، فقد ورد عند أرنست فيشر قوله " إن السمة المشتركة بين جميع الفنانين والكتاب المرموقين فى المجتمع الرأسمالى إنما هو عجزهم عن التصالح مع الواقع الاجتماعى المحيط بهم "[2] .

وقد كان المعيار الاجتماعى تاريخياً مرتبطاً بمثل هذه التيارات التى تسود فيها روح الجماعة من خلال واقعية إيجابية ، كالواقعية الاشتراكية ، كما عناها مكسيم غوركى ، أو مفهوم " الفن الاشتراكى " ــ كما هو معروف بالنسبة للاتجاه الماركسى ــ إذ تقوم الواقعية الفنية فى الفكر الاشتراكى على وجهة نظر ماركسية تعطى الأهمية القصوى لتفاعلات الواقع المتجدد فى مقابل محدودية الفنان أو الناقد الفرد ، وضآلة كل منهما ، ويتلخص ذلك فيما يلى : " إن عملية التبسيط والدوجماطيقية ، سواء فى دراسة الأدب والفنون أم فى الخلق الفنى ، تكشف عن عجز الناقد والفنان أمام تعقيد عمليات الواقع ، وتنوع الحياة وتراثها "[3] .

ولهذا السبب يعتقد الماركسيون أن بقاء الأعمال العظيمة وتخليدها يظل متوقفاً على مدى احتفاظها بالإثارة ، ومخاطبة المشاعر الجماعية ، وحث القوى العاملة على العطاء والإبداع فى ميدانى العمل والوعى[4] . ويرى عالم الاجتماع المشهور دور كايم أن الفن " ظاهرة اجتماعية " انطلاقاً من أن الإبداع الفنى قائم على عوامل أساسية من بينها الجنس والطبيعة والتراث ، بالإضافة إلى الأساليب التقنية السائدة والموروثة ، وكذلك المقومات الفكرية والجمالية المعاصرة للفنان[1] .

ويذكر فى هذا الصدد أن الدين هو النظام الاجتماعى الأول الذى تسبب فى ظهور الفن بالنظر إلى سيطرة رجال الدين والسحرة على الحياة العامة فى المجتمعات البدائية[2] . كما يعد الفن ــ من وجهة نظر (تين H. Taine) ــ ظاهرة طبيعية تخضع للعقلية الجماعية ،

---

1 ــ زكريا إبراهيم ــ مشكلة الفن ــ ص123 .
2 ــ ارنست فيشر ــ ضرورة الفن ــ ص124 .
3 ــ عبد المنعم الحفنى ــ الأدب والفن فى الاشتراكية ــ ص103 (عن ماركس) .
4 ــ المرجع السابق ــ ص110 .

1 ــ على عبد المعطى محمد ــ فلسفة الفن ــ ص71 :72 .
2 ــ محمد على أبو ريان ــ فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ــ ص146 : 147 .

ولأخـلاق الجماعـة وعاداتها ، وبالرغم من اتصافها بالتلقائية ظاهرياً فإنها تخضع لقوانين الحياة الاجتماعية وشروطها[3] .

وفـي هذا السياق أيضاً يذكر جان دوفينو فى سوسيولوجيا الفن " أن تجذر الإبداع الفنى هو فـي نفـس الوقـت تحليل لكل الرموز الاجتماعية التى تتبلور فيه ، والتـى يبلورهـا فـي سياقـه "[4] .

ومعـنى هذا أن العملية الإبداعية فى مجملها تعتمد على مكونات البيئة الاجتماعية للإنسان وعناصـرها الـتى توهبها المضمون ، ثم تعطيها الشكل النهائى لشرعية الوجود والبقاء عبر التزامها بوسائل التعبير ذاتها ، التى يعتمدها المجتمع ، وبهذا يقترن الفن بالحضارة[5] .

وعلـى هـذا النحو تكون هذا الاتجاه المهم فى تاريخ الفكر النقدى ، الذى عمل على تتبع المصـادر الأساسـية للإبداع الفنى بشقيه العملى والمعيارى ، مدعماً للاتجاهات الأخرى فى تشكيل الرؤية العامة للفن وتفسير آثاره .

د : النظرية النفسية :

ويقوم هذا الاتجاه فى أهم مراحله على ثلاثة جوانب رئيسية هى :

أولاً : اعـتماد الإبـداع الفـنى اعـتماداً تاماً على حياة الفنان ومضمونه الذاتى الكامن فى اللاشـعوره ، وتأثـر أى موضـوع فنى فى شكله ومضمونه بذكريات مبدعه ، ورغباته ، ولاسـيما فـى سـنى حياته الأولى ، وذلك وفقاً لما أورده فرويد Fruid فى نظرية التحليل النفسـى ، حيـث قـام هو وتلاميذه بتحليل نماذج من الأعمال التاريخية المعروفة فى الفنون والآداب . وقـد قامـت فى هذا الشأن دراسات مستفيضة لتاريخ مبدعيها ، كما هو الحال فى دراسة فرويد لليوناردو دافنشى وديستوفسكى ، بالإضافة إلى تحليلات شارل بودوان C. H. Beaudoin فـى كتاب " التحليل النفسى والفن " الذى حاول أن يطبق من خلاله آراء فرويد فـى تحلـيل العمـل الفـنى ، بتناوله عدداً من أعمال كل من شكسبير وهوجو ، والتنبه إلى مدلولاتهـا الرمزية ، والإسقاطات التى كانت تشير إلى حياتهما الخاصة ، موضحاً عدداً من الحالات التى يستخدمها اللاشعور فى ظهوره عبر العمل الإبداعى ، شأنه شأن الحالات البديلة الأخرى التى تتبع وسائل التحويل أو التكثيف أو النكوص أو الإسقاط[2] .

ثانياً : تحولت تلك الآراء إلى اتجاه عرف فى تاريخ فلسفة الجمال بالنظرية السيكولوجية أو النفسية ، وتطور هذا الاتجاه إلى جانب عملى تطبيقى تمثله المدرسة السريالية فى الفن[3] .

ثالثاً : انبثق عن مدرسة التحليل النفسى هذه تشعب آخر يعطى اللاشعور مفهوماً أوسع هو " اللاشعور الجمعى " كما ورد لدى يونج Jung ، ويمثل أحد أهم مقومات النظرية النفسية التى

---

3 ــ زكريا إبراهيم ــ مشكلة الفن ــ ص126 : 127 .

4 ــ جان دوفينو ــ سوسيولوجيا ــ ص53 .

5 ــ LEVEN. 1. SCHUCK, THE SOCIOLOGY OF TASTE, LONDON (RUSKIN) 1944, P. 63 .

1 ــ زكريا إبراهيم ــ مشكلة الفن ــ ص187 : 188 .

2 ــ على عبد المعطى ــ فلسفة الفن ــ ص82 : 83 ومابعدها .

تضمنتها عملية تفسير الفن إلى جانب المسارات أو الاتجاهات الأخرى .

وقد رأى فرويد وأتباعه أن أساس هذه النظرية يكمن فى أن عملية الإبداع لاتعدو كونها تحويلاً لمضامين اللاشعور إلى عمل ملموس ، ويعتمد هذا على ظروف الفنان وحياته الطفولية التى تظل قائمة فى عقله الباطن أو لاشعوره ، وهى ذاتها التى تتخارج فى الفن بالكيفية التى تناسب طبيعتها وقوة تأثيرها على واقع الفنان .

وقد قام السرياليون Surrealistes ــ فى محاولة لتطبيق ذلك ــ باعتماد أسلوب التداعى الحر Free Association فى تحفيز ذواتهم ، واستدعاء مكامن اللاشعور لصياغتها فنياً ، فعرف إنتاجهم بالفن السريالى .

وقد ظهر هذا الاتجاه فيما عرف بالثورة السريالية منذ صدور بيانها الأول ، الذى أعلنه أندريه بريتون عام 1924 ، مبتكراً أسلوب الكتابة التلقائية ، والخطب الارتجالية ، إضافة إلى ماتسفر عنه التداعيات الحرة فى التصوير والرسم ، وذلك التعبير عما يحتويه اللاشعور ، فجاء إنتاج السرياليين غامضاً غريباً على غرار الحلم أو الجنون[1] .

ويعتقد السرياليون أنهم يقومون فى ذلك بتحرير الإنسان من العقد التى كونها العالم الخارجى ، إذ تؤدى العملية التلقائية إلى إخراج مضامين اللاشعور المكبوتة التى تمارس ضغطاً مستمراً على النفس ، وتتسبب فى آلامها .

ويتم هذا بغض النظر عن الشكل الذى تتخذه طبيعة التعبير السريالى ، فقد يكون هذا الشكل غريباً مشوهاً ، ولهذا كانت الفنون السريالية تجسيداً لذوات مبدعيها ، وبالطريقة التى يخرجونها بها ، مهما كان العمل شاذاً غير مفهوم .

وقد أتى ذلك بنوع من الإنتاج الفنى ، يخلط بين الأسطورى والحقيقة ، وبين الحلم والواقع ، أو بين الحياة والسحر ، أو العقل والجنون ، فى حين تبدو المفاهيم متناقضة ظاهرياً ، فإنها تجد لدى السريالية مايفسر ارتباط بعضها ببعض ، مما جعل تعريف السريالية ــ بوصفها اتجاهاً فنياً ــ مطابقاً لمضمونها المتحرر من أى مفهوم للعقل أو الأخلاق وفقاً لمعناهما المألوف ، فهى حركة " ذاتية نفسية صافية يقصد بها التعبير إما شفاهة وإما كتابة ، أو بأية طريقة أخرى عن العمل الواقعى للفكرة يمليها الفكر ، فى غياب كل مراقبة يمارسها العقل بعيداً عن كل انشغال جمالى أو أخلاقى "[2] .

وعلى هذا النحو تكون الغاية للسريالية ــ بوصفها مذهباً أو اتجاهاً ــ فى تاريخ التفسير الجمالى ، هى تحقيق الذات فى شكل واقعية جديدة لاتعبأ بالفكر فى نظامه المعتاد[3] ، وإنما تهتم بالخلط والتقارب المفتعل والتعسف ، كإشارة للتداعيات الذاتية فى الحياة العادية للفنان ، التداعيات الآتية من الأغوار السحيقة للنفس ، ومن خيال الإنسان الجامح ، أو من الأحلام والجنون ،التى جعلت من السريالية ، بوصفها مذهباً يبدو وكأنه " ملقى افتتانات النوم والخمر " أو تذكير " بهذيانات المختلين " فى قصائد الشعر وفنون التصوير ، حيث تتجدد المعانى

---

1 ــ جان برتليمر ــ بحث فى علم الجمال ــ ص76 : 78 .

2 ــ فيليب فان تيغيم ــ المذاهب الأدبية الكبرى ــ ترجمة : فريد أنكونيوس ــ عويدات ــ بيروت ــ 1983 ــ ص317 .

3 ــ المرجع السابق ــ ص319 .

والمفاهيم التى لاوجود لها[4] .

وبالرغم مما أثاره أندريه بريتون ، مؤسس السريالية فى بياناته الشهيرة ، منذ الربع الأول من بداية هذا القرن ، فى موضوع الإبداع السريالى وارتباطه بالهذيانات والأحلام ، فإن جذور هذا الاتجاه تمتد إلى المؤسس الحقيقى لمدرسة التحليل النفسى سيجموند فرويد ، الذى صاغه وعبر عنه فى كتابه ، فقد ألف فرويد كتابه المعنون بـ " الهذيان والأحلام فى الفن " ، وكان هذا الكتاب محتويا أغلب تلك التصورات ، والتناقضات التى قامت عليها السريالية[1] .

أما مفهوم اللاشعور الجمعى ، كما هوعند يونج Jung فقد تحولت هذه المرجعية التى يعتمد عليها الإبداع من الذاتية الفردية إلى مضمون أوسع نشاطا ، وأكثر تعقيداً ، فالفن ليس إنتاجاً فردياً فحسب ، بل هو نشاط عام صادر عن " الروح الجماعية أو الإنسان الجمعى " ، حيث يمكن أن يتضمن العمل الفنى مؤثرات تعود إلى تاريخ البشرية عامة ، بالنظر إلى لاشعور موحد لتاريخ البشرية بأكملها ، الذى يشكل بالنسبة لهذا الرأى حافزاً فطرياً يمتلك الوجود البشرى بأسره ، ويسيطر عليه ويسخره[2] .

ويفسر الفن ـ بناء على ذلك ـ بإعادته إلى هذا المصدر كذلك وليس إلى حياة الفنان وحده ، باعتبار أن حياته جزء لايتجزأ من الحياة العامة ، ويجعل هذا من الضرورى دراسة الأعمال الفنية ذاتها ، وتحليل رموزها انطلاقاً من أنه لاسبيل إلى معرفة شىء عن الفن دون الإحاطة بجميع عناصره الأساسية ، ومن أهم هذه العناصر الجانب اللاشعورى أو الباطن لحياة الإنسان ، بوصفها وحدة تاريخية نفسية للجماعة البشرية ، وذلك من وجهة نظر منهجية تعود إلى استيطيقا اللاشعور الجمعى[3] .

وفى حين عرف العمل الفنى أمام التحليل النفسى بأنه سمو برغبات الفرد وغرائزه الأولية ، تمشياً مع قيم الوجود الكلى لهذا الفرد ، فإنه هنا ـ من وجهة نظر يونج ـ إلهام طبيعى أو دافع فطرى يتملك الفنان بوصفه عضواً فعالاً فى الحياة الجماعية ، وليس فى مقدوره إلا أن يكون " أداة أو وسيلة " فى خدمة الفن ، وهو يهدف إلى غايات تتجاوز فرديته .

وبطبيعة الحال فإن هذه الغايات أو الأهداف تنتمى إلى " الإنسان الجمعى " أو " Collective Man " الذى يجد نفسه ممثلاً له ، ومعبراً عن مضمونه بغير إرادته ، وذلك هو السر فى تعاسة الفنان الذى يحمل مهمة فوق طاقته ، إذ إنه لايكتفى بوجوده الشخصى وإنما يضطلع بمهمة كبرى تحمل فى طياتها الجوهر الإنسانى بأكمله[4] .

---

4 ـ إيفون دوبليسيس ـ السوريالية ـ ترجمة : هنرى زغيب ـ عويدات ـ بيروت ـ 1983 ـ ص40 : 41 .

1 ـ عن الترجمة العربية لهذا الكتاب ـ الهذيان والأحلام فى الفن ـ لسيجموند فرويد ـ ترجمة : جورج طرابيشى ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ ص3 ت أبريل 1986 .

2 ا أبوريان ـ فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجملية ـ ص142 .

3 ـ JUNG C. G, THE INTEGRATION OF THE PERSONALITY. THE CLARENDON PRESS, LONDON 1941, P. 53 .

4 ـ زكريا إبراهيم ـ مشكلة الفن ـ ص192 .

وقـد اتخذ مفهوم الدافع الفطرى فى الفن عند بعض علماء النفس معنى مرتبطاً بالفرد هو تحقيق الذات ، حيث يصدر الفن عن رغبة طبيعية ، أو عن دافع فطرى لتحقيق الذات ، كما يـرى جولد شتاين K. Gold Stein ، إذ يؤكد أن هذا الدافع هو " الدافع الوحيد الذى يوجه نشاط الحياة السوية لدى الإنسان[1] .

وعلـى ذلك فإن الإبداعات ليست ناتجة ــ كما ترى مدرسة التحليل النفسى ــ عن التعالى والتسـامى بمحتويات اللاشعور فحسب ، وإنما هى " تعبيرات عن قدرة الإنسان على الإبداع ومـيله إلى تحقيق ذاته " . ويؤكد هذا الرأى كل من : ماسلو A. H. Maslow ، وروجرز G. R. Rogers وغيرهما ممن اهتموا بهذا الجانب من علماء النفس[2] .

وخلاصـة القـول فى هذا الموضوع أن التفسير النفسى للفن قد وجد له صدى واسعاً فى تـاريخ فلسـفة الجمال ، وعلى مراحل طويلة ومهمة منها ، وعرف بوصفه واحداً من ابرز مسارات الحركة النقدية والفلسفية انطلاقاً من الأهمية الخاصة التى تميز بها مفهوم الذاتية فى عملية الإبداع من ناحية ، ثم بالنظر إلى تعقيد المضمون الجمالى وغموضه فى الأعمال الفنية والأدبـية مـن ناحـية أخـرى ، لذلك فإن هذا الجانب قد مثل دوراً رئيسياً فى ميادين الفن والجمـال ، وترك أثره فى النظريات والآراء التى اشتهرت وبقيت حتى الآن .

ومـن أقوى الاتجاهات التى تبلورت ، متأثرة بعلم النفس ، وتحظى باتفاق كبير بين الأوساط الفكرية المهتمة بتفسير الظاهرة الفنية ، كانت فكرة " الإطار " أو مفهوم الأطر الفنية بوصفها عاملاً فعالاً فى حركتى الإبداع والنقد ، مما تتناوله الفقرة التالية

هـ ــ نظرية الإطار الفنى : frame work

مـن الواضح أن أياً من النظريات المعروفة فى تاريخ فلسفة الجمال منفردة لاتصلح البتة لتفسير العملية الإبداعية إلا بشكل جزئى يتعلق برأى بذاته ، وربما ارتبط ذلك بزمن معين ، ومـن الممكـن أيضـاً ألا تكون تلك النظريات التى تطرقنا إليها أو غيرها من النظريات أو الآراء والاتجاهات مجتمعة بكافية لتفسير الفن ، الذى يتسم بسرعة تطوره ورحابة عالمه بين تنوع الإبداع ، وتعدد الأذواق . ومن المؤكد كذلك أن يستوعب تفسير الفنون والآداب ــ وهى الـتى تتأثر بالمجتمع ، وبالبيئة الطبيعية والتاريخ والتراث ، وحتى الظروف الطارئة وسائر الصراعات والتناقضات فى الحياة العامة والخاصة ، وفى الفكر ، وبفعل المقومات الحضارية المختلفة .. الخ ــ أن يستوعب جميع التفسيرات التى يدلى بها النقاد والمفكرون والمبدعون ، أو متذوقو الفن من عامة الناس والمثقفين وغيرهم ، على الأقل من الناحية المنطقية إن لم يكن ذلـك انطلاقاً من حتمية الحركة الذاتية والفكرية ، أو التلقائية فى تذوق الأفراد والجماعات ، حيـث عرف هذا المجال عدم التزامه بمعايير أو قواعد ذات دلالات مقنعة فى عملية التفسير أو الـتلقى ، وهنا تبدو فكرة " الإطار " أكثر تقبلاً وفهماً لهذه الطبيعة التى تتصف بها القيمة الجمالـية فـى حياة الإنسان من حيث التزامها بقاعدة الاستعداد الدائم لاحتواء كل ماتأتى به

1 ــ عبد الحليم محمود السيد ــ الإبداع والشخصية ــ ص234 .
2 ــ المرجع السابق ــ ص234 : 235 .

ملكة الإبداع ، ويكون مؤثرا أو فاعلاً فى الحياة الوجدانية للفنان أو المتذوق . وقاعدة الإبداع الفـنى أو تناوله وتقييمه ، تتركز فى الإطار بوصفه قالبا يتشكل قياسا على الظروف الخاصة والموضوعية للمبدع ، ويعطى للعملية الإبداعية بحجم تلك الظروف ، فى حين لا يكون الحكم الصـادر ــ حيال الناتج لهذه العملية ــ أقل أو أكثر مما تستهدفه ، وبما ينطبق عليها تماما ، وذلـك لأن العلاقـة بيـن الفن ــ أو العملية الفنية جملة ــ والواقع المتداخل معها ، هى فى الغالب علاقة ذا ت تأثير متبادل ، إذ ليس الإطار سوى التجارب والخبرات الواقعية للفنان ، ومـن هـذا الواقع نفسه ينطلق الحكم تجاه مايصوغه ذلك الإطار . وهكذا تبدو الفكرة العامة لهـذا الاتجـاه الـذى يبدو وقد استلهم عناصره من التجارب والدراسات التاريخية للنظريات السابقة ، خصوصاً فى ميدانى علم النفس وعلم الاجتماع .

كما أن هذه الفكرة تمثل " اتجاهاً منظوراً[1] بالنسبة لنظرية الإبداع الفنى التى بدأت تزدهر فى عصرنا الحاضر ، بفضل الدراسات المكتملة والشاملة فى هذا الميدان .

لقـد برزت فكرة الإطار استجابة لأغلب تناقضات الفن السابقة ، وتخلصت ، إثر ذلك من الـنظرة الضـيقة المعـتمدة على عامل واحد فى تحليلاتها الجمالية ، الغالبة على النظريات القديمة ، إذ كانت السمة الغالبة فى تلك النظريات توجها ، إما إلى الذاتى بوصفه نزعة عقلية تأسـس مفهـوم الفن وفقاً لها ، وهى تنسب الجمال إلى صفات منفصلة عن الفن ، وإما إلى الموضـوعى بوصفه فاعلاً ومؤثراً رئيسياً فى أى إبداع فنى ، وإليه ترجع مقومات النقد التى تقيم الفن ، أو تحدد وجوده على أساس امتلاك الموضوع للمضمون الجمالى .

فـى حين ترتب على هذين الموقفين موقف ثالث ، يحاول الربط بين الذاتى والموضوعى بعلاقـة توفيقـية تحتفظ بموقف كل منهما داخل الفكرة العامة عن الأثر الفنى[1] . وبين هذا وذاك تعددت الآراء ذات المواقف الفردية أو الاجتماعية أو النفسية .

وتقوم فكرة الأطر على أساس وجهة مختلفة لتوافق الذاتى والموضوعى فى وحدة إيجابية تلغـى كـل تميـيز لما هو ذاتى ، أو موضوعى داخلها ، وبحيث يتعذر فصل أى منهما عن الآخر[2] . ويعد هذا أساساً أولياً تعتمد عليه هذه الفكرة ، أى أنه لايمكن الفصل بين العناصر الذاتـية المكونـة لقـدرة الفـنان الإبداعـية ، وبين العناصر الاجتماعية والتاريخية ، وكل الموجودات الواقعية المؤثرة فى الإدراك الجمالى بوصفها مضامين موضوعية فنية ، بل إنها ــ مجتمعة ــ تكون وحدة العمل الإبداعى ، وتشكل الرؤية الخاصة به ، ولاشىء خارج هذه العناصر التى تمثل وحدة الفرد والمجتمـع فـى " النحـن " ووحـدة العقـل والواقـع فـى " الموضـوع "[3] .

أمـا العلاقـة بيـن ذلك وفكرة الإطار ، فإنها تكمن فى الخلاصة النهائية لامتزاج الأجزاء المكونـة للفن ، والمؤسسة لمفهومه فى " إطار " يتكون لدى الفنان من واقع بيئته التى يعيش

---

1 ــ علـى عـبد المعطى ــ فلسفة الفن (رؤية جديدة) وقد تناولت هذه الدراسة فكرة الإطار بوصفها رؤية جديـدة لتفسير العملية الإبداعية بشكل مفصل واف ، وتفاصيل ذلك فى القسم من ص183 : 207 من المرجع المذكور .

1 ــ أبو ريان ــ فلسفة الجمال ــ ص104 : 105 .

2 ــ على عبد المعطى ــ فلسفة الفن ــ ص183 : 184 .

3 ــ المرجع السابق ص208 .

فـيها ، والتى ينتمى إليها الآخرون كذلك ، مما يخلق التفاعل الحتمى بين المبدع ومجتمعه . فمضمون الإطار ــ وفقاً لذلك ــ يعد مكتسباً وليس فطرياً ــ ولأنه كذلك ، فإن العملية الفنية هــى تمثــيل لواقــع الحياة ، وتوثيق لأواصر العلاقة بين الفرد وبيئته ، وهى علاقة محددة وليست غامضة أو معقدة .

وتــتحدد عملــية الــتذوق بناء على الأطر الجمالية التى تكونت لدينا من خلال تجاربنا ، وخبراتــنا الفنية ، فلاتزيد عن كونها توافقاً بين فكرة المتلقى ، أو أساسه الذوقى ، أو مايمكن أن نسميه " الأطر الاستيطيقية " ، وبين قدرات الفنان الإبداعية ، المنطلقة من نفس ذلك الواقع وروحه ، ذلك الذى نشترك فيه جميعاً . أما الخلافات حول تذوق الأعمال الفنية التى قد تنشأ بيــن الأفــراد ، فمــرجعها إلى تعدد المصادر التى تستقى منها التجارب والخبرات الفنية أو الذوقية ، بحيث تختلف أحكامهم إزاءها تبعاً لتنوع الأطر ، الذى قد يحدث من فرد إلى آخر ، أو مــن بيــئة إلــى أخرى[1] . وعلى هذا فإن مقدرة الفنان لاتخرج عن تجربته وخبرته فى الظــروف التى عاشها ، وأثرت فى حياته ، كما أن الحكم الذوقى الصادر على العمل الفنى ، لايــتجاوز ثقافة المتذوق وخبرته فى حياته وتجاربه مع الفن والفنانين الذين عرفهم . ويبرهن علــى هذا أشهر المبدعين ، وأعمالهم الفنية ، والأحكام الصادرة حولها ، فالإطار الذى يملكه الفــنان يمكــنه من تجسيد انفعالاته تجاه أى موقف ، أو ظاهرة يتأثر بها فى مجتمعه ، وينتج بهذه الكيفية بما يعرف بالعمل الفنى ، الذى يجسد جوهر العملية الإبداعية[2] .

وقد تبلورت هذه الفكرة ــ على مايبدو ــ من خلال الدراسات النفسية التى أجريت التجارب العملــية للبرهــنة على صحتها ، وبالرغم من أن هذه التجارب هى عبارة عن افتراضات أو اختــبارات لــتأثر المضمون بإطاره الخارجى من الناحية الشكلية والبصرية[3] ، فإنها تعد ــ بالنســبة لتلك الدراسات ــ مجرد وسائل مساعدة لتوضيح المضمون العام للفكرة ، التى تقوم أساساً على العلاقة بين الشكل الفنى ــ بوصفه ناتجاً ــ وإطاره الذهنى أو الوجدانى ، بوصفه مصــدراً لهذا الشكل ، فالإطار ــ بناء على ذلك ــ يؤثر فى المضمون ، أو فى الدلالة الفنية تأثــيراً مباشراً ، ويوجه عملية الإدراك الجمالى ، كما أن " الأطر " تؤثر كذلك على عملية " اختزان " المعلومات أو تلقى " المدركات ــ لدى كل من الفنان ، ومتلقى الفن[4] .

وتذوقــنا للأعمــال الفنية لايعدو كونه تنظيماً لإدراكنا هذه الأعمال داخل أطر " استيطيقية " نحملها فى مجالنا النفسى[5] .

وعلى ذلك فإن التذوق فى مجال الفن ينبع من خبرتنا وثقافتنا الفنية التى تكونت الأطر وفقاً لها ، ولهذا فإن إدراكاتنا للأعمال الفنية تتساوى مع غيرها من الإدراكات الأخرى من جانب كونها تخص " مجالنا السلوكى " ، أى بوصفها " شيئاً سلوكياً " لاتختلف فى كيفية استنباطها ، أو تحديدها عن بقية المجالات السلوكية الأخرى فى الحياة العادية .

وبســبب ذلك تعددت الأحكام والاختلافات بحكم التنوع الخاص فى سلوك الأفراد ، ووسائل

---

1 ــ المرجع السابق ــ ص210 : 211 .
2 ــ المرجع السابق ــ ص238 : 239 .
3 ــ مصطفى سويف ــ الأسس النفسية للإبداع ــ ص156 .
4 ــ المرجع السابق ــ ص156 : 157 .
5 ــ المرجع السابق ــ ص158 .

اكتسابهم له : " لأن لكل منا عالمه السلوكى الخاص "[1] .

وخلاصة ذلك إن الإطار هو نظام ذاتى لتكوين الأبنية الخاصة بخبراتنا الفنية ، ثم ترتيبها وفقاً لما بينها من تشابه ، أو تقارب حتى " تلتئم فى كل أو إطار استيطيقى "[2] .

ويعـد هذا الإطار المصدر الأول والرئيسى للإبداعات الفنية ، أو الأحكام الذوقية المتعلقة بهـا ، فـى حين أن عملية اكتسابنا للأطر أو فعلها فى واقعنا عملية تلقائية " دينامية " ، تتم بطـريقة تشـبه طريقة اكتسابنا للغة ، وتعاملنا بها ، حيث لانضطر ــ ونحن نتحدث ــ إلى قـياس كلماتنا إلى قاعدة ، أو خبرة نحملها ، وإنما يتم التعبير باللغة بصورة ديناميكية ، دون أن نشـعر بهـا[3] ، وبالكيفـية ذاتها تنشأ العلاقة بين الأنا والإطار وبالتالى بينه وبين عملية الإبداع أو التذوق .

ويمكـن أن يكـون هذا تفسيراً ملائماً لبساطة الفن وتلقائيته ، ولما اتصف به من غموض وإعجـاز نتـيجة اتساع أفقه ، وغزارة مادته ، بالنظر إلى تعدد الأطر ، وتنوع مصادرها ، أكـثر من كون ذلك راجعاً إلى التعقيدات التى وصفت بها مجالاته أو مساراته ، كما هو شأن مدارسه وتفرعاتها الكثيرة .

لقـد تمـيز هـذا الـرأى ــ الذى فرغنا منه الآن ــ بأنه أكثر الآراء شمولاً ، واستيعابا لإشـكالات العملية الإبداعية ، وذلك لأنه يخلق توافقاً ، وانسجاماً بين أهم ركائز الفن ، وفى مقدمتها الذاتية المتمثلة فى الأنا الخاصة بالفنان أو المتذوق ، ثم الموضوعية التى تحافظ على أهمية الموضوع الفنى فى مواجهة الإدراك من ناحية ، وتخرجه عن إطار الفردية الضيقة من ناحـية أخرى ، وأخيراً الواقع بوصفه متضمناً فى العمل الفنى ، من خلال ديناميكية الإطار وبناء على ماتقدم يمكن وصف فكرة الإطار بأنها الخلاصة ، أو النتيجة الأهم بين تلك الأفكار والتوجهات التى قدمناها فى هذا البحث ، والتى كانت هدفاً وخاتمة له .

---

1 ــ المرجع السابق ــ ص175 .

2 ــ المرجع السابق ــ ص160 .

3 ــ المرجع نفسه ــ ص161 .

أزمة الموضوعية في علم الاجتماع

عقيل نوري محمد*

مدخل :

من أبرز الأزمات التي تواجهها العلوم الاجتماعية ، ومن بينها علم الاجتماع ، أزمة الموضـــوعية ، التـــي لا تعنـــي عملية حياد أخلاقي للباحث فحسب وانما تعني أن تتعامل مع العناصر الخارجية للواقع مهملين ولو نسبياً الجوانب الذاتية مركزين بذلك على استقلال الذات عـــن الموضـــوع ، وهذا يعد أساسا يستند إليه في تحديد مدى موضوعية الدراسة ، ولكن هل يمكن تحقيق ذلك في علوم تتناول الجانب الاجتماعي والثقافي من السلوك البشري واعني بذلك العلوم الاجتماعية ؟

وهل يمكن تحقيقها بالذات في علم الاجتماع ؟ بوصفه أحد هذه العلوم .

يبدو لي أن مشكلة الموضوعية مشكلة قديمة ومستمرة ، إذ جرى جدل حولها من أيام بـــروتو غـــاروس ، صاحب بدعة " الإنسان مقياس الأشياء جميعاً فما يبدو لك صحيحاً يبدو لغـــيرك باطلاً " التي جعلت من المعرفة أمراً لا يتعلق بالموضوع الخارجي فقط وإنما بالذات العارفـــة (1)، وقـــد استمر الجدل حول هذا الموضوع حتى الوقت الحاضر إذ مازلنا نتشاكل حول إمكانية تحقيق الموضوعية والحيادية في دراسة الظواهر الإنسانية التي تقع ضمن نطاق العلوم الاجتماعية ، ونظراً لأهمية الموضوع وحيوية الحوار فيه ، قررنا أن نضع اسهاماً في هذا المضمار مركزين انتباهنا على علم الاجتماع بوصفه أحد العلوم الاجتماعية المهمة .

وأود الإشـــارة أولا إلـــى أن أزمـــة الموضوعية ونقيضتها " الذاتية " قد اتخذت طابعاً ثنائيا ، الأول يتعلق بتعدد التوجهات النظرية في نظرية علم الاجتماع ، الذي خلق تعدداً فكرياً واضحاً فـــي فهم الظاهرة الاجتماعية وموقف عالم الاجتماع منها ، وكذلك خلافاً حول طريقة الطرح الموضوعي المناسب لتناولها بالبحث والدراسة .

أمـــا الثاني فيتعلق بالمنهجية وهي مسألة مرتبطة دون شك بذلك التعدد النظري آنف الذكر ، هذا فضلاً عن ارتباطها بموضوع الحيادية الأخلاقية والفكرية للباحث وكذلك المناهج والآليات والتقنيات الملائمة لدراسة الظاهرة من جهة ، و المبحوث الخاضع للبحث والدراسة من جهة أخرى ، وفيما يلي إسهام لفهم أزمة الموضوعية في علم الاجتماع نظرياً وبحثياً .

---

* عضو هيأة تدريس قسم علم الاجتماع ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة السابع من أبريل الزاوية ، ليبيا..

1 ــ الموسوعة الفلسفية العربية ، مجلد 2 ، معهد الإنماء العربي ، ط1 ، 1988 ، ص 1300 ــ 1301 .

أولاً : أزمة الموضوعية نظرياً .

علـم الاجـتماع كما هو معروف لدينا هو علم دراسة الظواهر الاجتماعية التي هي عبارة عن أنماط من التفكير والشعور والسلوك التي تمتاز بخارجيتها عن الأفراد المكونين لها وإلـزامها لهـم ، إذ إنها تحمل صفة القهر ، هذا فضلاً عن عموميتها وانتشارها (هذا دور كايميا) .

إن مجـرد الحديث عن الظاهرة الاجتماعية يضعنا أمام تصارع نظري سببه التعدد فـي فهم الظاهرة الاجتماعية وتحديد أبعادها ، والقارئ للتراث النظري لعلم الاجتماع لا يلبث ان يجد العديد من المداخل النظرية التي تعبر عن توجهات أيديولوجية معينة وتعكس الخلفيات الفكـرية لمنظري علم الاجتماع المسهمين في تطوير نظريته ، ولهذا نجد اتجاهات متعددة ، صراعية وبنائية وظيفية وتفاعلية رمزية ونقدية وتبادلية وأخرى ظاهراتية ولكن السؤال الذي نريد الإجابة عليه هو ، أين تكمن أزمة الموضوعية نظريا ؟ إن أزمة الموضوعية من وجهة نظـري تبلورت بسبب الخلاف حول طبيعة فهم علماء الاجتماع للظاهرة الاجتماعية من جهة والمنهج الملائم لدراستها من جهة ثانية .

فلـو ابـتدأنا (بكونت) فإننا نجده يتعامل مع المجتمع بحدود شمولية كلية عضوية تحـدده قوانين تدعم حالة الثبات والتغير مستعيناً بمناهج العلوم الطبيعية لفهم حالة الاستقرار والتغـير وتعـد هذه المناهج محكاً لعلمية وموضوعية العلم (أي علم الاجتماع) [2] في حين استند (دوركايم) إلى الجماعة بوصفها واقعاً اجتماعياً وهذا عكس خلافاً واضحاً مع (سبنسر) الذي أكـد إمكانية إرجاع الظواهر الاجتماعية إلى ظواهر فردية [3] وبموجب هذا الرأي السبنسري يمكن تذرية المجتمع إلى أفراد مع احتفاظه بصفته الشمولية تأكيداً منه بان مصالح الأفراد لا تـتعارض مـع المصـلحة العامة للمجتمع ، إذ إن سعي الفرد نحو تحقيق مصالحه الخاصة سيؤدي بالنهاية إلى تحقيق المصلحة العامة سواء كان ذلك شعوريا أم لا شعورياً .

ولكـن يـبدو أن هـذا التوجه لم يرق لدور كايم الذي يركز على الجماعة كأساس للدراسـة في علم الاجتماع ، وهذا ما جعل غي روشية يذهب إلى تصنيفه ضمن إطار الفهم الموضوعي للفعل الاجتماعي [4] ، وخاصة وأن دوركايم ، ودعماً للموضوعية ، أكد ضرورة

---

2 ــ آلان سـوينجوود ، تاريخ النظرية في علم الاجتماع ، ت السيد عبدالعاطي السيد ، دار المعرفة الجامعية ، 1996 ، ص 59 .

3- Nicholas s. Timasheff , Sociological Theory , its nature and growth ,Random house, Revised edition , New york , 1966 – p 106.

4 ــ غـي روشية ، مدخل إلى علم الاجتماع العام ، الفعل الاجتماعي ، ت مصطفى دندشلي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ــ بيروت ، 1983 ، ص 32 .

الـتعامل مع الظواهر بوصفها أشياء [5] بدلاً من الاستناد إلى التصورات الكونتية والسبنسرية فالأشـياء تخـتلف عـن التصورات لأنها واضحة وبارزة داخل الوجود الاجتماعي ، كما أن معرفتـنا بالأشياء من الخارج تختلف عن إدراكنا لها من الداخل ، لذا فنحن بحاجة إلى بيانات لا تـدرك بالنشـاط العقلي الخالص ، وهذا يعني أن الاستنباط بالنسبة لدوركايم يعيق تحقيق الموضـوعية ، وهكذا فإن عالم الاجتماع عليه أن يقوم بدور العالم الطبيعي الذي يتعامل مع الظواهـر بـتجرد ! ومع هذا النقد الدوركايمي لمن سبقه من العلماء ، بتأكيده تطبيق المنهج الجماعاتـي ، فإنه لم يبعد كثيراً عن المناهج الكونتية والسبنسرية خاصة فيما يتعلق باستعارة مـناهج العلـوم الطبيعـية من قبل علم الاجتماع واستخدام المنهج الأمبير يقي وتوثيق أهمية الإحصاء في البحث الاجتماعي .

ولكـن يبدو أن الطروحات الوضعية سالفة الذكر لم ترق لعلماء الاتجاه الوضعي في علـم الاجتماع الألماني ومفكريه فكان التصور الكونتي من وجهة نظرهم يمثل تهديداً لدراسة الفعـل والثقافة [6] بسبب اعتماده على قوانين حتمية شمولية متناسية (أي الوضعية الكونتية) أن المجـتمع لا يعيش بمعزل عن أفراده لذا فإن تطبيق مناهج العلوم الطبيعية لتحليل وتفسير حقـيقة أو ظاهرة اجتماعية ، لا يصح لأن هذه المناهج مخصصة لظواهر ذات طبيعة يمكن السيطرة على متغيراتها بحثياً في حين تحمل الظواهر الاجتماعية غاطساً سلوكياً يصَعِب علينا فهم السلوك والسيطرة على متغيراته .

لذلـك نلاحـظ أن دلتاي وريكرت اتجها إلى فهم العلوم الاجتماعية على أنها علوم عقلية على عكس العلوم الطبيعية التي تقع خارج نطاق العقل الإنساني ووفقاً لذلك يميز دلتاي بيـن منهجـي الشرح والفهم ، فالشرح هو أن نتمثل العلاقة بين الذات وعالم الواقع بصيغتها الخارجـية ، أي بالاستناد إلى القواعد والضوابط التي تحكم هذه العلاقة ، وذلك بإبعاد ما هو ذاتي من التحليل ، وهذا شبيه بالطرح الدوركايمي ، ولكن ثقافة المجتمع تحتوي على عنصر الفهـم أي تفسـير الواقـع من خلال الذوات الفاعلة وفهم المجتمع دون هذه الذوات يعد أمراً مستحيلاً [7] .

وهـذا يعنـي ان دلتاي يرى ضرورة ترابط منهجي الشرح والفهم في التعرف على ظواهر العلوم الاجتماعية ، وبذلك يكون قد وجه نقداً لدوركايم وكونت وسبنسر ، ولكن يجب تأكـيد أن دلـتاي لـم يعترض على فكرة أمبيريقية المجتمع وانما اعترض على فكرة حتمية وخارجية الأفعال الإنسانية لأنها تحمل معها معطيات ذاتية .

أمـا ريكرت فقد أكد فردية العلوم الثقافية المستندة أساسا إلى القيم على عكس العلوم

---

5 – Timasheff Opcit . p 107.

6 ــ آلان سوينجوود ، مصدر سبق ذكره ، ص 163 .

7 ــ المصدر السابق نفسه ، ص 164 – 165 .

الطبيعية التي تبحث في موضوعات وأشياء منفصلة عن القيم ، لذا اقترح ريكرت العمل على ربـط الأشـياء بالقـيم ، اي أنـه اراد أن يؤكد شيئية الظاهرة ، دوركايميا ، من غير إغفال لإطارها القيمي الذاتي كما أكد كل من (زمل وتونيز) أهمية ودور الذوات الفاعلة في تشكيل الفعل أو الظاهرة ، إذ رفض زمل أن يشكل المجتمع نسقا موضوعيا خارجا عن نطاق الأفراد المكونين له ، كما رفض التصور العضوي الشمولي للمجتمع (سبنسر ، كونت) ، إذ بنى زمل مفهوم المجتمع على ثنائيات من الأشكال والصور ((كراهية ، محبة) ، (صراع ، تعـاون) ، (تجاذب ، تنافر) ، (فرد ، مجتمع)) تحقق كلاً من الفردية (الذاتية) من جهة وانتظامـية الفعل الإنساني بقواعد وضوابط ومعايير من جهة ثانية [8] أما فيبر وهو خلاصة التوجه الخاص بعلم الاجتماع الالماني فقد نظر إلى علم الاجتماع ، متأثرا بسابقيه ، من خلال دراسة الفعل الاجتماعي الذي يتعلق بالسلوك المقصود ، أي الفعل الهادف ، ذي المعنى الذاتي [9] فعلـم الاجـتماع لديـه هو محاولة علمية لتحقيق الفهم التأويلي أو التفسيري للفعل بهدف الوصـول إلـى تفهم سببي لاتجاهاته ونتائجه ونعني بالتأويلي فهم مقاصد الفاعلين من خلال البحـث فـي العلاقة بين الوسائل والأهداف في الفعل الاجتماعي ، ولهذا نجد فيبر يفرق بين مناهج العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ، ومنها علم الاجتماع ، وذلك لأنها علوم تتفاعل مع جوانب ذاتية [10] تتعلق بمقاصد الفاعلين .

ولكن هذا التأكيد على ذاتية الفعل عند فيبر لا يلغي بالضرورة إمكانية خضوع الفعل إلـى الموضـوعية التي تؤمن لنا إمكانية التنبؤ بالفعل ، فالفعل فيبريا يخضع لقواعد ومعايير تؤمـن لـنا إمكانـية التنـبؤ به ، لأن الفعل سلوك منمط وفقا لتلك القواعد والضوابط والقيم والمعايير ، ومن خلال محاولة الأفراد الربط بين الوسائل والغايات يمكننا ان نجري تحليلاتنا السـببية [11] **لقد حاول علم الاجتماع الالماني** ، إذن استبعاد فكرة الشمولية والخارجية والكلية وعـدم عدهـا معـيارا مطلقا للموضوعية لأن طبيعة الظاهرة الاجتماعية والفعل الاجتماعي تقتضي فهما ثقافيا قيميا ، ومن هنا فقد أدخل هذا العلم معطيات جديدة إلى علم الاجتماع منها ، ان المجتمع لا يمثل كلاً سابقا على أجزائه كما أن مفاهيم الذات الإنسانية والفهم والقصد تعد محـاور أساسـية فـي علم الاجتماع ولا يمكن للباحث تجاوزها فالظواهر الاجتماعية فيبريا تكتسـب معناها فقط من خلال ارتباطها بنسق قيمي معين يؤثر على عالم الاجتماع من حيث

---

8 ــ المصدر السابق نفسه ، ص 167 – 172 .

9 – percy .s.C0hen , M0drn Social theory , Basic books , inc , publishers , New york , 1968 .pp 81 – 82.

10 – Ian Robertson , Sociology , Worth publishers , fourth Edition , Inc , New york , 1983 , p 35.

11 ــ آلان سوينجوود ، مصدر سبق ذكره ، ص 181 .

اختياره لموضوع الدراسة في علم الاجتماع [12] .

أمـــا الاتجـــاه الـــنظري النقدي ، الذي انطلق انطلاقة ماركسية محاولاً صياغة علم اجتماع له مفاهيمه ومناهجه التي تحاول ان تقف ضد التوجه الوضعي الوظيفي ، فيذهب إلى ان مهمـــة الـــنظرية النقدية هي اختراق عالم الأشياء املاً في كشف العلاقات الكامنة وراءها وبالتالـــي العمـــل على تشخيص مكامن الخلل في الظاهرة لإيجاد حلول لها ، وهذا يعني أن الاتجاه النقدي ، من خلال أبرز منظريه (**ركهايمر**) ينصب عالم الاجتماع مصلحاًاجتماعيا ، ولذلـــك يـــرى هوركهايمر بأن النظرية لا يمكن أن تكون محايدة أو موضوعية ، فموضوعية الوضـــعية مـــن وجهة نظره ما هي إلا شعارات تنطلق من أساس غير واع منهجياً من خلال مماثلة العلوم الطبيعية بالعلوم الإنسانية [13] .

إن مـــن أبـــرز ما التزمت به النظرية النقدية هو المنهج الجدلي الذاتي وعدته منهجاً ملازمـــاً لأي نظرية نقدية [14] كما التزمت برفضها لتشيؤ الوعي الإنساني استمراراً للأفكار الماركســـية وفـــي هـــذا نقـــد واضح للأفكار الوضعية عامة والدوركايمية خاصة أما منظور التفاعلـــية الرمـــزية فقد ركز على عملية التفاعل الاجتماعي الجارية بين الأفراد الذين يعدون وحدة أساسية يرتكز عليها المجتمع بجماعاته ومؤسساته وتنظيماته ولهذا نجد أن المفاهيم التي يستخدمها هذا المنظور سواء أكان بأسلوبه الكلاسيكي أم المحدث ، تتعلق بـــ (العقل البشري ، الذات الإنسانية ، الأنا ، النفس البشرية ، التوقعات الاجتماعية ، الذات المنعكسة ، الجماعات الأولية ، الجماعات الثانوية) مستبعدة بذلك المقولات الكلية كالنظام والنسق والبناء والحضارة [15] ، ولهـــذا فقد مال هذا الفكر إلى تضييق الحيز المجالي للظاهرة الاجتماعية أو أنه اهتم (بالميكروسوسيولوجيا) بدلاً من (الماكروسوسيولوجيا) محاولاً الربط بين ما هو نفسي و ما هـــو اجتماعي للوصول إلى فهم دقيق للظاهرة الاجتماعية لقد مال هذا المنظور إلى الأسلوب الإصـــلاحي أيضا خاصة أنه قد ظهر في الولايات المتحدة عقب انتشار المشكلات الاجتماعية والجرائم والانحرافات فيها .

---

12 ــ المصدر السابق نفسه ، ص 181 .

13 ــ عدلـــي علـــى أبوطـــاحون ، تصميم البحوث الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث ، ط1 ، الإسكندرية ، 1999 ، ص 204 – 205 .

14 ــ المصدر السابق نفسه ، ص 206 .

15 ــ معـــن خلـــيل عمر ، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر ، دار الآفاق الجديدة ، ط2 ، بيروت ، 1991 ، ص 229 .

• لقد اتخذ التفاعليون الرمزيون مناهج ذات بعد ذاتي أبرزها الاستبطان الذي يقوم على تقمص دور المبحوث بشـــكل واقعـــي وملمـــوس للتعرف على طبيعة الظاهرة المدروسة من خلال إخضاع ذات الباحث وجعلها عينة للاختبار !! .

أمـــا الاتجـــاه الظاهراتـــي وفقا لآراء **شوتس** فيقوم على التمييز بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعـــية لأن هـــنالك فوارق بين الأشياء الطبيعية والأشياء الاجتماعية ، فالأولى معطاة لي ولغـــيري مســـتقلة عـــن تدخلي الإنساني ، في حين لا تكون الأشياء الاجتماعية مفهومة إلا بوصـــفها ناتجـــات للنشاط الإنساني ويذهب شوتس ايضا إلى أن العلوم الاجتماعية علوم تهتم بتفسير الدوافع التي دفعت الفاعل للقيام بالفعل ، والتي يقسمها شوتس إلى قسمين هما : **دوافع (لأن)** (**Because motives**) أو الدوافـــع المســـببة ، التي تشير إلى الأسباب الماضية الدافعـــة للقيام بالفعل ، ودوافع لكي (**In order to motives**) التي تتعلق بأبعاد مستقبلية متمثلة في الأهداف التي يسعى إليها الفاعل [16] .

إن الاهـــتمام بـــالدوافع يعنـــي ان هذا التوجه يحمل منطلقات ذاتية ، ولكنها جزء لا يتجزأ من فهم الفعل ، فصحيح إنه فهم داخلي ولكنه ضروري لتكوين رؤية تكاملية عن الفعل ولكـــي يـــتخلص شوتس من الإيغال في الذاتية فإنه يستند إلى اصطناع نماذج المثالية ، على النمط الفيبري ، للأفعال ثم يعمد إلى المساوقة بين هذه الأفعال النمطية وبين دوافع (لأن) و (لكي) ، فهو إذن نموذج لفاعل يتخيله عالم الاجتماع يقيس على أساسه الدوافع [17] .

لقـــد حـــاول قســـم من العلماء أن يجمع عدة اتجاهات في بوتقه نظرية واحدة كما فعل كوزر ودارنـــدوروف عندما ربطا بين الفكر الصراعي والفكر البنائي الوظيفي ، وكما فعل بارسنز الـــذي اســـتطاع أن يجمع عدة أقطاب نظرية في نظريته عن الفعل الاجتماعي إذ قدم له فهما وظيفـــيا قائمـــا على الربط بين ذاتية فيبر وموضوعية دوركايم هذا فضلاً عن تضمينه أقطابا فكـــرية جديدة في نظرية علم الاجتماع مثل القطب الفرويدي النفسي والقطب الاقتصادي من خـــلال آراء الفـــرد مارشـــال ، وتفاعلـــه كذلك مع آراء بياجية ، ولا يمكن أن نتناسى البعد الاقتصـــادي للظاهـــرة الاجتماعـــية رغم الانتقادات الموجهة إلى بارسنز لأنه استبعد القطب الماركسي الصراعي في فهمه لنظرية الفعل .

إن هـــذا الاختلاف في تناول الظاهرة وطريقة التعامل معها ولد تعددية واضحة في علم الاجتماع أو بالأحرى في نظرية علم الاجتماع مما ولد قلقا فكريا حول كيفية فهم الظاهرة وطريقة دراستها فهل هذا الاختلاف والتعدد التوجهاتي يحول دون تحقيق الموضوعية في علم الاجتماع ؟

إن هذه التعددية لاتخل حقيقة بعلمية علم الاجتماع وموضوعيته بل على العكس فإني أراها أمراً أثرى علم الاجتماع وجعله من العلوم المتميزة نظريا فالاختلاف حول فهم الظاهرة وطريقة تناولها يعني أن التركيز ينصب حول ميدان واحد هو الظاهرة الاجتماعية التي تمتاز

---

16 ــ صـــلاح قضـــوة ، الموضوعية في العلوم الإنسانية ، عرض نقدي لمناهج البحث ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ط1 ، القاهرة ، 1980 ، ص 266 ــ 267 .

17 ــ راجع في ذلك المرجع السابق نفسه ، 270 ــ 271 .

بتغيرها وكونها تحمل عمقا سلوكيا وفكريا وشعوريا يجعلها ذات أبعاد وأوجه متعددة وهذا ما انعكس في تعدد التوجهات النظرية في نظرية علم الاجتماع الذي يتناسب طرديا مع تعقد الظاهرة الاجتماعية مما يتيح لنا ، أي التعدد ، فرصة التعرف على الأوجه المتعددة للظاهرة لذا فإن دراستها من الخارج أو دراستها من خلال البعد الذاتي كله يسهم في إعطاء صورة أكثر عمقا في تحليل ودراسة الظاهرة .

والأمر الذي يسعفنا في علم الاجتماع موضوعيا هو خضوع الظواهر إلى قواعد ومعايير محددة لها مما يسهل على الباحث إمكانية تركيز انتباهه على هذه القواعد والضوابط ، كوجود خارجي ، ومقدار تأثيرها في الفاعل ومقدار تطبيق الفاعل لها ، وبالتالي يمكن صياغة مقاييس ومحكات تسهل لنا دراسة الظواهر الاجتماعية ميدانيا وإن كان هذا ليس بالأمر اليسير .

ثانياً : أزمة الموضوعية بحثياً :

هذا الجزء من الموضوعية لا ينفصل عن الموضوعية في النظرية لأن هنالك ترابطا علميا معروفا بين النظرية ومناهج البحث ، ولكن تبدو مشكلة الموضوعية في الجوانب المنهجية أكثر وضوحا منها في الجوانب النظرية لأن التعريف التقليدي للموضوعية يركز على حيادية الباحث وتجرده من الأحكام القيمية المسبقة ، عاطفيا ، أيديولوجيا ، مذهبيا ، في الحكم على الأشياء والظواهر التي تخضع للدراسة ، ولكن هذا ليس كل شيء في فهم الموضوعية ، فالموضوعية بحثيا من وجهة نظري من الممكن أن تأخذ ثلاثة أبعاد هي :

1 ــ محور الباحث .

2 ــ محور البحث .

3 ــ محور المبحوث .

وهذه المحاور الثلاثة متداخلة يصعب فك الارتباط بينها ، خصوصا الأول منها والثاني ولكننا نستخدم هذا الفصل نظريا لأغراض التحليل والفهم .

1 ــ محور الباحث :

كان من أبرز المتصدين والمفصلين في هذا الموضوع هو العلامة ابن خلدون الذي أكد في مقدمته ضرورة تجرد الباحث من الأهواء والميول والمقاصد لأن تجرده يمنعه من الوقوع في خطأ التحيز الذي هو آفة تطيح بالعلم ، وأبرز المطبات التي يقع فيها الباحث خلدونيا هي التشيع للآراء والمذاهب أو تقربه من السلطان وذوي الشأن أو عدم المعرفة بالدوافع والمقاصد الكامنة وراء الحدث أو الظاهرة وعلى الرغم من تحذير ابن خلدون من وقوع الباحث في هذه المنزلقات ، إلا أننا نجد أن الكثير من الباحثين يقعون فيها ، ومنهم ابن

خلدون نفسه الذي عَرفَ بتحامله على البداوة إذ وصفها بصفات تدل على وجود ميول عاطفية ضـــدها أو أحكام مسبقة عنها وقد وضح أثر الميل الأيديولوجي على العديد من علماء البنائية الوظيفية ، من خلال سعيهم إلى تهميش فكرة الصراع في قاموس علم الاجتماع وكذلك اتضاح أثر النزعَة البرجوازية في معالجة ظواهر الاجتماع الإنساني لديهم .

وعلـــى وجـــه العموم يمكننا أن نقدم جملة من النصائح التي تفيد الباحث في دراسته للظواهر الاجتماعية :

1 ــ التجرد من الأهواء والميول الذاتية والأحكام القيمية والانفعالية .

2 ــ عدم الميل إلى استخدام العبارات ذات المنحنى التعميمي مثل (مما لاشك فيه) إطلاقا (لا يختلف عليه اثنان) (مما اتفق عليه العقلاء) والاستعاضة عنها بعبارات تدلل على النسبية ، مثل (نسبيا) (أحيانا) (قد يرجع) (قد يعود) [18]

3 ــ تدعـــيم الآراء التي يستند إليها الباحث بالحجج المنطقية وبالمراجع العلمية ذات الإثباتات الميدانية .

4 ــ عـــدم الابـــتعاد عن الموضوع الأساسي للدراسة لأنه يوقع الباحث في مزلق السهو عن الهدف الأساسي في الدراسة .

5 ــ من المفضل أن يضع الباحث في حساباته الآراء التي تقف ضد توجهاته وأفكاره محاولا اختـــبارها ميدانـــيا أو حتى التحاور معها منطقيا ، وهذا يدخل باب احترام العقل الآخر وعدم التعصب للآراء الخاصة بالباحث .

6 ــ يـــرى لـــزي وايت ضرورة تجنب وصف الجماعات البشرية بصورة مزاجية أو ذهنية معيـــنة كـــأن توصف بأنها نشطة أو بطيئة أو عقلانية أو مادية أو روحية وبدلاً من ذلك يتم التركـــيز علـــى وصف التراث الثقافي لتلك الجماعات [19] كما هو دون إعطاء وصوفات قد تكون غير منطقية وغير صحيحة وحتى وإن كانت صحيحة إلا أنها غير مقبولة .

إذا مـــا راعى الباحث هذه الشروط من الممكن أن نقول إنه قد تجرد وتعامل بموضوعية مع الظاهرة موضوع الدراسة .

2 ــ محور البحث :

هـــذا المحـــور لا ينفصل عن سابقه والسبب يرجع إلى أننا نعني بهذا المحور كيفية صياغة الباحث لبحثه بمختلف مراحله النظرية والميدانية وكيفية تعامله مع الظاهرة التي يقوم

---

18 ــ راجـــع في هذا الشأن ، محجوب عطية الفاندي ، طريق البحث في العلوم الاجتماعية ، منشورات جامعة عمـــر المخـــتار ، البيضاء ، ط1 ، البيضاء ، 1994 ، ص 32 ، كذلك معن خليل عمر ، الموضوعية والتحليل الاجتماعي ، دار الآفاق الجديدة ، ط1 ، بيروت ، 1983 ، 18-19 .

19 ــ قيس النوري ، الثقافة والشخصية ، منشورات جامعة بغداد ، (د- ت) ، ص 89 .

بدراســتها ، ونظراً لسعة هذا الموضوع وتشعبه فسنكتفي بالحديث عن الجوانب الآتية مشكلة البحث ، مفاهيم البحث ، فروض البحث ــ عينة البحث .

أ ــ مشكلة البحث :

المشــكلة البحثية هي عبارة عن موضوع يحيط به الغموض بحاجة إلى فهم وتفسير وهــي بذلــك تخــتلف عن المشكلة الاجتماعية ، إذ يوجد خطأ شائع يتم بموجبه التعامل مع المشــكلة البحثــية علــى أنها مشكلة اجتماعية ، فالمشكلة البحثية ترتبط بموقف أو بعلاقات غامضــة وغير محددة يسعى الباحث إلى كشفها وتحديدها ، بينما المشكلة الاجتماعية تتطلب موقفاً إصلاحياً لأنها تمثل عقبات تحول بين الظاهرة الاجتماعية وأدائها لوظائفها أو أنها تمثل انحرافاً عن مسار السلوك الاجتماعي [20] .

ولابــد للباحث ، كخطوة أولى ، أن يبدأ باختيار مشكلة بحثية معينة ثم بعد ذلك يقوم بــتحديد أبعادهــا الأساسية ، وهنالك عدة معايير تدخل في اختيار الباحث لمشكلة بحثية معينة دون غيرها أهمها ما يأتي (21) :

1 ــ اهتمام الباحث شخصياً بالمشكلة موضوع الدراسة .

2 ــ وجــود اهــتمام اجتماعــي بها ، إذ إنها تستحوذ على اهتمام المجتمع ورجال الفكر أو المخططين ... الخ .

3 ــ توفــر الدعــم المادي للباحث ، كأن تطلب جهة معينة دراسة مشكلة بحثية معينة مقابل مبالغ مادية تعطى للباحث أو للمركز البحثي .

4 ــ إمكانية الحصول على المراجع والمعلومات والتسهيلات المختلفة ، تسهم أيضاً في إقبال الباحــث علــى دراسة ظاهرة دون أخرى ، كما أن دخول بعض الظواهر الاجتماعية ضمن قائمة الممنوعات (كالظواهر السياسية والدينية) قد يمنع الباحث من الإقبال على دراسة هذه الظواهر وطرحها كمشكلات بحثية قابلة للبحث والدراسة .

5 ــ الــتأكد مــن صحة دراسة سابقة أو نظرية سابقة يريد الباحث أن يرى مقدار صلاحيتها باخــتلاف الــزمان والمكان ، مجدداً يمكن طرحها على أنها مشكلة بحثية يمكن إعادة اختبار فروضها وتعميماتها .

بعــد اختيار المشكلة على الباحث أن يقوم بتحديد أبعادها من خلال تحديد المتغيرات الأساســية الداخلــة فــي فهــم هذه المشكلة ويعد هذا الأمر ضرورياً لرسم طبيعة العلاقات

•• لزلي وايت أحد أبرز المسهلين في تشكيل الاتجاه فوق العضوي في حقل الثقافة والشخصية.

20 ــ عدلي أبوطاهون ، مصدر سبق ذكره ، ص 287 .

21 ــ مصطفى عمر التير ، مساهمات في أسس البحث الاجتماعي ، معهد الإنماء العربي ، ط1 ، 1989 ، ص 20-24 .

الافتراضية التي يضعها الباحث لتفسير مشكلة بحثه ، من خلال إيضاح العلاقات بين المتغيرات الداخلة في الظاهرة موضوع الدراسة أو البحث ، ولكي يتمكن الباحث من السيطرة على مشكلة بحثه عليه أن يأخذ بالنصائح الآتية :

1 ــ تحسس المشكلة من خلال الملاحظة المباشرة للظاهرة ، إذ يفضل أن يقوم الباحث بزيارات ميدانية للتعرف على أبعاد الظاهرة موضوع الدراسة ، أو قد يستخدم الباحث استبيانات ومقابلات استطلاعية للغرض ذاته ، فلو أراد باحث ، دراسة (المشكلات التي تواجه العاملين بالصناعة وعلاقتها بالإنتاجية) فمن الممكن أن يقوم بزيارات ميدانية لعدد من المصانع للتعرف على أبعاد هذه المشكلات ، وقد يقوم الباحث أيضاً بتصميم استبيان استطلاعي يسهم في تحديد الأبعاد الأساسية لمشكلة بحثه .

2 ــ قراءة الأدبيات المكتوبة حول الظاهرة موضوع الدراسة لغرض أخذ فكرة عن الكيفية التي عولجت بها هذه الظاهرة نظرياً ومنهجياً .

3 ــ يقوم الباحث بعد ذلك باشتقاق وتخصيص المشكلة موضوع الدراسة من خلال ما تم تجميعه من ملاحظات ميدانية ومن خلال ما قام به الباحث من دراسة للأدبيات المكتوبة حول الظاهرة التي يدرسها .

أي أن الباحث يقوم بتحديد الأبعاد النظرية والإجرائية لمشكلة بحثه فيحدد بذلك انتباهه في جوانب محددة دون غيرها ، كأن يحدد الباحث مشكلة البحث السابقة الذكر (المشكلات الأسرية وعلاقتها بضعف إنتاجية العاملين بالصناعة) .

إن تحديد المشكلة ووضوح أبعادها يساعد الباحث بشكل واضح على تحقيق قدر عال من الموضوعية في دراسته لأنه من خلال ذلك التحديد يضع يده على المتغيرات الداخلة في مشكلة بحثه وعلى صياغة فروض واضحة تؤمن سيراً عملياً وموضوعياً للبحث ، وهذا يعني أن وضوح البداية وسلامة خطواتها سوف يمكن الباحث من أخذ خطوات أخرى علمية وموضوعية في بحثه .

ب ــ المفاهيم :

المفهوم هو عبارة عن تجريد ذهني يضع مجموعة من الحقائق تحت رمز معين وتصاغ المفاهيم عادة بعدة أساليب أهمها .

1 ــ خيال الباحث وقدرته على الاستنباط إذ إن الباحث قد يشتق من المفاهيم العامة مفاهيم أكثر خصوصية كاشتقاق مفهوم المركز المهني من مفهوم المركز الاجتماعي.

2 ــ تعيين المفهوم عن طريق الخبرة والملاحظات الشخصية للباحث .

3 ــ الاستناد إلى دراسات وأبحاث سابقة في تحديد المفهوم خصوصاً إذا ما كانت الدراسات متطابقة أو متشابهة مع ما يتناوله الباحث في مشكلة بحثه .

أما تصنيفات المفاهيم في علم الاجتماع فهي مفاهيم تجريدية وأخرى إجرائية وتتعلق الأولى بالتجريد الذهني للمفهوم أو بالمعنى النظري له الذي نهتدي به في صياغة مفاهيمنا الإجرائية ، التي تعبر عن تعريفات إجرائية توضح الجوانب القياسية للمفهوم ، إذ يشير المفهوم الإجرائي إلى السمات والحقائق الواقعية التي يتم تناولها ميدانيا ، تحت رمز معين ، وبمعنى آخر نرى أن المفاهيم هي مفاتيح للتعرف على طبيعة تصورنا للمتغيرات الداخلة في مشكلة بحثنا نظريا وإجرائيا ، إذ يأتي المفهوم نظريا بتحديد الأبعاد الأساسية التي يعبر عنها المتغير ، في حين نحدد إجرائيا استخدامنا للمتغير والمحكات التي سنعتمدها في قياسه ميدانيا ، ولهذا عادة ما يكون المفهوم التجريدي أوسع وأشمل قياسا بالمفهوم الإجرائي الذي يمتاز بالتخصيص والتحديد .

ونظرا لأهمية المفاهيم ودورها في البحث فإننا ننبه إلى بعض الأخطاء التي من الممكن أن يقع فيها الباحث عند صياغته للمفاهيم ، بعض منها مستوحي من أفكار العالم **زتيربرك** ، ومنها ما يأتي :

1 ــ سعة المفهوم على حساب التناول الإجرائي له ، أي أن المعطيات المستخدمة في المفهوم الإجرائي لم تستوعب عند تناول المفهوم إجرائيا ، فلو حدد الباحث الالتزام الديني بأنه يتمثل بـ (الإيمان والعبادات والمعاملات) ثم تناول المفهوم إجرائيا بأن حدده من خلال العبادات فقط أو ضمن أداة قياس المتغير ((الالتزام الديني)) فقرات أو أسئلة عن العبادات فقط ، فإنه يقع في خطأ سعة المفهوم على حساب التناول الإجرائي له ، وهنا لا بد للباحث من إجراء تناسق بين المفهوم التجريدي والمفهوم الإجرائي مع جهة ، مع ضرورة تناول المفهوم إجرائيا وفقا للتحديد الملتزم به في التعريف الإجرائي للمفهوم من جهة ثانية .

2 ــ سعة التناول الإجرائي على حساب المفهوم .

يعد هذا الخطأ من الأخطاء التي تهدم البحث كليا فلو حدد باحث ما الالتزام الديني بأنه يضم (العبادات والمعاملات) وعند التناول الإجرائي للمتغير ضمن الباحث أبعادا جديدة لا توجد لها تغطية نظرية في الإطار النظري للبحث كأن يتناول الباحث الالتزام الديني من خلال (الإيمان والعبادات ، والأخلاق والمعاملات) ، هنا يقع الباحث في خطأ سعة التناول الإجرائي قياسا بالمفهوم الذي استند إليه الباحث في إطاره النظري [22] .

3 ــ تداخل المفاهيم وعدم وضوح حدود فاصلة بينها ، وأعني بذلك المفاهيم المتقاربة ، وبما أن المفاهيم تعبر عن المتغيرات الداخلة في البحث ، لهذا لابد للباحث من إعطاء صورة واضحة نستطيع من خلالها تمييز المفاهيم المتقاربة على الأقل (مركز مهني ، مركز اجتماعي) (الانتحار الأناني ، الانتحار الانومي) (التحديث ، التنمية ، الغربنة) .

---

22 ــ راجع السيد على شتا ، البناء المنهجي لعلم الاجتماع ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1993 ، ص 98 – 100 .

4 ــ عدم وضوح المحكات الخاصة بقياس المتغير أو المتغيرات التي يعبر عنها المفهوم وهذا يرجع عادة الى عدم وضوح التعريف الإجرائي مما يصعب مهمة السيطرة عليه ، عن طريق أدوات جمع البيانات كالاستبيان والمقابلة ..... الخ .

بوجـــه عام يمكننا القول إن من أهم معايير قوة البحث وعلميته هو تمكن الباحث من اشـــتقاق المفاهـــيم الإجرائية من المفاهيم التجريدية شريطة أن تكون المفاهيم الإجرائية قابلة للبحـــث والقـــياس وذلـــك يـــتم من خلال توصيفها وتعريفها إجرائيا بتحدد الركائز والحقائق المـــنطوية ضـــمن المفهوم مما يسهل قياس المتغيرات عن طريق الأدوات المنهجية كالمقابلة والاســـتبيان والمقايـــيس وفـــي ضـــوء دقة المفاهيم وتوصيفها الدقيق للمتغيرات يمكننا توليد فرضيات علمية ناجحة قابلة للاختبار الميداني .

ج ــ الفروض :

الفـــرض هو عبارة عن علاقات احتمالية ذات تصميم منطقي قابلة للاختبار والقياس بيـــن المتغـــيرات التـــي تقوم عليها مشكلة البحث أو هي حلول مقترحة لمشكلة ما يعبر عنها بتعميمات أو مقترحات [23] وهنالك عدة مصادر يشتق منها الباحث فرضياته أبرزها : ــ

1 ــ المعاينة والملاحظة للظواهر المراد دراستها .

2 ــ خيال الباحث وقدرته على اشتقاق فرضيات ذات أبعاد منطقية ، شريطة أن لا يبتعد هذا الخـــيال عن الظواهر الملاحظة التي تدور حولها مشكلة البحث ويعد هذا النوع من الفروض نوعـــا ابـــتكاريا يعـــتمد علـــى قـــدرة الباحث وتمرسه في تحـــليل الروابط والعلاقات بين الظـــواهر [24] .

3 ــ اشتقاق الفروض من نظريات سابقة تناولت نفس الظاهرة أو ظواهر قريبة الصلة بها .

ولكي يكون الباحث موضوعيا في تعامله مع الفروض لا بد أن يراعي عدة أبعاد عند صياغته لها : ــ

1 . وضـــوح الفـــرض وخلوه من الغموض وذلك يتم بإيضاح المتغيرات المستقلة والمعتمدة وكذلك المتغيرات الوسيطة إن وجدت .

2 . يجب أن يتماشي الفرض منطقيا مع القضية التي يشتق منها .

3 . أن تكـــون الفرضية قابلة للاختبار والقياس وهذا يقتضي من الباحث العمل على صياغة

---

23 ــ ديوبولدفـــان داليـــن ، مـــناهج البحـــث في التربية وعلم النفس ، ت . د . محمد نبيل وآخرون ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1969 ، ص 225 .

24 ــ عدلي أبوطاحون ، مصدر سبق ذكره ، ص 350 .

• القضـــية ، هـــي علاقات بين المفاهيم ذات صفة عمومية تشتق منها الفرضيات لغرض الوصول إلى تصميم إجرائي لها بما يسهل مهمة قياسها واختبارها .

فرضـــه بشـــكل إجرائي وذلك لن يتم إلا بوضوح التعريفات الإجرائية للمتغيرات التي تشكل الفرضية [25] .

4 . أن يعمـــل الفـــرض علـــى إيجـــاد تفسير منطقي لوجود علاقة أو عدم وجود علاقة بين المتغيرات المتعالقة فرضياً .

5 . يفضـــل بعـــض الباحثين الاستعانة بالفرض الصفري ، تقليلاً لإمكانية التحيز لرأي على حساب آخر إذ يقوم الفرض الصفري على عدم وجود علاقة بين المتغيرات الداخلة في التفاعل الافتراضي [26] .

6 . في حالة وجود فروض عديدة لدى الباحث فمن المفضل أن يصنف هذه الفروض استناداً الى أهميتها في تفسير مشكلة البحث من جهة والى قابليتها للقياس من جهة ثانية ، الى فروض أساســية وثانويـــة ومـــن المفضل عادة في البحوث العلمية الرصينة أن يكون عدد الفروض محدوداً لأن كثرتها يشتت الباحث ويربك مسيرة البحث .

د ــ العينـــــة :

تتطلب العديد من البحوث السوسيولوجية الاعتماد على عينات تسهل مهمة الدراسة ، ويفـــترض في العينات عادة أن تكون ممثلة بنسبة كبيرة للمجتمع الذي سحبت منه ، ويفترض فـــي العينة أيضاً أنها تساعد الباحث وتمكنه من الوصول الى مجتمع الدراسة بوقت وتكاليف أقل ، ونظراً لأهمية العينات بوصفها تمثل الحيز الذي نعتمد عليه في نتائجها بحثياً ، لذا لا بد للباحـــث من أن يستند على أسس علمية في تحديد حجم العينة من جهة ويتأكد من دقة تمثيلها للمجتمع وفيما يأتي بعض الآراء المتعلقة بهذا الخصوص .

أ ـ حجم العينة : من أبرز العوامل المؤثرة في حجم العينة هي :

1 . حجم المجتمع الأصلي الذي تسحب منه العينة ، إذ كلما كان المجتمع كبيراً أدى ذلك الى توسيع حجم العينة .

2 . درجة تجانس المجتمع المبحوث ، إذ كلما قل التجانس زاد حجم العينة وذلك كي يغطي معظم الفئات والطبقات الأقسام الداخلة في الدراسة .

3 . نـــوع العيـــنة ، وهذا يعتمد على الاحتياجات التي تتطلبها مشكلة البحث فهنالك عينات عشوائية بسيطة ، وهنالك عينات عشوائية طبقية ، تتطلب ربما عدداً أكبر من سابقتها ، وذات مـــراحل مـــتعددة ... الـــخ . وعلى وجه العموم ليس هنالك اتفاق مطلق بين علماء الاجـــتماع حـــول الحجم المثالي للعينة فهنالك من يؤكد بأن أخذ نسبة 5 % فقط من المجتمع

---

25 – Ian Robertson , Opcit .p45.

26 ــ عدلي أبوطاحون ، مصدر سبق ذكره ، ص 354 .

الأصلي تعد كافية وتحقق الغرض العلمي وهنالك من يؤكد ضرورة سحب 10 % من مجتمع البحث لتكون النتائج أدق وأكثر علمية ومعيار الدقة طبعا هو مقدار تمثيل العينة للمجتمع المبحوث .

أما العالم **بلالوك** فقد عرض في كتابه (الإحصاء الاجتماعي) معادلة إحصائية لتحديد حجم العينة متداولة في البحوث والدراسات الخاصة في علم الاجتماع وتقوم فكرة المعادلة على تقدير الخطأ المعياري مع تحديد مستوى الثقة الذي يمكن أن يتعامل معه الباحث [27] .

وهذه المعادلة هي

$$\text{ن} = \frac{\text{الخطأ المعياري}\ (96 ، 1)}{\text{حد الثقة}}$$

ويعترف بلالوك نفسه بالخلل الموجود في هذا القانون إذ يذهب إلى أن النتائج المترتبة على هذا القانون ليست ذات قيمة كبيرة لأنها تعتمد على التقدير الشخصي في تحديد الخطأ المعياري الذي يعتمد أساسا على معرفة الانحراف المعياري والذي لا يستطيع الباحث الحصول عليه بصورة دقيقة ويقترح بلالوك بعض الحلول لمعالجة هذا الإشكال :

1 . الاستعانة بخبراء إحصائيين لغرض تقدير الانحراف المعياري في المجتمع الأصلي .

2 . الاستفادة من الدراسات السابقة في تقدير حجم العينة مع مقارنتها بحجم المجتمع الأصلي .

3 . إقامة دراسة استطلاعية قبل القيام بالدراسة الميدانية [28] ، لغرض الحصول على رقم تقريبي للخطأ المعياري المشتق من الانحراف المعياري .

4 . إضافة 30 – 60 وحدة للعينة تلافيا للأخطاء الناتجة عن استخدام هذا القانون .

ولكي نتحصل على حجم عينة مناسب في ضوء هذا القانون علينا اتباع الآتي :

1 ــ يقوم الباحث بسحب عينة استطلاعية بطريقة عشوائية ولتكن 50 وحدة ويَعمل على استخراج الوسط الحسابي لأحد المتغيرات والانحراف المعياري عن ذلك الوسط .

---

27 – Hubert.M.Blalock , Social statistics , Mc Graw.Hill Book company , Inc newyork , 1960.p167 .

28 ــ المقترحات الثلاثة الأولى هي مقترحات وضعها بلالوك في كتابه الإحصاء الاجتماعي في طبعة لاحقة ، (راجع ، معن خليل عمر ، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي ، مصدر سبق ذكره ، ص 121 – 122

2 ــ نفــترض أن قيمة الانحراف المعياري للعينة مساوية لقيمة الانحراف المعياري الموجود في مجتمع البحث وهذا يعني إن

$$S = Q$$

نفترض أن درجة الثقة بالعمل هي 95 % المساوية لــ 1. 96 جدوليا .

3 . يفــترض الباحــث حــدا معيــنا للــثقة قدره بلالوك بــ 0.1 الذي يمثل الفرق بين الوسط الحسابي للعينة والوسط الحسابي لمجتمع البحث .

4 ــ نحتسب الخطأ المعياري من خلال المعادلة الآتية :

$$\frac{\text{الانحراف المعياري}}{\text{الجذر التربيعي لعدد أفراد العينة}}$$

وكمثال على ذلك لو أن الباحث اكتشف أن الانحراف المعياري عن الوسط = 4.2 .

هذا يعني أن الخطأ المعياري $= \frac{4,2}{50} = \frac{4,2}{7,07} = 0,59$

إذن الخطأ المعياري = 0.59.

6 ــ نعود إلى معادلة بلالوك

$$\text{الخطأ المعياري} \times 1,96 = \text{حد الثقة}$$

$$= \frac{0,59 \times 1,96}{0,1} = 11,564$$

إذن ن = 7 ' 133

7 ــ لتلافي احتمالية الخطأ على الباحث أن يضيف 30- 60 – وحدة إضافية للعينة كي يصل إلى درجة موثوقية أعلى .

ب ــ مدى تمثيل العينة لمجتمع البحث :

يــتفق الباحــثون الاجتماعــيون على أن العينة العشوائية بأنواعها هي أفضل وسيلة تمكنــنا مــن إتاحة فرص متكافئة لكل الوحدات للدخول ضمنها دون تحيز لوحدة على حساب أخرى ، ولكن مع هذا كيف يتأكد الباحث من أن العينة تماثل التوزيع الطبيعي لمجتمع البحث ؟ وعلى هذا الساؤل نجيب بالآتي :

يمكــن للباحث أن يستند إلى فرضية المنحنى الاعتدالي كأساس يرى من خلاله مدى دقــة اختيار العينة فإذ ما استطاع الباحث أن يعرض عينته من خلال أحد المتغيرات الأساسية الداخلة في التحليل على المنحنى الاعتدالي فإذا ما ظهران المنحنى تتوافر فيه الشروط العلمية إذن من الممكن القول إن العينة ذات تمثيل جيد لمجتمع البحث هذا فضلاً عن أنها تعبر ضمنا عــن دقــة المتغــيرات المستخدمة في الاختبار وكذلك دقة أدوات القياس المستخدمة من قبل الباحث .

وعلى الرغم من صعوبة توفر منحنى اعتدالي تتوافر فيه المواصفات القياسية الكاملة من حيث (المساحة والتفلطح والالتواء) إلا أن عرض الباحث للعينة على المنحنى الاعتدالي يعتبر ضرورة موضوعية وعلمية فالتأكد من مدى مصداقية تمثيل العينة للمجتمع المبحوث يعد عنصراً أساسياً لتعميم النتائج وإلا فإن النتائج ستكون محصورة في حدود العينة المأخوذة من قبل الباحث .

وللتعرف على اعتدالية التوزيع يمكن للباحث أن يقوم بالخطوات الآتية :

1 . استخراج الوسط الحسابي والانحراف المعياري للمتغير المراد قياسه .

2 . توزيع المساحات تحت المنحنى وفقاً للمعادلة الآتية :

(S + X) (الوسط الحسابي + الانحراف المعياري) .

3 . لــو ظهــر أن 68.26 مــن أفراد العينة يتمركزون بين (الوسط + الانحراف) بحيث تــتوزع الوحــدات بنسبة 34.13 بالاتجاه الموجب و 34.13 بالاتجاه السالب ونسبة 15.42 موجــب من الوحدات التي تتجاوز الوسط + الانحراف وكذلك 15.42 للوحدات التي تقل عن الوســط ــ الانحــراف ، وبعــد ذلك نقوم باحتساب (التفلطح والالتواء) فإذا ما وجدنا أنهما ضــمن المواصــفات القياسية نستطيع أن نقول إن التوزيع الخاص بالعينة توزيع معتدل وإنه يمــاثل التوزيع الخاص بالمجتمع ، ويمكن للباحث أن يقسم المساحات تحت المنحنى باستخدام درجتيــن معياريتيــن بدلاً من درجة معيارية واحدة إذا كان ذلك يخدم البحث ويعززه ، وفي حالة توفر المواصفات شبه القياسية للمنحنى ، ولا نقول القياسية ، فإن النتائج التي يخرج بها الباحث تكون ذات موثوقية عالية وقابلة للتعميم على المجتمع المأخوذة منه ، أما في حالة عدم مطابقة المنحنى للمواصفات المطلوبة فإن الخلل يعود إلى أحد العوامل الآتية أو جميعها .

1 ــ الاختــيار غــير العشــوائي للعينة مما ينعكس هذا الأمر على مصداقية تمثيلها للمجتمع المبحوث .

2 ــ صغر حجم العينة قياساً بالمجتمع المسحوب منه .

3 ــ خلل في أداة القياس .

4 ــ عدم دقة المتغيرات المستخدمة من قبل الباحث .

5 ــ عدم صدق المبحوث في الإجابة .

ولذا على الباحث أن يراعي أقصى شروط الموضوعية في اختياره للعينة ولابد من أن يتأكد من مدى تمثيلها للمجتمع المبحوث وبالتالي ستكون مشروعية النتائج أدق وأكثر قابلية للتعميم .

ومــن المؤكد أن هنالك جوانب أخرى يجب أن تناقش فيما يتعلق بموضوعية البحث أبــرزها القــياس والأدوات المنهجية والمنهج المستخدم ونظراً لتشعب هذه المواضيع فإننا لا يمكننا أن نغطيها ببحث صغير مثل هذا لذا سأكتفي بما أشرت إليه بهذا الخصوص .

3 ــ محور المبحوث :

يعــد هــذا العامل من العوامل التي يصعب السيطرة عليها لأننا نتعامل مع ظواهر اجتماعــية محــتواها فــي الفاعلين الذين يملكون دوافع ورغبات وتوجهات وتحكمهم ظروف اجتماعــية وثقافــية تمنعهم أحياناً من الإدلاء بمعلومات صادقة خاصة في المجتمعات التي لم تصــل بعد إلى الفهم العلمي لقيمة البحث مثل مجتمعات العالم النامي ، ومنها العالم العربي ، هــذا مــن جانب ومن جانب آخر فإن عدم توفر الحرية للأفراد تمنعهم من أن يدلوا بإجاباتهم علــى نحو صريح ، ويتضح هذا على وجه الخصوص في البحوث السياسية والدينية وبعض الــبحوث ذات المساس الجوهري بالقيم الاجتماعية لأنها تمثل محرمات يصعب المساس بها ، ولهــذا تجد المبحوث يتوجس خيفة من الإجابة عن الأسئلة ذات العلاقة بتلك الجوانب لأنه قد يتصــنع فــي سلوكه عند خضوعه للملاحظة كي يبتعد عما يعتقد أنه إدانة له ، ويذهب (**اين روبرتســون**) إلى إن هنالك عدة مشاكل تعيق البحث السوسيولوجي من بينها أن المبحوث قد يغير سلوكه عند شعوره بأنه خاضع للملاحظة أو الدراسة ولذا يصعب التعامل بموضوعية مع البشــر لأنهــم لا يشــبهون البكتريا أو الهيدروجين إذ إنهم يمتلكون دوافع وعواطف وسمات شخصــية وفردية ذات أبعاد متعددة يصعب الإلمام بها جميعاً [29] وهنا تكمن صعوبة البحث السوسيولوجي .

وبصــفة عامــة يمكن للباحث أن يعمل على تحقيق الاستجابة الصادقة للمبحوث من خلال الآتي :

1 ــ اســتخدام أكــثر من وسيلة لجمع البيانات كاستخدام الاستبيان والملاحظة معا او المقابلة والاستبيان .

29- Ian Robertson , Opcit . pp 33-34.

2 ــ يعمــد الباحث إلى وضع جملة من الأسئلة ذات المعاني المترادفة ونشرها على مسافات متفاوتة داخل استمارة الاستبيان أو استمارة المقابلة لغرض التعرف على مدى تفاوت الإجابات حول تلك الأسئلة وبالتالي التعرف على مدى جدية المبحوث ومصداقيته في الإجابة .

3 ــ يفضــل اســتخدام الأســلوب غير المباشر في طرح الأسئلة وخاصة التي تثير حفيظة المبحوث .

4 ــ يمكــن للباحث أن يعطي تطمينات للمبحوث بأن البيانات لن تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي .

وعلــى وجــه العموم يمكن القول بأن تجاوب المبحوث وموضوعيته تتطلب مناخا اجتماعــيا وثقافــيا وسياسيا حرا يسمح للإنسان بأن يدلي بإجاباته دون تخوف أو تردد ، ومع ذلــك فــإن الباحــث ينبغي عليه السعي لإيجاد الإجابة الأكثر مصداقية وإن واجهته في ذلك عقبــات .

أصول عربية محتملة لقصص وحكايات أسبانية

د. عبدالله محمدالزيّات *

بعد مرور ثمانية قرون لوجود قوي للحضارة العربية الإسلامية فى شبه جزيرة إيبيريا يصعب القول إنه لم يبق من أثر هناك للغة العربية بصفة خاصة وللحضارة العربية بصفة عامة بل إن طبيعة الأمور والقول المنطقى يحكمان بالعكس تماما؛ فاللغة العربية عاشت لغة رسمية لشبه جزيرة ايبيريا أكثر من أى لغة حضارية توجد فيها الآن، فمثلا اللغة الإسبانية الرسمية اليوم EL Castellano لم يزد زمن وجودها لغة حضارية على خمسة قرون إلا قليلا؛ حيث لم تعرف هذه اللغة فى كل إسبانيا المعروفة بهذا الاسم اليوم ولم توجد لها نصوص كثيرة ذات أهمية قبل هذا التاريخ فى حين أن شبه جزيرة إيبيريا عرفت أوج ازدهارها الثقافى، خلال مايسمى بالعصور الوسطى، أى فى عصر ازدهار الثقافة العربية بها، الذى كان قبل ميلاد تلك اللغة الإسبانية، ذلك الازدهار المعروف فى التاريخ الذى كان مع غيره من تراث العربية والإسلام نقطة انطلاق لحركة ترجمة وتفتح ثقافى كبيرين [1] كانا سببا فيما عرف بعصر النهضة الأوروبية الذى قامت عليه النهضة الحديثة، كما كانت الثقافة العربية الإسلامية أفقا من الآفاق الثقافية المهمة التى تطلع إليها سكان قشتالة المسيحية منذ القرن الثالث عشر المسيحى[2] .

ويذهب بعض المؤرخين للأدب العربى فى الأندلس وآثار الأدب العربى فى شبه جزيرة ايبيريا إلى أن نصوصا عربية كثيرة كانت قد ترجمت إلى الإسبانية، كلها أو مجزأة، منها كتاب مبشر بن فاتك مختار الحكم ومحاسن الكلم [3] ، وحكايات السندباد، وهذه الأخيرة ترجمها عام 1235 دون فادريكى Don Fadrique أخ لألفونسو العاشر ــ العالم ــ [4] ،

---

* أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب ، جامعة قاريونس

1) انظر مونتجمرى وات، فضل الإسلام على الحضارة العربية، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين ، دار الشروق، بيروت 1983 ص 84-86 .

2) انظر Americo Castro La realidad historica de Espana, Editorial Porrua, Mexico 1987, p . 24 . من المقدمة .

3) انظر Maria Jesus Rubiera Mata, Litertura hispanoarebe, Mapfre, Madrid 1992, p. 244.

4) Celia del Moral Molina, Huellas de la Literatrura arabe clasica en las literaturas europeas" La confluencia de culuencia de culturas en el Mediterraneo, (separata) ed. Francisco A. Munz, pp. 193-215, p.205.

بـــل إن ابـــن عبدون ــ وهو الذى عاش فى إشبيلية فى عصر المرابطين ــ يفيدنا بمعلومة عجيـــبة فى هذا السياق حيث يذكر ترجمة المسيحيين واليهود للكتب العربية ونسبتها إلى أهل ملتهم ورهبانهم[5]. مثل هذه الترجمات وغيرها لابد أنها تركت آثارها فى الأدب الإسبانى فى إنتاج أكبر مبدعيه مثل ثربانتس Cervants [6]، الذى ينتمى إلى مايسمى بالعصر الذهبى فى الأدب الإســبانى ويؤيــد هــذا ثربانــتس نفسه عندما يذكر مجازياً أو كناية أنه كتب روايته الخـــالـــدة كيخوته E1 Quijote بعد أن وجدها مكتوبة من قبل عربى يدعى حامداً وأن أحد الموريسكيين كان قد ترجمها من العربية [7] . ومعلوم أن ثربانتس كانت لـــه اتصالات بوطن العربية والإسلام، فلقد بقى فى الجزائر فترة لا تقل عن خمس سنوات أسيراً هناك وذلك قبل أن يكتب روايته تلك.

ويــزعــم المســتعرب الإسبانـــى خـــوان ريبيرا Juan Ribera أن بعض القصص التاريخى الموجود فى بعض الكتب التاريخية الأندلسية مثل تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية هــو قصـــص ذو أصل ملحمى شعرى فى العامية الأندلسية وقد كان لهذا القصص أثره فى الشعر الملحمى القصصى الإسبانى والفرنسى [8] .

أمـــا المســتعرب مينيــندث بيدال Menendez Piddl فرغم أنه نفى وجود مؤثرات عربية مهمة فى أشعار الملاحم الإسبانية الأولى إلا أنه أقر ببعض الآثار مثل الألفاظ الحربية كـــ الغارة Algara والدليل adalides وبعض تقاليد أخرى مثل آداء خمس الغنيمة للملك كمـــا هـــو معمول به فى الشريعة الإسلامية، كما أقر أيضا بوجود آثار عربية ظاهرة فـــى الأغـــانـــى الدارجة الموريسكية وأناشيد الحدود المعروفـــة بـــ Romances fronterizos moriscos [9] . وقد حضرت ذات مرة فى جامعة غر ناطة محاضرة لأستاذ إسبانى فى أصـــول اللغة والأدب الإسبانيين وقد قال فى محاضرته تلك ما معناه إن الأدب الإسبانى فى أقـــدم نصوصه هو أدب ترجمة من العربية أو اللاتينية إلى الإسبانية، وهو ــ أى الترجمة ــ أمر حدث فى كل الحضارات.

وقـــد كـــان هـــناك نوعـــان من الحكايات والقصص العربية التى أثرت فى القصص والحكايـــات الأدبـــية الإسبانية؛ نوع دخل الأدب الإسبانى على شكل مختارات ومجاميع أدبية

5) انظر ابن عبدون / ثلاث رسائل أندلسية فى القضاء والحسبة، رسالة ابن عبدون تحقيق ليفى بروفنثال، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص 57.
6) انظر Celia de Moral Molna فى المقال المذكور سابقا ص 207.
7) انظـــر نظـــار بن نظاريان " النقد الاجتماعى فى رواية كيخوته" الفصول الأربعة، اتحاد الأدباء والكتاب، طـــرابلس، ليبـــيا، الســـنة الثانـــية العدد 7 (شوال 1388/ سبتمبر 1979) ص 61-74. وانظر أيضا كيخوتة نفسها..
8) انظر آنخل غونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس 603-13.
9) السابق 611 - 12 .

متكاملة مثل كليلة ودمنة ونوع آخر وصل الأدب الإسبانى على شكل قصص وحكايات مفردة[10].

سأحاول فى هذا المقال أن أتناول الأصول العربية للقصة الإسبانية وذلك من خلال المقالات التى كتبت عن هذا الموضوع فى مجلة الأندلس ثم القنطرة وبعض مجلات أخرى قليلة .

لقد كانت المقالات التى كتبت حول هذا الموضوع ينصب جلها على المقارنة بين القصة العربية والإسبانية فى الشخصيات والأحداث والأهداف التى يستنتج أن القصة وضعت لأجلها والتى قد تكون متطابقة جداً فى الأدبين .

ويمكن أن تصنف القصص العربية التى عُدَّت أصولاً للقصة الإسبانية حسب التصنيف التالى الذى سأتناول من خلاله الموضوع ثم أردفه بإشارة إلى طرق الانتقال من القصص العربى إلى القصص الإسبانى ثم بلمحة عن مدى تأكيد التأثر أو نفيه.

قصص الطفيليين:

لقد عرف الأدب العربى قصص الطفيليين التى اتخذها فن المقامة عنصرا هاما فى مكونات بطل المقامة[11] وقد وجدت معاصرة لازدهار فن المقامة أو قبله بقليل شخصيتان عرفتا كثيراً بالتطفل وهو حضور الولائم دون دعوى والاحتيال على الأكل من موائد

10) Celia Celia del Moral Molina, Huellas de la Literatyra arabe en las Literatruras europeas" La confluencia de culuencia de culturas en el Mediterraneo, (separata) ed. Francisco A. Munz, Granda, 1993 pp. 193-215, p.204.

11) بحث التشابه الموجود بين فن المقامة العربية وفن أدبى إسبانى يعرف بما يمكن ترجمته بأدب الصعاليك والمتحايلين Literatura picaresca ظهر فى القرن السادس عشر ومابعده بأسبانيا والعلاقة بين هذا الأدب وفن المقامة موضوع طويل يتطلب بحثا مفردا، انظر مثلا " celia del Mora Molina, Huellas de la Literatura arabe clasica en las literturas europeas, vias de transmisiom en la confluencia de cultras en el Mediterraneo, (separata) ed. Francisco A. Munoz, Granad 1993, pp. 193-215, pp.208-9. وآنخل غونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس / مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة 1955 ص 180.

الآخريـــن بـــاى أســـلوب كان إلا أنه متوج فى النهاية بالنكتة والنادرة، أما تانك الشخصيتان فتدعى إحداهما بطفيل العرائس[12] والأخرى بأشعب الطماع [13].

وقـــد وجد فى الأدب الإسبانى قصص فكاهى من هذا النوع وخاصة فى Floresta espanola ، فلقد أشار F de la Granja إلى وجود بعض القصص من هذا النوع عند ابن الجـــوزى فـــى كـــتاب الأذكياء [14] ، وابن الجوزى هذا سبق بمؤلف آخر بحوالى قرنين من الـــزمان، ذلـــك المؤلـــف هو الحصرى القيروانى، الذى ضمن كتابه جمع الجوامع [15] تلك القصص المشار إليها فى هذا الكتاب الذى يعد بصفة عامة أحد الجسور التى أمدت الحضارة الإســـبانية فـــى مجال الأدب، إذ انتقلت عن طريقه كثير من القصص المشرقية إلى الأندلس، ومنها إلى الأسبانى ثم إلى بقية الآداب الأوروبية.

هذه القصص ذات المضمون الفكاهى والاحتيالى الطماع لا نعدم مثيلات لها فى الأدب الإســـبانى كمـــا فـــى La Florest ، حيث جاء فى الفصل الثامن منها [16] خبرا بعنوان " الطلاب" نجد فيه أشياء مشابهة المضمون لـــ " الطماع " و " بماذا مات أبوك" [17] كما وردت فى المصادر العربية.

وقـــد رأى بعـــض الكتاب الإسبان أن هذه القصص العربية التى من ذلك النوع تتماثل تمـــاثلا بعـــيداً إلـــى درجـــة التطابق مع إنتاج إسبانى ينتمى إلى أوج العصر الذهبى للأدب الإسبانى [18] .

وهـــناك قصص أخرى وإن لم تكن من قصص الطفيليين فإنها تشترك معها فى الهدف إلـــى الأملوحة والفكاهة وإضحاك المتلقى الذى قد يحدث دون قصد المحدث أو قاص الحكاية

12) وهـــو رجل من أهل الكوفة من بنى عبدالله بن غطفان كان يأتى الولائم دون أن يدعى إليه انظـــر، ابـــن عـــبدربه، العقـــد 204/6، ابن منظور، لسان العرب مادة ط ف ل، 11/ 404، وفى شرح مقامات الحريرى للشريشى ط بولاق ، 187/1 ــ 190 هو طفيل بن دلال الدرامى.

13) ابـــن عبد ربه، العقد شرح وضبط أحمد أمين وآخرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1949، 204/6. وانظـــر ايضـــا فـــى أشعب وحكايات التطفيل، أبا العباس الشريشى، شرح مقامات الحريرى ط بولاق 51/2 ــ 52.

14) انظـــر : Fernando de la Guentos `arabes en la Floresta espanla, en Al - Andalus, XXXV (1970) P 383

وانظـــر أبـــا الفـــرج عبدالرحمن بن الجوزى كتاب الأذكياء المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت 177 _ 182 .

15) انظر السابق 384 ، 385 .

16) انظر Melchor de Santa Cruz, op. cit, P 315.

17) انظـــر Fernando de la Granja, Cuentos arabes en la Florsta espanola 6 – 382 Al-Andalus, XXXV (1970)

18) السابق 386 .

والخـبر، فهـى تلـك القصص التى يخبر أصحابها عن حوادث معينة، أو يحدثون بأحاديث معيـنة، وهـى فى حد ذاتها صحيحة منطقية المقدمة والنتيجة إلا أن جانبا منها يخفى حقيقة تبعث على الضحك، وذلك مثل قصة الأعور الذى أصاب حجر عينه الصحيحة فعميت فوضع يده عليها وقال: " أمسينا وأمسى الملك لله" أو " أمسينا والحمد لله ".

هـذه القصة الفكاهية التى نجدها عند كاتب ينتمى إلى الغرب الإسلامى وهو ابن عبد ربـه فى كتابه العقد ثم عند كاتب ينتمى هو الآخر إلى الغرب الإسلامى وهو ابن عاصم فى كـتابه حدائق الأزاهر، ثم عند كاتبين مشرقيين أحدهما قديم وهو الراغب الأصبهانى وثانيهما أقرب إلينا من عصر الراغب وهو صاحب الكشكول [19] ، نجد شبيها لها فى الأدب الإسبانى خصوصـا فـى La Floresta espanola حيث ذهب La Granja إلى أن هذه القصص أصلية فى الأدبين العربى والإسبانى[20].

ومـن هذه الحكايات التى تحصل بها الفكاهة والتندر قصة المرآة التى يلقى بها الناظر بعد أن أرته من وجهه وجها قبيحا ويشمت ذلك الناظر بتلك المرآة لأن أهلها اطرحوها، وقد أورد الحصـرى القـيروانى كمـا وردت أبـيات حولها عند شاعر أندلسى يدعى الأركشى القرطـبى، ثـم اتفقـت هـذه القصص التى تدور حول معنى المرآة وما يتعلق بها مع قصة بالمضـمون والروح نفسيهما وردت فى La Florsta espanola ، ويرجح أن العربية أصل للإسبانية[21] .

القصص الدينى (قصص كتب التفسير) :

من القصص والحكايات التى كان لها ميدان فسيح فى الأدب المقارن العربى الإسبانى القصـص التى تناولها المفسرون للقرآن الكريم كقصة برصيصا الراهب [22] التى تحكى أن برصيصـا كـان رجلاً صالحاً من بنى إسرائيل متعبداً بصومعته التى قيل إنها كانت غرب الإسـكندرية فى الطريق إلى طرابلس فأصر الشيطان على أن يجعله عاصياً لله ومازال معه حـتى نجـح وجعل برصيصا يطيعه ويزنى بفتاة تحمل منه فيضطر إلى قتلها، فيفتضح أمر

---

19) السابق 388 ــ 390 .
20) السابق 390 .
21) السابق 398 .
22) انظـر M Jose` Hermosilla La Leyenda de Barsisa segun el manuscrito numero 36/2 J en AL-Qantara, IX (1988) I, PP 121-135

برصيصـــا بيـــن قومه وعندها يتبرأ الشيطان منه. ولقد ساق المفسرون أو بعضهم [23] هذه القصـــة فى تفسير قوله تعالى: (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى بريء منك إنى أخاف الله رب العالمين) [24] .

ولقـــد كـــان أول مـــن أشار إلـــى هذه الحكايـــة D. B. Macdonald فـــى La Encylclopedie del Islam[25] ثـــم تـــلاه بعـــد ذلك A . Gonzalez ، فـــى مجـــلة Al-Andalus Palencia[26] إذ خرج هذا الأخير من بحثه ذلك بنتيجة مفادها أن هذه القصة وإن كـــان مصدرها مسيحيا غير معروف فإن أول من استخدمها الأدب العربى[27] فى كثير من نصوصه، وعن طريق الأدب العربى انتقلت إلى الآداب الأوروبية الإسبانى ثم الإنجليزى والفرنسى والبرتغالى، حيث ظهرت فى الأدب الإسبانى بأعمال Garin عندما حكى قصة [28] El pecado del ermitamo de Montserrat . " خطيئة راهب مونسرات".

ولعل من القصص الدينى فى الأدب العربى الذى تأثر به الأدب الإسبانى قصة الإسراء والمعـــراج الـــتى تأثـــر بهـــا أديـــب أسبانى عاش فى القرن الخامس عشر وهو المدعو بـــ Antonio Torquemada فـــى عمله " Jardin de flores [29]curiosas " " جنة الأزهار العجيبة".

ومعروف أن نصوصا حول قصة الإسراء والمعراج كان قد ترجمها من العربية إلى

---

23) لقـــد ساق القرطبي الخبر دون أن يذكر اسم برصيصا على أنه حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أورد الخـــبر علـــى لســـان ابن عباس ذاكراً اسمه ، ومن خلال سياق القرطبي يفهم أن ابن عباس لم يرفع الخـــبر إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، كما ساق القرطبي الخبر بعد ذلك بتوسع كبير على لسان وهب بن منـــبه ، ومعلوم أن وهبا كان يدخل فى كلامه الكثير من الإسرائيليات. انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن 8 / 37 – 41 .

24) سورة الحشر 59 الآية 16 .

انظـــــر : M . Jose` Hermosilla La Leyenda de Barsisa seg`un el manuserito nu`mero 63/2 j

25) Al Qantara, Ix , (1988) p. 121 فى مجلة

26) مقاله precedentes islamicos de la leyenda Gar`in en al-Andalus, (1933) pp 335-355.

27) الأدب العربى هنا بمفهوم كل ما كتب فى اللغة العربية .

28) انظـــر A`ngel Gonz`alez palencia precedentes islamicos de la leyenda de Gar`in al-Andalus, I (1933) p 350

29) انظر Emilio Garc`a Go`mez paseando por Eljardi`n de flores curiosas de Antonio de Torquemado en al-Andalus, XX (1955) pp.222-224 . حيث ساق نصـــا مـــن كـــتاب Antonio Torquimada, Jardin de flores curiosas la sociedad de bibliofilos espanoles Madrid, (ص 119) يذكـــر فـــيه المعراج وبعض ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم فيه .

الإسـبانية مدجن يدعى بالفقيه إبراهيم Abraham عام 1277 أى قبل ترجمة قصة الإسراء والمعراج إلى اللاتينية والفرنسية [30] .

قصص الكلاب:

نجـد قصـص الكلاب تتردد كثيراً فى الآداب الإنسانية، حيث توجد حكايات ونوادر وأحاديـث وأمـثال مأثورة تتخذ من الكلاب موضوعاً لها، كما جاء فى بعض أعمال الأديب الإسـبانى Cervantes [31] وأعمال آخرين غيره من الأدباء الإسبان فحكايات كلب البستانى وكلب الحداد [32] نجدها فى الأدب العربى كما نجدها فى الأدب الإسبانى، فقد وجد فى الأدب الإسـبانى حكايـة الكلـب الـذى عرف بـ El Perro de olias أى كلب الشم، وقد كتب Fernando de la Granga مقـالاً مطـولاً [33] عـن كلـبى البستانى، والحداد فى الأدب الإسـبانى وصـلة ذلـك بالأدب العربى، والمقارنة بين تناول الموضوع فى الأدبين العربى والإسـبانى، وقد خرج بنتيجة مفادها أن الأدب العربى قد سبق الأدب الإسبانى فى تضمن أو احتواء هذا النوع من الأدب الذى يتناول الكلاب؛ حيث أشار ابن حزم إلى كلب البستانى [34] ، وقد ورد فى أمثال الزجالى " كلب الورد لايشم ولا يخلّى أحد يشم" [35] ، ثم نجد هذا المثل أيضاً فى كتاب ابن عاصم حدائق الأزاهر [36] ، ثم عند السيوطى [37].

---

30) Mar`ia Jes`us Rubiera Mata, السابق 248 .

31) انظـر Fernanado de la Granja Dranja Del Perro de oliasy otros en Al-Andalus, XXXV (1972) P.463

32) جـاء فـى Mariana Marug`an Guemez, El Refranero andalusi de Ibn Asim al-Garnati, Libros Hiprion,

33) Madrid 1994, P 129 "كلاب الحدادين يرقدو للزوار ويقومو للقم " .

34) انظـر : Fernando de la Granja Delperro de olias y otros perros Al-Andalus, XXXVII, (1972) P.464-482.

35) انظـر Fernando de la Granja Del Perro de oliasy otros perros Al-Akdalus, XXXVII, (1972) P.464. وذلـك فـى البيـت الـثانى من قوله فى باب العذل متحدثا عن محبين يجتمعان على محب واحد وكيف أن كلا منهما يغار من الثانى على المحبوب نفسه :

صبان هيمانان فى واحـد كلاهما عـن خدنه منحرف
كالكلب فى الآري لا يعتلف ولا يخلـي الغير أن يعتلف

والآري هـو المعلف الواحد للدابتين كما جاء فى لسان العرب ، أري ، 14 /29 ، 30 . انظر ابن حزم ، طوق الحمامة 145 .

35) أبـو يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي ، أمثال العوام فى الأندلس ، تحقيق وشرح ومقارنة د . محمد بن شريفة منشورات وزارة الدولة ، الرباط 1971 ، 2 /261 .

36) انظـر Fernando de la Granja Del Perro de oliasy otros perros Al- Andalus, XXXVII, (1972) PP. 463-82.

37) انظـر Fernando de la Granja Del Perro de oliasy otros perros Al-Andalus, XXXVII, (1972) PP. 463-65

وقد وجدت حكاية كلب البستانى شائعة فى العصر الذهبى للأدب الإسبانى وكان الفضل فى ذلك الشيوع راجعا إلى الأديب Lope de Vega [38] فى هزليته المدعوة بـ El perro del hortelano " كلب البستانى" [39] ثم الأديب Melchor de Santa Cruz [40] فى عمله الأدبى Floresta espannla . أما " الكلاب التى لاتعرف القراءة " فهو تعبير ورد ضمن قصة أو حكاية عربية ترددت فى بعض كتب الأدب العربية وورد مايشبهها فى الإسبانية بما يمكن أن يترجم بعنوان " كلاب لا تعرف اللاتين" حيث تضمنت La Floresta هذا العنوان [41] .

ويعتقد Fernando de la Granja احتمال وجود القصة بالجانبين الإسلامى والمسيحى من الجزيرة الإيبيرية، أى بين غرناطة وقشتالة وأن ابن عاصم قد سجل تلك الحكاية نقلاً عن تلك الروايات الشفهية التى كانت رائجة فى الجانبين [42] .

حكايات وأمثال نظمت فى شعر ثم وردت فى قصص إسبانى:

فى حين أن هذا العنوان لايعنى الفصل المطلق بين ماهو شعرى وما هو نثرى فى مجال القصص والحكايات لأن كلا النوعين عنصر مهم فى تكوين الأدب الذى هو نتيجة لاختلاطهما وتفاعلهما، فإننا قد نجد فى هذا القصص الإسبانى الذى يمكن أن يكون له أصل عربى، استغلالاً لبعض الأمثال والحكم العربية القديمة التى دارت حولها أشعار عربية وتناولتها أكثر من مرة.

فمما نجد له صدى فى الأدب الإسبانى البيت:

بكّرا صاحبىّ قبل الهجير إن ذاك النجاح فى التبكير

وهو بيت مشهور وشاهد بلاغى متكرر فى كتب البلاغة العربية القديمة، وقد قارن

---

38) انظر Fernando de la Cranja Del Perro de olias yotros Perros Al-Andalus, XXXVII, (1972) P. 464

39) انظر Lope de Vega, ElPerro del hortelano, ed. Mauro Armro Armino, Catedra Letras Hispanicas, 5 ed. Madrid 1998, P. 134.

40) انظر Fernando de la Granja, Del Perro de oliasy otros Perros AL-ANDALUS, XXXVII, (1972) p.470

41) انظر Fernando de la Granja, Del Perro de oliasy otros Perros AL-ANDALUS, XXXVII, (1972) p.473 وانظر أيضا Melchor de Santa Cruz, Floresta espanola, ed. Maximiliano Cabanas, Catedra de Letras Hisp`anicas Madrid 1996, P.130.

42) انظر Fernando de la Granja, Del Perro de oliasy otros Perros Al-Andalus, XXXVII (1972) P.471.

Granga هذا البيت بنص إسبانى [43] ذكر أنه من نصوص La Floresta وهو مازال حى الأثر إلى اليوم .

أما الشعر الذى تناول المرآة وهجاءها أو إلقاء اللوم عليها لأنها أرت الشاعر من نفسه شخصـــا قبيحا أو وجها قبيحا فهو معروف قديما [44]، وتوجد إشارات إلى ذلك عند الحصرى القـــيروانى [45] . كما يوجد أيضا بيتان ينسبان إلى شاعر أندلسى يدعى بالأركشى[46] وغير ذلـــك مـــن النصوص المتفقة فى الروح مع هذه الحكايات التى تدور حول المرآة واطراحها والنقمة عليها عند بعض الأدباء الإسبان كما جاء فى La Floresta espanola [47] .

أما بيت المتنبى [48] :

تُرابُه فى كلاب كُحلُ أعيُنهم وسيفه فى جناب يسبق العذلا

فقـــد تحـــول إلى أمثلة دارت حول هذا المفهوم وكان مبنياً على بعض الأمثال العربية السابقة له مثل "سبق السيفُ العذل" الذى تناوله كثير من الشعراء مع بعض التغيير، ثم وجدنا شيئاً قريباً من هذا المعنى فى مثل أندلسى ورد بكتاب " أمثال العوام بالأندلس" للزجالى وهـــو " غـــبار الغـــنم كحول هو لعين السبع" [49] وقد أردف الزجالى بعد هذا المثل مباشرة البيت

---

43) كـــان عـــنوان المقـــال الجانبـــي الـــذى وضعه هذا الباحث للموضوع M`as madrug`o el que la perdio` وهـــو فـــى الواقع يعطى معنى مناقضا لمعنى البيت العربي إذ إن معنى العبارة الإسبانية : من بكـــر ضـــيع أو خســـر ، فـــى حيـــن أن البيت يحض على التبكير من أجل كسب النجاح والربح . انظر Fernando de la Guentos a`rabes en la floresta AL-Andalus, XXXV, (1970) pp. 391-4 Op Cit, p532 وانظر أيضا Melcjor de Santa Cruz,

44) الحطيئة مثلا وإن لم يلق التبعة على المرآة فإنه عندما رأى وجهه فى صفحة الماء قال بيته المشهور:

أرى لي وجها قبح الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

45) (3) انظـــر Fernando de le Cranja, Cuentos a`rabes en la Floresta espa`nola Al-Andalus, XXXV,(1970) p.398

46) انظـــر Fernando de la Granja Cuentos arabes en la Floresta espa`nola Al-Andalus, XXX, (1970) p . 390

والأركشـــي هذا هو يحيى بن محمد بن أحمد الأنصارى الأوسي ونسبته إلى مدينة أركش Arcos فى الجنوب الشـــرقى مـــن الأندلس ، وقد ذكر البيتين له مع ترجمة له ابن الزبير فى صلة الصلة تحقيق ليفي بروفنسال / باريس 1938 _ 184 _ 185 185 ، والبيتان هما :

إنى نظرت إلى المرآة إذ رفعت فأنكرت مقلتاي كلما رأتـــا

رأيت فيها شيخا لست أعرفـــه وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى

وقـــد ذكـــر المقـــرى الأركشي هذا ذكرا عارضا عندما سجل له بعض الأبيات التى ليس منها البيتان موضوع الحديث (نفح الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت 408 /1988 /:4 /63 .

47) ص 573 ، وانظر fernando de la Grangaالمقـــرى الأركشي هذا ذكرا عارضا عندما سجل له بعض الأبيات التى ليس منها البيتان موضوع الحديث (نفح الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت 408 /1988 /:4 /63 . Cuentos arabes en la Floresta espanola " Andalus, XXXV, (1970) p 396 .- Al ".

48) انظـــر ديوان المتنبي ، وضع البرقوقي ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان 1357 هـــ 1938 / 1938 ، 3 /287 ، وفيه (فى كلاب كحل أعينها) .

49) 2 / 393 .

المشابه له فى المعنى وهو:

غُبار قطيع الشاء فى عين ذيبها إذا ما اقتفى آثارهن ذرور

وهو مانجده بشكل مشابه جداً فى أعمال إسبانية كثيرة من بينها:

El Vocabloario del Maestro Cprresas حيث يوجد هناك [50] بالصورة المتعارف عليها حتى الآن مثل إسبانى يقول: " El polvo del ganado al lobo saca de cuidado وهو مايمكن ترجمته بـ ((غبار القطيع يعفى الذئب عناء الاحتراس)) .

وبيت ابن الجزار السرقسطى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى فى الأندلس:

لو وردت البحر أطلب ماء جف قبل الورود ماء البحر

الذى نجد له شبيها فى الأدب العربى على مر العصور حتى فى العاميات الحديثة نجد له آثاره فى كاتب وأديب إسبانى كبير ينتمى إلى مايسمى بالعصر الذهبى فى الأدب الإسبانى يدعى Francisco de Quevedo Y Villegas وقد وضع F. de la Granha دراسة حول هذا البيت والمعانى التى تدور حول معناه فى الأدبين العربى والإسبانى [51].

اللغز والنكتة والكدية:

ومن الحكايات والقصص العربى الذى تأثر به القصص الإسبانى ما أخذ طابع اللغز وإن صبغ أيضا بطابع فكاهى ذى كدية ونادرة؛ حيث يتطفل البطل أو دائما يحاول أن يتحصل على أموال الناس بصور شتى يغلب عليها الكدية والاحتيال. هذا الفن نجده تسرب إلى الأدب الإسبانى، ومن بين ذلك حكاية اللصوص الذين كانوا ينقبون جدار دار فمر بهم حاكم المدينة وسألهم عما يفعلون، فأخبروه أن شخصا قد مات لهم وأنهم يحفرون نقبا ليخرجوه منه، وبدل أن يستغرب السائل هذه الطريقة الغريبة فى توديع الميت قال لهم: إنه لايرى أثرا للموت ولا علامة للحزن من مثل النواح والصراخ، فأجابوه: آخر الليل تسمع النواح.

والإجابة " آخر الليل تسمع النواح" تضمنت تورية حيث أراد منها اللصوص النواح والصراخ الذى سيكون بسبب حدوث السرقة، بينما فهم السائل أنه النواح على الميت المزعوم[52] .

إذ نجد أثرا لهذه الحكاية وأشباهها فى Miscelanea للأديب الإسبانى Luis Zapata حيث نجد له فصلا بعنوان[53] " Manana llorar`a " أى غدا سيبكى من يبكى، كما نجد

---

50) انظر Emilio G`arcia G`omez Sobre um verso de Mutanabb`I con dos refranos uno de ellos pasado al espanol Al-Andalus, XXXVIII, (1973) pp.192- 4

51) انظر كتابه Precedentes y reminiscencias de le literatura y el folklore arabes en nuestro siglo de oro, R eal Academia de Ia Historia, Madrid 1996 . PP 11-26.

52) انظر Fernando de la Granja Dos cuentos a`rabes de ladrones en la Literatura espanola Al-Andalus, XXXIII(1968) P. 459-69

53) انظر Fernando de Ia Granja Dos cuentos arabes de Iadrones en en Ia Literatura espanoIa Al-Andalus, XXXIII, (1968)p 461

أثرا لذلك فى La Floresta espanola للأديب الإسبانى Melchor de Santa Cruz [54] إلى حد ذهب فيه Granja إلى القول [55]: "لا توجد حاجة للمقارنة العميقة بين هذه الحكاية ــ حكاية اللصوص ــ وحكايتى Cruz [56] و Zapata اللتين هما عبارة عن روايتين بسيطتين للموضوع نفسه" .

وقريب من هذا الرأى ماذهب إليه أيضا Granja فى الحكم على الحكاية العربية الشهيرة التى تحكى أن واعظا صعد المنبر وسأل الحاضرين: هل تدرون ماذا أريد أن أقول لكم؟ فقالوا: لا، فقال: إذن لايوجد جدوى من الكلام، ونزل من المنبر، وفى يوم ثان صعد ثانية وسألهم السؤال نفسه، فأجابوه بأنهم يعرفون، فقال: إن كلامه لن يضيف جديداً لأنهم يعرفون، وترك المنبر مرة أخرى، وفى المرة الثالثة وعندما سألهم السؤال نفسه أجابوه: بعضنا يدرى وبعضنا لايدرى، فقال لهم: فليخبر الذى يدرى الذى لايدرى وترك المنبر، وقد رأى Granja أن العبارات:

أتدرون ماذا أريد أن أقول لكم؟ ــ بعضنا يدرى وبعضنا لايدرى ــ فليخبر الذى يدرى الذى لايدرى، تكاد تكون قد ترجمت مباشرة إلى اللغة الإسبانية فى كتاب Luis de Pendoالمسمى بكتاب " الفكاهات" أو " النوادر" Chistes فى قصة الطالب السلمنكى الذى لم يعرف نوع التخصص الذى سيختاره فجمع أهله وأقاربه مريداً منهم النصيحة، وقام فيهم خطيباً سائلاً إياهم عن السبب الذى جمعهم لأجله [57].

ولعل من نوع الأحدوثة التى تتضمن الفكاهة والمزاح مايرويه الحصرى القيروانى عن البهلول الذى أودع مائة درهم فى فدان، فرآه خياط وخلفه عليها وأخذها، وعلم البهلول أن الخياط هو الذى أخذ الدراهم فأوهم البهلول الخياط أنه سيضيف إليها نقوداً أكثر، ومن ثم وسيراً وراء طمعه الجنونى أرجعها إلى مكانها منتظراً الزيادة فأخذها البهلول وأحدث مكانها وغطى الحدث بالتراب ثم جاء الخياط طالباً النقود الأولى والزيادة فضرب يده فى المكان... وجرت بقية الأحداث ولم يجد النقود، وشمت البهلول بالخياط وتحرش به صبيان الكوفة حتى خرج منها[58].

---

54) انظر Fernando de la Granja Dos cuentos arabes de ladrones en la literatura Al Andalus, XXXIII, (1968) P.466

55) انظر Fernando de la Granja Dos cuentos arabes de ladrones en la Literatura esbanola Al- Andalus, XXXIII (1968) P 468

56) انظر Melchor de Santa Cruz, op.cit, P.297

57) انظر Fernando de la Cranja Tres cuentos espanoles de urigen arabe Al- Andalus, XXXIII, (1968) PP. 123-41

58) انظر Fernando de la Granja Nunca mas perro el molino Al-Andalus, XXXIX (1974) P, 440

ولقد أشار Granja إلى أن وجود هذه الحكاية فى الأدب العربى كان سابقا لوجود حكاية مشابهة لها فى اللغة الإسبانية الرسمية El cadtellano بقرنين ونصف القرن [59].

نوع حيادى:

يوجد نوع آخر من الحكايات والقصص العربى الذى تأثر به القصص الإسبانى وهذا النوع لاينتسب إلى أى من الأنواع المذكورة سابقا، فهو نوع خال من القصد إلى الفكاهة والإضحاك، وليس معبرا عن جشع أو طمع أو كدية أو ماشابه ذلك، ولم يدُر موضوعه حول الكلاب، وهو نوع يقصد إلى الهدف مباشرة فى أسلوب جدى وواضح، كما فى حكاية "سيف" عمرو بن معدى كرب المدعو "بالصمصامة" [60] التى تداولها الأدباء العرب نصا أو روحا

بأشكال متقاربة، وتلك الحكاية تتلخص فى أن الرجل أو الضارب بالسيف هو الذى عليه التبعة وليست التبعة على السيف الذى هو أداة فى يد حامله يصنع به مايريد متى استطاع [61].

فلقد أورد [62] Granja ذلك التطور لهذه الحكاية فى الأدب العربى مقارنا له بتطور يشبهه فى الأدب الإسبانى لقصة من ذلك النوع وردت فى El Especulo do los legos " منظار الجهلة" لكاتبها Juan de Hoveden وخلص إلى أن التشابه كبير جدا بين القصتين العربية والإسبانية، رغم أنه لم يستطع أن يجزم بتأثر الأدب الإسبانى بالأدب العربى ولم ينف ذلك أيضا [63].

ويمكن أن نجعل من هذا النوع مانسميه بالقصة الأخلاقية وهى التى تنطوى على هدف أخلاقى أو نستنتج منها قيمة أخلاقية، كما فى تلك القصة التى تروى أن مؤذنا كان قد رأى من فوق منارته امرأة جميلة فوق سطح بيتها، فكان أن ضايقها عند خروجها إلى السوق، فاشتكته إلى زوجها، فقال لها دبرى له حيلة حتى نقتص منه، فاستدرجته حتى وقع عندها ووُضع مكان الحمار الذى يدير الطاحونة، فبات يديرها ليلة كاملة كان الزوج ينهال عليه فيها بالضرب بين الفينة والأخرى [64].

وقد ذهب Granja إلى أن Zapata تأثر بالقصة العربية دون أدنى شك، مع إيجاز وبعض التغيير للتفصيلات [65].

---

59) انظر Fernando de la Granja Nunca mas perro el molino Al-Andalus, XXXIX (1974) P, 440

60) انظرها وأخبار عمرو كاملة فى ابن نباتة ، سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق أبى الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، 1964 ، ص 436 ــ 445 .

61) على بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسى ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ، تحقيق محمد عبدالغنى حسن ، القاهرة 1949 ــ190 .

62) Eco de un poeta arabe artigu en la Literatura espanola Al-Andalus, XXXXI, (1976) PP. 179-193

63) Eco de un poeta arabe artigu en la Literatura espanola Al-Andalus, XXXXI, (1976) P. 193

64) انظر Fernando de la Granja El castigo del calan Al-Andalus, XXXIV, (1969) P.229

65) انظر El castigo del calan Al-Andalus, XXXIV, (1969) P. 239

ومـــن هـــذا النوع الذى دعوناه بالحيادى، والذى اتسم أكثر ماتسم بالجدية وهدف فى بعـــض الأحـــيان إلى معان فلسفية، مانجده فى قصة ذى القرنين التى يمكن أن نصنفها أيضا ضـــمن القصص الدينى أو القصص الذى ورد فى كتب التفسير، وقد كانت قصة ذى القرنين مصدرا من المصادر التى يمكن أن يكون قد تأثر بها ابن طفيل فى قصته الأدبية الهادفة حى ابـــن يقظـــان، كمـــا كانـــت قصة ذى القرنين مصدراً من المصادر التى تأثر بها فى الأدب الإســـبانى الكاتب Garcian كما أشار إلى ذلك المستعرب Emilio Garcia Gomez فى مقالـــه [66] المعـــنون بـــ " Un cuento arabe fuente comun de ibn Tufayl Y de Carcian" أي " قصة عربية هى المصدر المشترك بين ابن طفيل وغارثيان" .

طرق الانتقال:

أمـــا عـــن طرق انتقال القصص والاضحوكات والحكايات العربية إلى الأدب الإسبانى فهـــناك عـــدة طرق [67] من بينها طريق المشافهة وهى طريق نرى La Granja يذهب فى كثـــير مـــن بحوثه التى أعدها فى هذا الميدان إلى جعلها الواسطة فى انتقال بعض القصص والحكايات العربية إلى الأدب الإسبانى، كما فى بحثه المعنون بـــ El casting del galan, origen arabe de un cuento de luis Zapata " عقـــاب العاشق؛ أصل عربى لقصة من قصص لويس ثاباتا" لأنه فى رأى Granja لاتوجد طريقة أخرى ممكنة غير الطريقة الشفهية المحتملة، إذ انتشرت القصة بعد الحصرى ووجدت فى كتب أدبية عربية كثيرة مثل كتاب ابن عاصـــم، ويحـــتمل أنها أصبحت شائعة على ألسنة الناس فى إسبانيا الإسلامية ثم المسيحية، ونقلهـــا الكاتـــب الإسبانى Zapata من ألسنة الناس [68] ، وقد ذهبت ماريا خيسوس رُبيـــرا ماتـــا [69] Maria Jesus Rubiera Mata إلـــى أن هـــذا الطـــريق كان عبر المدجنين والموريسكيين الذين أجبروا على التمسح والعيش فى مجتمع اسبانى وقد كان هؤلاء يتحدثون العربية ويقرأونها.

أمـــا الطـــريق الثانى فهو الموريسكيون الذين كانوا واسطة فى انتقال كثير من الآداب العربية التى تأثروا بها بعد أن قرأوها فى اللغة العربية ثم نقلوها إلى الإسبانية حيث سجلوها فـــى أدبهـــم المسمى Aljamiado الخياميادو [70]، ومعروف أن الموريسكيين قد كانوا عبيداً

---

66) انظر Revista de archivos, bibliotecasy museos, XXX, Julio- Siptiembre de 1926, nums 7 a 9, PP, 241- 69

67) فى الطرق العديدة لانتقال الأدب العربى إلى الآداب الأوربية بصفة عامة انظر مقال Celia del Moral Molina, Huellas de la Literatura arabe clasica en las literaturas europeas. Vias de transmision en La-conftuencia de culturas en el Mediterraneo, (Separata) ed. Francisco A. Munz, Granad 1993, PP.193 215, P.195.

68) انظر المقال المذكور أعلاه فى Al-Andalus, XXXIV, (1969) P.229 وانظر للكاتب نفسه المقال Cuentos arabes en el Sobre mesa de Timoneda Al-Andalus, XXXIV, (1969) P. 387.

69) السابق 249 .

70) انظـــر Maria Jose Hermosilla La leyenda de Barsisa el manuscrito 93/2j Al-Qantara LX (1988) fasc. I, P 122.

وخدمـــا فى قصور المسيحيين وبيوتهم بل وفى فنادقهم أيضا، كما أن الموريسكيات كذلك كن خادمـــات أو جـــوارى عند كثير من المسيحيين وكن يحكين القصص العربى للأطفال الذين يخدمـــنهم، كمـــا كـــان أولئك الخدم يؤثرون بتلك الثقافة الأم التى يعرفونها وهى ثقافة اللغة العربـــية وكـــان كثيرمـــنهم يحكى تلك القصص العربية عندما يجتمع مع المسافرين فى تلك الفنادق حول النارفى ليالى الشتاء الطويلة [71].

والطريق الثالث الذى عبرت خلاله الحكايات والقصص العربى إلى الأدب الإسبانى هو طريق الترجمة من العربية إلى الإسبانية El castellano حيث انتقل عبر هذه القناة كثير من هذا القصص الذى نجد له أصولا عربية وورد فى مصادر عربية مثل كتاب " تنبيه الغافلين" للسمرقندى الذى احتوى قصصا وحكايات مثل قصة الراهب برصيصا [72] .

لاننســـى أيضـــا الشـــعراء المتجوليـــن وغيرهم من المتنقلين بصفة عامة بين البلاد الأندلسية والبلاد المسيحية الذين كانوا ينقلون شفهيا قصصا عديدة وحكايات مختلفة [73].

نفى التأثر وإثباته:

على أننا فى كثيرمن المرات نجد الناقد الباحث فى أصل بعض القصص والحكايات أو الأمـــثال الإســـبانية الـــتى يعتقد أن لها أصلاً عربيا يقف محايدا بين النفى والإثبات للعلاقة الأكـــيدة، لأنـــه وإن وُجدت المشابهة الكبيرة بين النصين، إلى درجة لايُشك معها فى وجود الـــتأثر [74]، فإنه ينعدم الدليل المادى الذى يثبت أو ينفى تأثر النص الإسبانى بالنص العربى، كما فى قصة برصيصا الراهب وأثرها فى أسطورة Garin [75].

لكـــن Granja عودنـــا فى عناوين مقالاته التى كتبها حول هذا الموضوع " القصص والحكايـــات العربـــية وأثرها فى الأدب الإسبانى " على أن يضع عنوانا يوحى بل فى أحيان كثيرة يؤكد أن القصص العربى أصل للقصص الإسبانى، رغم أنه فى أغلب الأحيان يصرح فـــى صـــلب المقال أنه ربما كان الأصل للقصص والحكايات الإسبانية القصص والحكايات العربية، معللا ذلك الشك الذى يذهب إليه بعدم وجود الدليل المادى على ذلك التأثر الواضح، وفى بعض الأحيان يسكت ولا يعلل لوضعه الاحتمال ــ فى صلب المقال ــ بدل التأكيد الذى كان قد أخبرنا به أو أوحى إلينا به عبر عنوان المقال [76].

---

71) Maria jesus Rubiera Mata السابق 249 .

72) انظـــر Angel Conzalez Palencia Precedentes islamicos le leyenda de Barsisa Al-Andalus, I (1933) P. 341.

73) Celia del Moral Molina المقال السابق ص 205 .

74) انظـــر مـــثلا Gonzalez Palencia, Prencia, Precedentes islamicos de la leyenda de Barsisa Al-Andalus, I, (1933) P. 355

75) انظر السابق 350.

76) انظـــر مـــثلا مقالـــه Cuentos arabes en el Sobremesa de Timoneda Al-Andalus, XXXIV, (1969) PP. 381-94 :

مصادر ومراجع :

بالنثيا، أنجل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسى/ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1955.

ابن حزم، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد: طوق الحمامة، تحقيق وتقديم، فاروق سعد، دار مكتبة الحياة، بيروت 1980.

الـزجالى، أبـو يحيى عبيدالله بن أحمد، أمثال العوام فى الأندلس، تحقيق وشرح ومقارنة د. محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة، الرباط 1971.

السمرقندى نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندى: تنبيه الغافلين، طبعة بولاق.

ابـن عـبد ربـه، أبـو عمـر أحمد، العقد، شرح وضبط أحمد أمين وآخرين، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة 1949.

القرطـبى، أبـو عـبدالله محمد بن أحمد الأنصارى، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد بن عبدالعليم البردونى، ط 2، دار الشام ، بيروت لبنان.

الشريشى، أو العباس أحمد بن عبدالمؤمن، شرح مقامات الحريرى، ط بولاق.

المقرى، أو العباس أحمد بن محمد التلمسانى: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1408 / 1988.

المتنبى، أبو الطيب، الديوان، وضع عبدالرحمن البرقوقى، دار الكتاب العربى، بيروت 1357 / 1938.

ابن منظور ، لسان العرب مؤسسة الأعلمى بيروت.

ابـن عبدون رسالة فى الحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى القضاء والحسبة تحقيق ليفى بروفنثال، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة 1955.

ابن نباتة ، سرح المتون فى شرح رسالة ابن زيدون.

ابـن نظاريـان، نظار: " النقد الاجتماعى فى رواية كيخوته " الفصول الأربعة، اتحاد الأدباء والكتاب، طرابلس ليبيا، السنة الثانية العدد 7 (شوال 1388 / سبتمبر 1979) 61 ــ 74.

الغـرناطى، ابـن هديل: حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق محمد عبدالغنى حسن، دار المعارف، القاهرة 1949.

ابن الجوزى ، كتاب الأذكياء، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت.

Castro, Americo: La realidad historica de Esjpana Editorial Porrua, Argentina, Mexico, 1987.

Cervantes, Miguel: Don Quijote de la Mancha, 11, ed. John jay Allen, Catedra Letras Hispanicas, Madrid, 1995.

Garcia Gomez, Emilio,

- " Un cuento arabe fuente comun de lbn Tufayl Y de Carcian" Revista de archivos, bibliotecas Y museos, Madrid XXX, Julio – Septetiembre 1926.

- " Paseando por el Jardin de flores curiosas de Antonio de Torquemado" en Al-Andalus, XX, (1955).
- " Sobre un verso de Mutanabbe con dos refranos uno de ellos pasado al espanl" Al-Andalus XXXVIII, Madrid (1973).
- Gonzalez palencia, Angel,
- " Precedents islamicos de la leyenda de Garin" Al-Andalus, I, Madrid (1933) .
- Granja, Fernando de la.
- "El Castigo del calan" Al-Andalus, XXXIV (1969).
- "Cuentos arabes en la Floresta espa espanola" , Al-Andalus, XXXV (1970).
- " Cuentos arabes en el Sobremesa de Timoneda" Al-Andalus, XXXIV (1969).
- " Del Perro de Olias Y otros perros" Al-Andalus XXXVII (1972) .
- " Dos cuentos arabes de ladrones en la Literatura espanla" Al-Andalus, XXXIII (1968).
- Eco de un poeta arabe antiguoen la Litratura espanold, Al-Andalus XXXXI (1976).

" Nunca mas perro el molino" Al-Andalus, XXXIX (1974) .

- Precedents Y reminiscencias de la litratura Y el folklore arabes en nuestro siglo de oro Real Academia de la Historia, Madrid 1996.
- " Tres cuentos espanoles de urigen arabe" Al-Andalus, XXXIII
- (1968).

Hermosilla, M Jose, " La Leyenda de Barsisa segun el manuscrito numero 631 2j", Al-Qantara, IX, 1 (1988).

Marugan Guemez, Mariana: El refranero andalusi de Ibn " Asim al-Garnati, Libros Hiperion, Madrid 1994.

Moral Molina, Celia del, "Huellas de la Litratura confluencia de culturas en el Mediterraneo, (separata) ed. Francisco A. Munoz, Granada 1993.

Rubiera Mata, M. jesus, Literatura hespanoarabe, Mapfre, Madrid, Madrid 1992.

Santa Cruz, Melchor de: Floresta espanla, ed.
Maximiliano Cabanas, Catedra Letras Hispanicas, Madrid 1996.
Vega Lope de: El Perro del hortelano, ed. Mauro Armino, Catedra Letras Hispanicas, Madrid 1998.

عود على بدء

مراجع عبدالقادر الطلحى*
أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية
وآدابها ، كلية الآداب ، جامعة قاريونس ــ بنغازى

إنّ الحديث عن (النّحو العربى : أصوله ، وتاريخه) حديث يطول ، ويعاد فيه القول ، دونما جدوى فى كثير من الأحيان ، إذ تأتى نتائجه مكررة ، أو تدور حول الحقيقة دون أن تدركها ، بوعى آنا ، وبلا وعى غالبا ، ويظل تقديسنا لتراث هذا النّحو هو المسيطر على عقولنا ، وطرائق تفكيرنا ، عجزا عن مواصلة جهد القدماء الرواد ، أو اختيارا للطريق الممهد بتسطير ماكتبوه ، وفى كلتا الحالتين نحن ندور فى حلقة مفرغة لا قرار لها . وذلك مايبرر إلى حد كبير انصراف أجيالنا الحاضرة عن الاهتمام بلغة دينها وقوام شخصيتها . بله التعمق فى فهم أسرارها ، والكشف عن فقهها ، والسيطرة على أدواتها ، ليكون لنا دور خلاّق فى مجالات الإبداع الأدبى والابتكار العلمى .

لقد دعانى إلى كتابة هذه الكلمة ، التى زادها جهد العلماء الهاجرين لحياة الدّعة ، المكابدين لمشاق العلم ، بحث كتبه الأخ : محمد خليل الزروق تحت عنوان : (بين ابن هشام وابن أم قاسم) ونشره فى مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، وغرضه أن ينفى عن ابن هشام ما رمى به من اعتماد فى الباب الأول (تفسير المفردات وذكر أحكامها) من كتابه (مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب) ، على كتاب ابن أم قاسم المرادى (الجنى الدانى فى حروف المعانى) ، لاشتراكهما فى معالجة موضوع واحد ، هو ماتحمله حروف المعانى من دلالات فى التراكيب النحوية ، مما فرض على المؤلفين الالتقاء فى وجوه كثيرة .

وهو موضوع طرقته المؤلفات النحوية منذ أن ظهر (الكتاب) لأبى بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه ، قبيل نهاية القرن الثانى الهجرى ، وفيما أفرد من مؤلفات ظهرت قبلهما خصصت للحديث عن هذه الأدوات ومعانيها ، مفردة أو مجملة .

لقد ساء الباحث أن يذهب محققا (الجنى الدانى فى حروف المعانى) إلى اتهام ابن هشام بالنقل فى (المغنى) عن ابن أم قاسم المرادى دون أن يشير إليه ، أو إلى كتابه أدنى إشارة ، ولم يأت هذان المحققان ببدع من القول ، فقد اعتقد هذا الرأى قبلهما الشيخ الدكتور : محمد عبدالخالق عضيمة ، المحقق المدقق والعالم الجليل ، فقال فى عبارة حاسمة (دراسات لأسلوب القرآن الكريم 97/1 : " نقل ابن هشام (الجنى الدانى) بنصه وفصه إلى كتابه (المغنى) دون أن يشير ولو مرة واحدة إلى اسم الكتاب أو اسم مؤلفه "

كما أشار إلى هذه القضية الشيخ الطنطاوى ، فقال فى معرض حديثه عن ترجمة ابن أم قاسم (نشأة النحو 233) : " ومؤلفات المرادى مصادر لدى النحاة وثيقة ، فالدمامينى عول فى شرح (التسهيل) على شرحه ، والأشمونى نقل فى شرح (الألفية) كثيرا عن شرحه ، وقالوا : إن ابن هشام استفاد فى (المغنى) من (الجنى الدانى) " . وأشار إليها قبلاً حاجى خليفة فى (كشف الظنون) .

إن كاتب البحث لايخفى إعجابه الشديد بشخصية ابن هشام النحوية ، فيراه أنحى من المرادى [1] ، وأغزر منه علما فى العربية ، ولذا كان من غير المستساغ عنده أن يتكىء ابن هشـــام على نحوى أقل منه شأنا ومعرفة بأصول العربية ، فينقل عنه فى مصنفاته النحوية ، بله أن يشاع ذلك عنه فى حلقات الدرس .

وهذه مسألة لايمكن للعاطفة المجردة أن تفصل فيها ، أو أن يتم حسمها بجملة عابرة تلقـــى جزافا ، دونما بحث متأنٍ مقارن فى مؤلفات كلا الرجلين ، وإذا كان الباحث ــ ونحن معه ــ قد اطلع على بعض مؤلفات ابن هشام ، فهو ــ ونحن معه أيضا ، لم يطلع إلا علـــى (الجنى الدانى) أو على شرحه لألفية ابن مالك ، المخطوط بمكتبة جامعة قاريونس من بين مؤلفـــات المـــرادى العديـــدة ، وذلك لايكفى حتما لكى نكون حكما سليما على شخصية كلا الرجليـــن العلمـــية ، لأن حكمنا ــ والحالة هذه ــ يفقد مبررات كثيرة تعضده ، وتضمن له الاطراد والاستقامة .

وإعجـــاب الباحث بابن هشام يظهر جليا فى بحثه من بدايته ، فهو يقول (مجلة كلية الدعـــوة 414) : ، " وقـــد ساءنى أى مساءة ماكتبه فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ... فرمـــيا ابن هشام ... بالسرقة ، وأنه رفع كتابه (المغنى) فوق قدره ، وأنه فى هذا الكتاب عالة على كتاب ابن أم قاسم ، بعبارات قاسية ، وتحامل ظاهر ، وخلط شديد " .

والبحث العلمى الجاد يفرض على الباحث أن يتجرد عن انطباعاته الذاتية ، ما أمكنه ذلـــك ، لأنها فى غالب الأحيان لاتكون مبررة تبريرا علميا سليما ، مما يجعل الباحث أسيرا فى بحثه لهذه الانطباعات ، فتقوده قسرا إلى مزالق لاتحمد عقباها ، إذ تصيب بصره بغشاوة كثيفة تحجب عنه وجه الحق ، فيتجاهل التعريج على كثير من الحقائق البادية للعيان إرضاء لهذه المشاعر ، وانسجاما معها .

وربمـــا فرضت هذه المشاعر على الباحث أن يبدأ بحثه بهجوم عنيف لامبرر له البتة على هؤلاء الذين يريد أن يدحض رأيهم ويبين فساد حجتهم القائلة إن ابن هشام قد ضمـــن (الجنى الدانى) فى كتابه (المغنى) دون إشارة ، وبخاصة هجومه الحادّ على الشيخ محمد عضيمة ــ الذى لاأنكر تقديرى له ــ إذ اتهمه الباحث دون مبرر بأنه لم يكن ذا بصر وصبر فـــى معالجته هذه القضية ، قال (مجلة كلية الدعوة 417) : " ثم لو أن الشيخ وازن ببصر وصبر على ماهو معهود فيه ، لرأى رأيا آخر ، ولكنه وقع على قول حاجى خليفة ، مع نظر سريع فى كتاب (الجنى) فقال ما قال " .

إن مـــثل هذا القول لايصدق بحال على الشيخ عضيمة ، وقد يكون من باب المجازفة الشديدة التى تعودناها فى كتاباتنا ، إذ إن آثار الشيخ العلمية التى بين أيدينا تدل على أنه من العلمـــاء الذيـــن وهبهم الله البصر بالأمور ، والصبر على درسها ومعالجتها ، ويكفى شاهدا على ذلك موسوعته الرائدة (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) التى أنفق خمسا وعشرين سنة من عمره فى تأليفها ، ويظل تحقيقه لكتاب أبى العباس المبرد (المقتضب) عملا متفردا فى بابه ، أشاد به أهل هذا الفن .

1ــ ذكر ذلك فى هامش ص 415 من مجلة كلية الدعوة .

والأهم من كل هذا الحديث الذى قد تلونه العاطفة ، أن كلام الشيخ يدل ضرورة على أنه قد قرأ (الجنى الدانى) قراءة متأنية فاحصة ، مدققة ، وإلا ما كان له أن يحدثنا عنه بشيء البتّة ، فهو عندما عرّفنا بهذا الكتاب فى مقدّمة مؤلّفه (دراسات لأسلوب القرآن الكريم 96/1 ــ 97) تحدث إلينا حديث العارف بمجاهل هذا الكتاب ، إذ احتوى خمس نقاط لايذكرها إلا من قرأ (الجنى الدانى) قراءة متأمل ، لعلّ من أهمّها :

- نقل المرادى من كتاب (رصف المبانى) للمالقى ، فى هذه الحروف : الباء ، اللام ، لام الابتداء ، الواو ، بل ، إذا ، فى ، مذ ، ما النافية ، ها ، أجل ، إذن ، ألا ، ثم ،إيّاك ، كلا ، لكن ، لولا . ونجد فيه نقولاً من : المقتضب ، سر ٰصناعة ، وكتب أبى على ، والمستوفى ، والمفصل ، والبديع ، وعن ابن مالك كثيراً ، وكذلك عن أبى حيان .
- كان يميل إلى الإيجاز فيحيل على كتبه الأخرى .
- كان مولعاً بنظم (معانى الحروف) : نظم معانى الفاء ، الكاف ، أقسام اللام ، معانى الواو ، معانى ال ، أقسام إنْ ، معانى أنْ ، معانى مِنْ، الفرق بين إذا الشرطية ، وإذا الفجائية .

ثم إن الشيخ عضيمة عندماتحدث فى مقدمته عن كتب (معانى الحروف) كان يستقى معلوماته عنها أيضا من خلال كتب التراجم والطبقات مثل : وفيات الأعيان ، إنباه الرواة ، معجم الأدباء ، بغية الوعاة ، وكتاب الأشباه والنظائر ، ولم يكن كتاب (كشف الظنون) مِنْ بين هذه المصادر التى أشار إليها ، لكى نفترض أنه وقع على قول حاجى خليفة وبنى عليه مجمل رأيه دون نظر متأمل منه فى كتاب (الجنى الدانى) والشيخ فى الأمانة العلمية هو من هو ، فلو كان قد نظر (كشف الظنون) ووجد هذا الرأى فيه لأشار إليه حتما .

هذه النقاط التى عرف بها الشيخ كتاب (الجنى الدانى) توحى بلا جدال أنه قد قرأ هذا الكتاب ، وفتشه تفتيشا متأملاً فاحصا إلا إذا كان الشيخ ممن يرجمون بالغيب ، فتطابق خيالاتهم عين الحقيقة ، ولم يكن الشيخ من أهل هذا الشأن ، بل هو بشر يجوز عليه مايجوز عليهم من السهو والنسيان والغلط ، إذ النقص مستول على جملتنا ، غير أنه لم يكن ليحدثنا بما لايعلم ، لإدراكه أن شمس الحق لا يحجب شعاعها بغربال .

والباحث لايخفى سخريته واستخفافه بالأستاذين الفاضلين اللذين حققا كتاب (الجنى الدانى) فيأتى بتعليقات على أقوال لهما وردت فى المقدمة التى كتباها من مثل قولهما : (وهٰذا اللقاء ليس قاصرا) ، فيعلق عليه بين قوسين : الصواب مقصورا . (مجلة كلية الدعوة 415) ، كما يصف قولهما : (الأمر الذى يدعو) بأنه (تعبير ركيك) ، كما يتهمهما بالحيس والخلط فى كلامهما .

إن نقاش مثل هذه القضية يحتاج إلى وقفة طويلة ، غير أنى أكتفى فى هذا المقام بالقول إن بعض علماء اللغة أنفسهم قد وقعوا فى بعض الأخطاء اللغوية التى حكموا على نظائرها بمخالفة الصواب اللغوى .

- يرى ابن قتيبة فى كتابه (أدب الكاتب 323) أن تعدية الفعل (عيّر) بالباء إلى مفعوله الثانى خطأ لغوى ، ولكنه هو نفسه وقع فى هذا الخطأ فى مقدمة الكتاب

نفسه[2] قال (12) : " وأورد الأحنف أن قريشا كانت تُعَيِّرُ بأكل السخينة " .

- وابن هشام نفسه لم ينج من مثل هذه الأخطاء اللغوية ، فقد قال فى مقدمة المغنى (1 / 14) : " وهـا أنا بائح بما أسررته " مع نصه فىالمغنى (2 / 402) أن هاء التنبيه إذا دخلت على ضمير رفع (كما فى قوله) لايكون خبره إلا اسم إشارة مثل قوله تعالى " هاأنتم أولاء ــ آل عمران 119 ــ " .

وقد ارتكب ابن جنى عدة أخطاء لغوية فى مؤلفاته منها :

- تقديـم النفس من ألفاظ التوكيد المعنوى على المؤكد ، وهى لاتتقدم عليه وفق حكم القاعدة المعيارية ، من مثل قوله (الخصائص 1 / 101) : " لم تباشر نفس الفعل " و " وإن لم تل نفس الفعل)) .
- كلمـة (كافة) لاتستعمل إلا نكرة ، مؤخرة ، منصوبة على الحالية ، فى الأناسى وذلك ماخرج عن حدّه ابن جنى فى مثل قوله (الخصائص 1 / 9 ، 388/2) : ، ((والوجه فيه ماعليه الكافة " و " هذا عند كافة أصحابنا " ، إذ جعلها متصرفة مثل كل وجميع من ألفاظ العموم ، (وانظر درّة الغوّاص 56) .

وغـير هـؤلاء كثير[3] مما يعنى أن الألف اللغوى يغلب الحكم المعيارى حتى لدى أسـاطين اللغة وعلمائها ، الذين وضعوا هذه الأحكام المعيارية لكى يتجنب المتكلمون باللغة الوقـوع فـى الخطأ . ومن البين أن ألسنة المتكلمين باللغة لاتخضع لمعيار إلا معيار اللغة نفسها الذى يتطور وينمو ويتجدد دائما ، وذلك مانراه واضحا فيما كتبه اللغويون من كمّ هائل مـن المصـنفات حاولوا أن يعالجوا بها فى مختلف الأزمنة ماأسموه (لحن العامة) ، ولو أفلحـت محـالاوتهم تلك لكف اللغويون المعاصرون ومن قبلهم عن معالجة هذا الأمر ، إذ لاحياة لأية لغة إلا بأن يفرض عليها التطوّر قوانينه .

والباحـث يرتكب خطأ علمياً تأباه أصول البحث العلمى ، إذ إنه يتعمد أن يقفز فوق الحقـائق ، ويتجاهلها ليصل إلى العدوة القصوى وهى : تبرئة ابن هشام مما نسب إليه من السـطو علـى جهد ابن أم قاسم المرادى العلمى ، بل إنه ليلوى عنقها ليا عنيفا ليصل إلى مبـتغاه الـذى يظـل فى الأحوال كلها مبتغى دون دليل يسنده ، وحجة تدعمه ، وليس أمام الباحث من خيار إلا ركوب هذا المركب الوعر الشعث لينقض ماقاله هؤلاء الباحثون ويبنيه من جديد .

إن الباحـث يـريد الذهاب إلى الضفة المقابلة بلا وسيلة ، فيثبت لنا أن ابن أم قاسم المـرادى هـو الذى سطا على (المغنى) لابن هشام ، ولفق منه كتابه (الجنى الدانى) ، ولاسبيل إلى ذلك إلا بتجاوز أمرين ، لايمكن تجاوزهما إلا بدليل بين وحجة دافعة :

2ــ البطليوسـى ، الاقتضاب 1 / 109 " وقد تأملته فىعدة من النسخ المضبوطة ، الصحاح فوجدته بالباء ، والصـحيح فىهذا أنهما لغتان ، وإسقاط الباء أفصح وأكثر " قال الحريرى (درة الغواص 168) : ولم يسمع فى كلام بليغ ولا شعر فصيح تعدية (عيّرته) بالباء " .

3 ــ ابـن منظور ، لسان العرب (بعض) : " واستعمل الزجاجى (بعضا) بالألف واللام ، فقال : وإنما قلنا البعض والكـل مجازاً وعلى استعمال الجماعة له مسامحة ، وهو فى الحقيقة غير جائز ... قال أبو حاتم : قلـت للأصـمعى رأيـت فى كتب ابن المقفع (العلم كثير ، ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل) فأنكره أشد الأنكـار ، وقـال : الألف واللام لايدخلان فى بعض وكل ، لأنهما معرفة بغير ألف ولام ، ... قال أبو حاتم : ولاتقول العرب : الكل والبعض ، وقد استعمله الناس حتى سيبويه والأخفش فى كتبهما ...

- ألف ابن هشام (المغنى) مرتين ، كما ذكر فى مقدمته ، الأولى كانت سنة749 هـ ، وقد ضاع منه هذا التأليف الأول ، ثم أعاد تأليفه عندما جاور بمكة المكرمة سنة 756 هـ ، أى بعد سبع سنوات من ضياع التأليف الأول .
- توفى ابن أم قاسم المرادى يوم عيد الفطر من سنة 749 هـ كما نص على ذلك كل من ترجم له ، وهى السنة التى ألف فيها ابن هشام كتابه للمرة الأولى .

ويريد الباحث أن يتخطى حاجز هذين الأمرين ، ويعيد بناءهما من جديد ، ليكون رأيه وجيها مقبولا ، وتجاوز هذين الأمرين لن يحدث إلا اذا افترضنا أن ابن أم قاسم قد توفى بعد سنة 749 هـ ، بمدة صالحة لتأليف كتاب وأنه قد عثر على التأليف الأول للمغنى الذى وضعه ابن هشام سنة 749 هـ ، وضاع منه أثناء أوبته من الحجاز إلى مصر .

وقد أسعف الباحث بما بدا أنه يحقق له طلبته وغايته ، قال (مجلة كلية الدعوة 429) :

" وقد وجدت ابن حجر فى (الدرر الكامنة) يقول : وقد رأيته بخطى ، ولا أدرى من أين نقلته ، وكانت وفاته سنة 755 هـ ، والذى يبدو أن هذا هو الحق الذى لا محيد عنه " .

وليس أمام الباحث من خيار إلا التمسك بهذه الرواية وهى رواية شاذة ، لايؤبه بها ، ولا يعول عليها ، لضياع مصدرها من ابن حجر ، ولوجود رواية أخرى بإزائها تضافر النقلة على حملها وأدائها إلينا ، تحدد تاريخ وفاة ابن أم قاسم بدقة متناهية ، إلا أن الباحث بعثوره على هذه الرواية اليتيمة ــ أشار إليها محققا (الجنى الدانى) فى الهامش ــ قد سقط على بيضة العقر ، فلا مناص أمامه إلا أن يعض عليها بنواجذه ، وإلا طارت دعواه ذرات تتعاورها الرياح قبل أن يستطيع لم شتاتها المتطاير فى كل اتجاه .

كما حسم القضية الثانية ببساطة متناهية ، فقال : " وكأن كتاب ابن هشام سُرقَ ، أو غُصِبَ ــ وقد مر أنه كثر الفساد ، وقطع الطريق ، وعم الغلاء ــ فلما كان شىء من ذلك حُمِلَ إلى مصر وبيع هناك فوقع عليه ابن أم قاسم " (مجلة كلية الدعوة 428) .

لقد أسس الباحث درسه هذه القضية على الشك عندما ابتدأه بكأن التى نص الكوفيون والزجاج على أنها تحمل معنى الشك إذا كان خبرها مشتقا ، ثم تتوالى بعد ذلك أفعال كلها مبنية لفاعل مجهول ، إلا أنها أوصلت الباحث إلى نتيجة حاسمة لاشك فيها عنده ، وهى أن التأليف الأول لكتاب ابن هشام (المغنى) قد استقر بعد تطوافه المجهول بين يدى ابن أم قاسم المرادى ، ولايمكن لعاقل قبول هذه ا لنتيجة ، والتسليم بها إلا إذا ألغينا منحة التفكير التى وهبها الله لخلقه المكرمين.

هل يستطيع الباحث أن يبين لنا الكيفية التى ضاع بها (المغنى) من ابن هشام ، عند عودته من الحجاز إلى مصر ، وأين ضاع منه ؟ هل سرق الكتاب من ابن هشام ، أو دفن تحت الرمال ؟ أو غصب منه ؟ أواحترق بالنار ؟ أو أن قوى خارجية قاهرة اختطفته من ابن هشام ، وأودعته بين يدى ابن أم قاسم المرادى ، هدية ثمينة سقطت عليه من حيث لايحتسب ؟! وهل كان المرادى على نبأ وعلم بخبر هذا الكتاب : تأليفه ، وضياعه ؟

كل ذلك قد يجيزه العقل ، غير أن بحث هذا الأمر خبط عشواء ، إذ إنه ما من نتيجة يصل إليها الباحث فى هذا الشأن إلا تبرز أمامه نتائج أخرى تنقضها من أساسها ، وتقوض

بنـيانها ، هذا إن وصل إلى نتيجة . أما أين ضاع (المغنى) ، فكل بقعة من مكة المكرمة إلى القاهرة هى مظنة أن يكون قد فقد عندها .

وإذا كـان الباحث يمهد لنتائجه الحاسمة بهذه المقدمات المفككة الأوصال ، فربما كان مـن حقـنا أيضا استخدام منهجه نفسه ، فنقول : أحقا ألف ابن هشام كتابه (المغنى) للمرة الأولـى بمكة المكرمة سنة 749 هـ ثم ضاع منه فى طريق عودته إلى أرض الكنانة ؟ ألا يجوز أن تكون هذه القصة برمتها من اختلاق ابن هشام ليدفع عن نفسه معرة اتهامه بسرقة كتاب ابن أم قاسم (الجنى الدانى) ؟ أى أنه يحاول منذ البدء أن يضع دليل براءته أمام من يـتهمه بالـنقل عن المرادى مقدما . أليس هذا الأمر مما يجوزه العقل أيضا ، ويسوغه نهج الباحـث ؟ غـير أنـنا لانذهب إليه ، فابن هشام صادق فيما كتبه غير متهم لدينا فى سلامة سريرته وذمته .

إن هاتيـن القضيتين اللتين أثارهما الباحث وحسم القول فيهما دون بينة لا يمثلان إلا مقدمـة ضرورية لأس البحث وعماده ، وهو الأمر الذى يعنينا أن نغوص فيه مع الباحث ، ونبيـن فساده ، ونوضح بطلانه ، لأنه الفيصل الذى لا محيد عنه لمن أراد أن يحسم الجدل فى هذه القضية ، وقد أبان عن وجهه الباحث ، فقال (مجلة كلية الدعوة 418) .

" إن القـارىء للباب الأول من (المغنى) وكتاب (الجنى) قراءة متأنية ، متأملة ، فاحصة ، لاقراءة يسيرة فعل (قباوة وصاحبه) يرى بجلاء أن المرادى قد اطلع علـى (المغـنى) وأخذ منه ، ذلك أن الاتفاق بين الكتابين أنواع ، ليس فيها فى نفسها دلالة على شـيء ممـا نحـن فيه إلا نوع واحد ، وصورته ، أن ينسب أحد المؤلفين القول إلى غيره بقولـه : قيل ، أو قال بعض النحويين ، أو نحو ذلك ، ثم نجد القول نفسه عند الآخر غير منسوب إلى أحد أيْ ينسبه إلى نفسه . وقد وجدت ابن أم قاسم يعزو القول إلى غيره ، وابن هشـام هو صاحب القول فى كتابه (المغنى) ولهذا أمثلة كثيرة ، بعضها أوضح من بعض فى الدلالة.. "

هـذا هو الأمر المنطقى الوحيد فى بحث الباحث ، وأنا أوافقه كل الموافقة فى اتخاذه هـذا المقـياس فيصلا يحسم هذه القضية ، غير أن الباحث قد تجاهل أمرا ما كان لمثله أن يـتجاهله ، ويـرمى به وراء ظهره ، إذ لهذا المقياس وجه آخر هو أكثر حسما مما عرضه علينـا الباحـث ، وهو ما يمكن طرحه فى صيغة السؤال التالى : هل ثبت لدى الباحث أن الآراء والأقوال التى وردت فى (المغنى) غير معزوة إلى أحد وجاءت فى (الجنى الدانى) مبهمة الإسناد ، هى من الآراء التى تفرد ابن هشام بالقول بها ، أو أنه قد سبق إليها ولكنه لم ينسبها إلى أصحابها ومصادرها التى استقاها منها فعل المؤلفين المدققين ؟

يعلـم الباحث ــ بحكم طبيعة تخصصه ــ أن التراث النحوى العربى المتأخر لم يكن يتصـف بـالخلق والجـدة والطـرافة فى مباحثه اللغوية ولابتغير طرق مناهجه ، وتطور أصـولـه ، وإنمـا مـيزته الظاهـرة هى التكرار وطول الترداد بكثرة النقول عن النحاة السابقيـن ، سواء ذكر أصحاب هذه النقول ، أم سكت عنهم ، وهى سمة بارزة طبعت النحو العربى منذ ظهر " كتاب " سيبويه إلى الوجود .

إن الاجتهاد النحوى قد قفل بابه ، وأحيط بناؤه بسياج محكم متين من القداسة ، لتوهم

النحاة حقا أو باطلا أن هذه المناهج التى درست على ضوئها اللغة العربية ، وقننت أحكامها ، ووضعت معاييرها مناهج صالحة لكل وقت ، وغير قابلة للتغير والتطور ، بينما مظاهر الحياة جميعا الواقعة فى نطاق حسهم تتجدد وتتطور دائما ، وانبنى على ذلك لديهم أنه من التعسف الفصل بين اللغة الحية على ألسنة المتكلمين وهذه المناهج الجامدة التى لاتتحرك ، وليس الأمر فى حقيقته كذلك ، فاللغة قد تتصف قواعدها وأحكامها التركيبية ، وأبنية كلماتها الصرفية بالثبات والاستقرار ، أو يلحقها تغير بطىء لايكاد يلحظ ، كما هو شأن اللغة العربية لارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم ، وميراث الإسلام الحضارى ، غير أن اللغة فى معانى ألفاظها ، ودلالات كلماتها متجددة متطورة كى تلبى حاجات الناس المتحركة فى دأب لايمل كما أن المناهج التىتدرس بها هذه اللغة قابلة للتغير والتطور ، وإلا اتصفت حياتنا كلها بالجمود والهمود ، وهى حالة موت وانتحار لاتناسب الفعل الإنسانى الحى .

إن سلطان " كتاب " سيبويه قد طغى على من جاء بعده من النحاة ، فاهتموا به قراءة وشرحا وتدريسا ، وظلوا يطوفون حوله غير قادرين على الانفلات من عقال سلطانه المميت ، فإذا ماحاولوا وضع مؤلفات تنسب إليهم ، اغترفوا من نبع (الكتاب) الذى لاينضب أبدا إلا فيما شذ وندر من الآراء والأقوال النحوية التى لاتخرج عن المنهج الذى اختطه سيبويه ومن سبقه من النحاة الأوائل قيد أنملة ، فهى لاتؤصل منهجا نحويا متميزا، ولاتبنى أساسا لغويا جديدا لدرس النحو العربى .

وقد جاء ابن أم قاسم وابن هشام بعد استقرار الدراسة النحوية أصولا وفروعا ، واكتمال بنائها منذ أمد طويل وحفلت المكتبة العربية بمئات المصنفات فى هذا الشأن ، فلم يكن أمامهما إلا النقل عن هذه المؤلفات والاعتماد عليها فيما يؤلفانه[4] ، وهو أمر لاضير فيه ــ مادام لم يترك الأول للآخر شيئا ــ إن نسبت الآراء إلى أصحابها ، ووثقت من مصادرها الأصلية ، المباشرة وغير المباشرة ، غير أننا نجد فى الكتابين آراء كثيرة لم توثق نسبتها إلى أصحابها ، وتلك لعمرى سرقة بينة يستوى فيها ابن أم قاسم وابن هشام وغيرهما .

إن الباحث لو كلف نفسه عناء البحث عن أصحاب هذه الآراء والأقوال التى جاءت دون نسبة ، أو بإسناد مبهم فى الكتابين : الجنى والمغنى ، لوجد أن ليس لابن هشام وابن أم قاسم من فضيلة إلا نقلها عن غيرهما من النحاة المتقدمين عليهما ، وماخاض فى بحث هذه القضية من أساسها ، لأن أقوى أدلته وأمتنها التى يعتمد عليها فى إثبات صحة دعواه قد ارتدّ أثرها إليه ، تناديه : أن قد أخطأت السبيل القويم .

يورد الباحث مسائل معينة مختارة ، واردة فى الكتابين ، ويتخذ من مجىء رأى أو

---

4 ــ ربما كان كتاب ابن مالك (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) هو قمة التأليف النحوى الموسوعى عند العرب ، إذ حشد فيه أقوال النحاة السابقين واختلافاتهم حشداً لم يغادر شيئا ، وقد شرحه ابن مالك نفسه شرحا غير مكتمل ، فحاول ابنه إتمامه ، ثم جاء أبو حيان الأندلسى فكتب له شرحا ضخما سماه (التذييل والتكميل فى شرح التسهيل) ثم اختصره فى كتابه (ارتشاف الضرب من لسان العرب) ولم يكن المرادى وابن هشام بمعزل عن هذا الكتاب ، فقد شرحه المرادى ، ولابن هشام أربعة كتب تدور حوله ، ومن هنا فى رأى كثرة النقول فى (المغنى والجنى) عن النحاة المتقدمين .

قــول نحــوى غير منسوب إلى أحد فى (المغنى) ، ومجيئه فى (الجنى الدانى) مصدرا بإسناد مبهم ، دليلاً على أنّ المرادى قد نقل عن ابن هشام ، إذ خلو هذا الرأى أو القول من الإسناد مطلقا يثبت أنه لابن هشام نفسه ، لا لأحد غيره ، والحق أن هذه الآراء التى جاءت فــى (المغنى) غير معزوة إلى أحد ، وفى (الجنى الدانى) مبهمة الإسناد ، ليست لابن هشام ، وإنما هى لغيره من النحاة الذين سبقوه .

وبطبــيعة الحال فإن المقام يضيق عن ذكر المسائل التى أوردها الباحث مفصلة ، أو أشار إلى مواطن ورودها فى الكتابين وإنما نذكر بعضا منها للتدليل على أن الباحث لم يكن موفقا فى الأساس الذى أقام عليه دعواه ، وبحثه ، فهو أساس متداع إذا انهدم تبعه ضرورة ماعداه بالسقوط والتهاوى .

1 ــ مجيء (عَنْ) دالة على الظرفية .

قال ابن هاشم :

" السادس من معانى (عن) : الظرفية كقوله :

وآس سراة الحى حيث لقيتهم ولاتك عن حمل الرباعة وانيا[5]

قــيل : لأن (ونى) لايتعدى إلا بــ (فى) بدليل : ("ولاتنيا فــى ذكــرى ــ طــه 42 ") .

والظاهــر أن معنى (ونى عن كذا) : جاوزه ولم يدخل فيه ، و (ونى فيه) : دخل فيه وفتر .

وقال ابن أم قاسم :

" السابع من معانى (عن) : أن تكون بمعنى (فى) كقول الشاعر :

وآس سراة الحى .... البيت

... هذا قول الكوفيين .

وقال بعض النحويين : تعدية (ونى) بــ (فى وعن) ثابتة ، والفرق بينهما أنك إذا قلــت : ونى عن ذكر الله ، فالمعنى : المجاوزة ، وأنه لم يذكره ، وإذا قلت : ونى فى ذكر الله : فقد التبس بالذكر ، ولحقه فيه فتور وأناة " (مجلة كلية الدعوة 424) .

الــتماثل بين النصين واضح ، إلا أن المرادى يأتى بإضافة مهمة ، وهى نسبة دلالة (عــن) علــى الظرفــية إلى أهل الكوفة ، والباحث يرى أن ابن أم قاسم هو الناقل عن ابن هشــــام ، لأن قولــه : (وقال بعض النحويين) لا ينصرف إلاّ إلى ابن هشام ، بحجة أن ماجاء بعد هذه العبارة فى الجنى قد ورد فى (المغنى) دون أن يعزى إلى أحد من النحاة ، لاتصريحا ، ولاتلويحا ، مما يعنى عند الباحث أنه رأى خاص لابن هشام ، تفرد به من بين النحاة جميعا .

تتبع هذه المسألة فى كتب النحاة يثبت أن مأخذ نص المرادى ومصدره إنما هو كلام شــيخه أبــى حيان الأندلسى (ت 745هــ) ، وقد نقله من شرحه على (التسهيل) لابــن مالــك (ت 672 هــ) ، وكان أبو حيان قد ردّ على ابن مالك إجازته أن تأتى (عن) دالة

5ــ الشاهد للأعشى ميمون بن قيس البكرى ، ديوانه ص / 217 شرح أبيات المغنى 298/3 ــ 300.

على الظرفية . ونص أبى حيان نقله عبدالقادر البغدادى (ت 1093 هـ) فى كتابه (شرح أبيات المغنى ، 298/3) :

" قال أبو حيان : قال المصنف فى الشرح : واستعمال (عن) موافقة لـ (فى) كقول الشاعر :

واس سراة الحىّ .... البيت .

وجعلت هنا الأصل (فى) كقوله تعالى ((ولاتنيا فى ذكرى))[6]

وتعدية (ونى) بـ (عن) مستعملة فى لسان العرب ، وفرق بين : ونى عن كذا ، وونى فى كذا ، فإذا قلت : ونى عن ذكر الله ، فالمعنى المجاوزة ، وأنه لم يذكره ، وإذا قلت : ونى فى ذكر الله ، فقد التبس بالذكر ، ولحقه فيه فتور " إن نص المرادى كما هو واضح منقول بحذافيره عن أبى حيان وقوله : قال بعض النحويين ، إنما يعنى به أستاذه أبا حيان ، وليس ابن هشام كما توهم الباحث دونما دليل فكيف إذن سقط هذا القول إلى ابن هشام ؟ ليست ثمة إلا طريقان :

1. أن يكون ابن هشام قد نقله مباشرة من كتاب أبى حيان .

2. أنه أخذه عن (الجنى الدانى) بعد أن تصرف فى ألفاظه ببعض التحوير غير المؤثر فى جوهره ، وفحواه . أما أى افتراض آخر ، فهو بحث وراء سراب ، ومعاناة باطل ، وفى الحالتين تظل أمانة ابن هشام العلمية محل نظر ، لأنه نقل عن غيره دون أن ينسب إليه ما أخذه عنه ، لاصراحة ، ولا إشارة ، مما جعل الباحث ينزلق هذا المنزلق ، فيظن أنه قد وقع على عين الحقيقة ، وحصل على دليل براءة ابن هشام مما نسب إليه من السطو على جهد المرادى العلمى فى كتابه (الجنى) .

2 ــ دلالة (منْ) على ابتداء الغاية ، وانتهائها .

قال ابن هشام :

" الثالث عشر من معانى (من) : الغاية ، قال سيبويه : " وتقول : رأيته من ذلك الموضع ، فجعلته غاية لرؤيتك " اهـ [7]

أى : محلا للابتداء والانتهاء " .

6ــ ابن مالك ، شرح التسهيل ، 161/3 . وفيه : واستعمالها .

7ــ قال أبوحيان (ارتشاف الضرب 442/2) : " يريد أن (من) دخلت على المحل الذى وقع فيه ابتداء الرؤية وانتهاؤها ، ولذلك سماها غاية ، لما كان محيطا بغاية الفعل " .

وقال ابن أم قاسم :

" الثامن من معانى (من) أن تكون للغاية ، نحو : أخذت من الصندوق ، ذكره بعض المتأخرين ، وحمل عليه كلام سيبويه المتقدم قال : إنه محل لابتداء الغاية وانتهائها معا " (مجلة كلية الدعوة 423) .

إن الباحث عندما وجد المرادى يقول : " ذكره بعض المتأخرين " اتّخذ ذلك حجة على نقل ابن أم قاسم عن ابن هشام ، إذ المعني بهذا القول هو ابن هشام ، لا أحد غيره ، لمجيء الكلام فى (المغنى) خلوا من الإسناد . وابن هشام فى واقع الأمر ينقل كلام سيبويه عن طريق كتاب ابن مالك (شرح التسهيل 136/3 ولم ينقل ابن مالك نص سيبويه تاما كما ورد فى (الكتاب) ولذا جاء تعقيب ابن هشام : أى محلا للابتداء والانتهاء " موحيا أنه من تفسير ابن هشام نص سيبويه ، والحق غير ذلك .

قال سيبويه فى (الكتاب 4 /225) :

" وتقول : رأيته من ذلك الموضع ، فجعلته غاية رؤيتك ، كما جعلته غاية ، حيث أردت الابتداء والمنتهى "[8]

كما نجد هذا الفهم نفسه عند أبى حيان فى (البحر المحيط 8 /108) قال : " أثبت أصحابنا فى معانى (من) أنها تكون لابتداء الغاية وانتهائها فى فعل واحد ، وأن الشىء الواحد يكون محلا لهما ، وتؤلوا ذلك على سيبويه " . وانظر (رصف المبانى 323) .

إن ابن هشام لم ينفرد بهذا القول ، بل هو مسبوق إليه ، مما يعزز ماقلته سابقا من أن ابن أم قاسم وابن هشام ليسا بنحويين مبتكرين ، وإنما هما نحويان يتبعان خطى النحاة السابقين ، حذوك النعل بالنعل .

3 ــ دلالة (هل) على معنى التحقيق .

تدل (هل) فى الأصل على الاستفهام ، وقد تخرج عن هذا المعنى إلى الدلالة على التحقيق ، وتأكيد حصول مابعدها ، مما يعرف بتعدد المعنى الوظيفى للمبنى الصرفى الواحد ، وقد ثار بين النحاة جدل وخلاف حو انصراف (هل) إلى الدلالة على هذا المعنى الجديد ، وبخاصة إذا دخلت عليها همزة الاستفهام ، كما فى قول زيد الخيل :

8ــ نقل هذا النص ابن السراج فى كتابه (الأصول فى النحو 1/ 411) ، ولم ترد فيه كلمة المنتهى ، وربما يؤكد زيادة كلمة (المنتهى) على نص سيبويه قوله بعد : (وتقول : مارأيته منذ يومين ، فجعلتها غاية ، كما قلت : أخذته من ذلك المكان ، فجعلته غاية ، ولم ترد منتهى ، الكتاب (622/4) وشرح ابن السراج كلام سيبويه يدل على أنه لم يرد منتهى ، وربما عزز ذلك قول أبى حيان : " وتؤلوا ذلك على سيبويه / وهى ثابتة فى (النكت فى تفسير كتاب سيبويه ، للأعلام 1129) .

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم

وقـد كـان ابن هشام من النحاة المانعين مجيء هل خارجة عن معنى الاستفهام إلى معنى التحقيق ، قال : " وبالغ الزمخشرى فزعم أنها أبدا بمعنى : قد ، وأن الاستفهام إنما هو مستفاد من همزة مقدرة معها ، ونقله فى (المفصل) عن سيبويه ، فقال : وعند سيبويه : أن هل بمعنى قد ، إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لاتقع إلا فى الاستفهام " .

وقد جاء دخولها عليها فى قوله :

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم[9]

... وقـد عكس قوم ماقاله الزمخشرى ، فزعموا أن هل لاتأتى بمعنى قد أصلا[10] ، وهذا هو الصواب عندى ، إذا لا مستمسك لمن أثبت ذلك إلا أحد ثلاثة أمور ...

والثالـث : دخول الهمزة عليها فى البيت ، والحرف لايدخل على مثله فى المعنى ، وقد رأيت عن السيرافى أن الرواية الصحيحة : (أم هـل) ، وأم هـذه منقطعـة بمعنـى (بل) ، فلا دليل ، وبتقدير ثبوت تلك الرواية فالبيت شاذ ، على أنه من الجمع بين حرفين لمعنى واحد ، على سبيل التوكيد ، كقوله :

ولا للما بهم أبدا دواء[11] .

بل الذى فى ذلك البيت أسهل ، لاختلاف اللفظين ، وكون أحدهما على حرفين "

وقال ابن أم قاسم :

" وأنكـر بعضهم مرادفة (هل) لـ (قد) ، وقال : يحتمل أن يكون : أهَلْ رأوْنا . مـن الجمـع بين أداتين لمعنى واحد على سبيل التوكيد كقوله : ولا للما بهم أبداً دواء ، بل الجمع بين الهمزة وهل أسهل ، لاختلاف لفظهما ، ولأن أحدهما ثنائى " (مجلة كلية الدعوة 425) .

9ـ الزمخشرى ، المفصل فى صنعة الإعراب ص 319 ، سيبويه ، الكتاب 981/3 ، 1 / 100 .

10ـ جعل البغدادى فى (الخزانة) 11 / 266) من هؤلاء ابن جنى ، الذى إن قال في (الخصائص 462/2) : " فأمـا (هل) فقد أخرجت عن بابها إلى معنى (قد) نحو قول الله سبحانه (هل أتى على الإنسان حين مـن الدهـر . الإنسان 1) قالوا : معناه قد أتى عليه ذلك ، وقد يمكن عندى أن تكون مبقاة فى هذا الموضع علـى بابهـا مـن الاستفهام ... فإن قلت : ماتصنع فى قول الشاعر : سائل فوارس ... البيت ، ألا ترى إلى دخـول همـزة الاسـتفهام على هل ، ولو كانت على مافيها من الاستفهام لم تلاق همزته ، لاستحالة اجتماع حرفين لمعنى واحد ، وهذايدل على خروجها عن الاستفهام إلى معنى الخبر .

قـيل : هـذا قول يمكن أن يقوله صاحب هذا المذهب ، ومثله خروج الهمزة عن الاستفهام إلى التقرير ... فإنـه قال بعد كلام طويل 2 / 456: فمن هنا جاز أن تقع (هل) فى بعض الأحوال موضع (قد) وهذا كـاف فى إيضاح المراد والأغرب منه نسبة ذلك إلى الزجاج ، وهو يقول فـى (معانـى القـرآن وإعرابـه 5/ 752) : " ومعنى (هل أتى) قد أتى على الإنسان أى : ألم يأت على الانسان حين من الدهر " .

11 ـ الشـاهد لمسـلم بـن معبد الوالبى ، وروايته فى (شرح أبيات المغنى 4 / 134) نقلا عن (منتهى الطلب)

فلا وأبيك لايلفى لما بى وما بهم من البلوى دواء .

ولاشاهد فيه على هذه الرواية .

يبدأ ابن هشام نصه بمقولة خاطئة ، إذ إن الزمخشرى من النحاة القائلين بدلالة (هل) على الاستفهام قال فى (المفصل 319) : " ومن أصناف الحروف حرفا الاستفهام ، وهما : الهمزة وهل فى نحو قولك : أزيد قائم ، وأقام زيد ، وهل عمرو خارج ، وهل خرج عمرو ، والهمزة أعم تصرفا فى بابها من أختها " فلا معنى لقول ابن هشام : " وبالغ الزمخشرى فزعم أنها أبدا بمعنى قد " . والزمخشرى فى ختام حديثه عن حرفى الاستفهام فى (متن المفصل) تحدث عن انحراف دلالة (هل) من الاستفهام إلى التحقيق بادئا حديثه بكلام سيبويه ، ثم استشهد ببيت زيد الخيل ، ولايعنى ذلك أنه يذهب إلى أن (هل) دالة على التحقيق أبدا ، والأمر الأهم أن الدليل الثالث الذى يورده الباحث دليلا على نقل المرادى عن ابن هشام هو من بضاعة الشيخ أبى حيان الأندلسى .

قال أبو حيان فيما نقله عنه البغدادى فى (الخزانة / هارون 11 / 267) : [12] " إن مرادفة هل لقد لم يقم عليها دليل واضح ، إنما هو شىء قاله المفسرون فى قوله تعالى (هل أتى على الإنسان حين) إن معناه : قد أتى ، وهذا تفسير معنى لاتفسير إعراب ، ولايرجع إليهم فى مثل هذا ، وإنما يرجع فى ذلك إلى أئمة اللغة والنحو ، لا إلى المفسرين ، وأما البيت ، فيحتمل أن يكون من الجمع بين أداتين لمعنىواحد ، على سبيل التوكيد ، كقوله :

ولا للما بهم أبدا دواء

" بل الجمع بين الهمزة وهل أسهل ، لاختلاف اللفظين "

لقد اتضح أن نص المرادى مأخوذ عن شيخه أبى حيان ، ولفظهما يكاد يكون واحدا ، وأن ابن هشام لم يكن أول من ذهب هذا المذهب ، متكئا على هذا الحجاج والاستدلال ، وإنما هو متابع لأبى حيان ، ينقل آراءه ، دون أن يسندها إليه ، وقد كان ابن هشام " كثير المخالفة له ، شديد الانحراف عنه[13] " .

ولانريد ترك هذه ا لقضية قبل نقاش أمر آخر ، وهو أن مانسبه الزمخشرى الى سيبويه صحيح ، ثابت نصه فى (الكتاب) ــ ومن يقرأ (المفصل) يدرك مدى عناية الزمخشرى بـ (كتاب سيبويه) ودقة اطلاعه عليه ــ وابن هشام نفسه يقر ذلك ، ويعترف به ، قال :

" وثبت فى (كتاب سيبويه) رحمه الله ، مانقله عنه ، ذكره فى باب (أم المتصلة) ، ولكن فيه أيضا ماقد يخالفه ، فإنه قال فى باب (عدة مايكون عليه الكلام) مانصه ، وهل : هى للاستفهام " ولم يزد على ذلك ".

ثم يجعل ابن هشام من الأدلة التى يستشهد بها فى إنكار مجىء (هل) بمعنى (قد) نقل سيبويه عن العرب أنهم لم يستعملوا (هل) خارجة عن معنى الاستفهام ، وأخذ سيبويه

12ــ وانظر ارتشاف الضرب 3 / 256 ــ 257.

13ــ السيوطى ، بغية الوعاة ، 69/2 ، وقال الشيخ عضيمة : " كذلك رأيته ــ أى ابن هشام " نقل كثيرا من أعاريب (البحر المحيط) لأبى حيان ، ولم يشر إليه ولو مرة واحدة ، والمواضع التى ذكر فيها اسم ابى حيان لاتتجاوز (36) وأكثرها كان نقدا أو اعتراضا على أبى حيان ، وأكاد أقطع بأن كل إعراب لايات القرآن مبسوط فى (المغنى) إنما كان من (البحر المحيط) . مأأخذه ابن هشام من (البحر) يزيد أضعافا عما نقله من (الكشاف) ومن العكبرى ، وقد صرح باسم الزمخشرى فى مواضع تزيد عن (150) وباسم العكبرى فى (45) ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم 1 / 100 وهى شهادة عالم مطلع على الكتابين اطلاع بحث ودرس .

ذلك ، قال ابن هشام : " والدليل الثانى : قول سيبويه الذى شافه العرب وفهم مقاصدهم ، وقد مضى أن سيبويه لم يقل ذلك[14] ".

ونكتفى هنا بما قاله البغدادى فى (الخزانة 11 / 268) رادا على أبى حيان وابن هشام إنكارهما إتيان (هل) بمعنى (قد) : " ويرد عليهما أن مارداه هو قول سيبويه إمام البصريين ، والمبرد[15] ، وقول إمام الكوفيين الكسائى ، وتلميذه الفراء[16] ، وكلهم أئمة النحو والتفسير واللغة ، وقد خالطوا العرب الفصحاء ، وسمعوا كلامهم ، وفهموا مقاصدهم ، وثبت النقل عنهم ، فيتعين الأخذ به ، ورد من خالفهم فى هذا الباب"[17] .

4 ــ تعدد صور " إنَّ " اللفظية والمعنوية .

قال ابن هشام :

1) تأتى (إنَّ) فعلا ماضيا ، مسندا لجماعة الإناث ، من (الأين)[18] وهو التعب ، تقول : النساء إنَّ ، أى تعبن .
2) أو من (آن) بمعنى قرب .
3) او مسند لغيرهن على أنه من (الأنين) ، وعلى أنه مبنى للمفعول ، على لغة من قال فى رُدَّ وجب : ردّ وَجِبَ ، بالكسر تشبيها له بقيل وبيع ، والأصل مثلا أن زيدٌ يوم

14ــ فى كتاب (شرح أبيات مغنى اللبيب 6 / 67) ومابعدها للبغدادى ، رد مطول على ابن هشام فى كلامه هذا بدأه بقوله : وقد أنكر المصنف ماتقله الزمخشرى عن سيبويه من أن هل بمعنى قد ، .... وهذا غير مستحسن من المصنف ، فإن الزمخشرى إمام حافظ ثقة مأمون فيما نقله ، إلى آخر النص ، وانظر (الخزانة 262/11) و (شرح المفصل ، لابن يعيش 152/8ــ153) .

15 ــ (المقتضب 42/1 ــ 43) وفيه : " ومنها هل وهى للاستفهام ... وقد تكون بمنزلة قد ... ولأنها تخرج عن حد الاستفهام تدخل عليها حروف الاستفهام ... وإن احتاج الشاعر إلى أن يلزمها الألف فعل كما قال : سائل فوارس وانظر 290/3 ــ 292 .

16 ــ الفراء ، معانى القرآن 213/3 ، وانظر أمالى ابن الشجرى (الطناحى) 107/3 ــ 108 .

17 ــ من النحاة الموافقين لمن ذكرهم البغدادى ، أبو على الفارسى فى (كتاب الشعر 1 / 88) ومعاصره الرمانى فى (معانى الحروف 102) ، وربما كان الرضى هو الذى قال بأن الأصل فى هل الدلالة على التحقيق ، جاء فى شرحه على كافية ابن الحاجب 4 / 446 : " إن أصلها ــ أى هل ــ أن تكون بمعنى (قد) فقيل : أهل ، قال : أهل عرفت الدار بالغريين . وكثر استعمالها كذلك ، ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال ، استغناء بها عنها ، وإقامة لها مقامها ، وقد جاءت على الأصل ، نحو قوله تعالى " هل أتى على الإنسان " أى " قد أتى."

18ــ يبدو أن اللغويين الأوائل لم يرووا عن العرب مجىء الفعل من مادة : (ء ي ن) ، فالخليل . (العين 404/8) نصَّ على أنه : (لايشتق منه فعل إلا فى الشعر) ، وكذلك أبو زيد الأنصارى فقد نقل عنه الجوهرى فى (الصحاح أين) أنه (لايبنى منه فعل) ، وقد نقل ابن هشام قول أبى زيد وعقب عليه بقوله : (فعلى قول أبى زيد يسقط بعض الأقسام . المغنى 1 / 39) . غير أن ثعلبا أحمد بني يحيى ينقل عن ابن الأعرابى : (آن ينين أينا من الإعياء) وأنشد : إنا ورب القلص الضوامر ، إنا : أى أعيننا) الأزهرى ، تهذيب اللغة (15 / 550) وقال ابن دريد فى (جمهرة اللغة 1 / 249 ، 565) : " إنا : فعلنا من : الأين وهو التعب ، وأنشدنا أبو عمران الكلابى لرجل من خثعم :

أونوا فقد أنا على الطلح أينا كأين الحافر الموكح .

وانظر : أبى الطيب اللغوى ، الأضداد 22 ، الخطيب التبريزى ، تهذيب إصلاح المنطق 134 ، وقد جاء المصدر (الأين) فى شعر النابغة الذبيانى ديوانه 27 ق 1 ب 46 .

الخميس ، ثم قيل : إن يوم الخميس .

4) أو فعل أمر للواحد من (الأنين) .

5) أو لجماعة الإناث من (الأين) .

6) أو من (آن) بمعنى قرب .

7) أو للواحدة مؤكد بالنون من (وأى) بمعنى : وعد كقوله : إن هند المليحة الحسناء...

8) أو مركبة من (إن النافية) و (أنا) كقول بعضهم : إنَّ قائمٌ والأصل : إن أنا قائم ، فعل به ما مضى شرحه (ص 24) .

" فالأقسام عشرة ، هذه الثمانية ، والمؤكدة ، والجوابية "

وقال ابن أم قاسم : " ذكر بعض النحويين لإن فى الكلام عشرة أنحاء " ثم ذكرها وهذا الموضع من الوضوح بحيث لايحتاج إلى بيان " (مجلة كلية الدعوة 422) .

إن هذا المبحث يحتاج إلى إيضاح أكثر بيانا مما ذكره الباحث فى هذه العبارة الموجزة ، فلم يكن ابن هشام أول من نص على هذه الأقسام الثمانية ، وإنما ذكرها النحاة قبله ، وفصلوا القول فيها من مثل : على بن عيسى الرمانى (ت 384 هـ) فى كتابه (معانى الحروف 111 ــ 112) :

قال : (وقد يكون ــ أى إن ــ على وجوه صناعية ، ولغوية ، فالصناعية أن تقول : وأيت أى وعدت ، فإذا أمرت بالنون الثقيلة مؤنثا قلت : إنَّ ياهذه)[19] .

ومن ذلك : آن الوقت يئين ، أى : حان ، فإذا أمرت مؤنثا مجموعا قلت : إنَّ ، كما

---

19 (وأى) فى بنائه الصرفى مثل : وقى ، وعى ، وشى ، أى : فعل معتل لفيف مفروق وهذه الأفعال تأتى فى الماضى ضمن التكوين المقطعى (ح ، ح ح) ويكون المقطع الأول فيها عبارة عن (و ــ " ح ") دائما ، ويسقط هذا المقطع عند تصريف هذه الأفعال فى المضارع والأمر ، لحدوث تتابع صوتى ينفر منه ذوق العربية ، فإذا بنينا فعل الأمر منها جاء مكونا من مقطع صوتى واحد ، قصير مفتوح (ح) فنقول : ق ،ع ، ش ، ء ، لوجود التتابع الصوتى (إ وْ ق يْ) مما ينتج عنه حذف شبه الصائت الساكن (وْ) والصائت القصير الذى قبله (إ) ثم حذف شبه الصائت الساكن (يْ) فإذا أسندناه إلى مخاطبة حركنا الصامت بكسرة طويلة : (قِ ، عِ ، شِ ، ءِ) وعند تأكيده تضاف على آخره نون مثقلة (نَّ) فتصبح بنيته الصرفية (قِ ، نَّ ، عِ ، نَّ ، شِ ، نَّ ، ءِ ، نَّ) مما ينتج عنه تكون هيأة الفعل من مقطعين صوتيين هما (ح ح س و ح) ، وليس هذا من المواضع التى يرد فيها المقطع (ح ح س) فى العربية ، فيحول إلى المقطع (ح س) بتقصير صائته ، فتصبح صورة هذه الأفعال اللفظية : (ق ، نَّ ، ع ، نَّ ، ش ، نَّ ، ء ، نَّ) ، ونلحظ أن الفعل الأخير (إنَّ) يأتى مشابها فى صورته اللفظية (الصناعية) لأداة التوكيد (إنَّ) وهى ليست مشابهة معنوية .

وكذلك إذا دل هذا الفعل على أمر الواحد ، وأكد بالنون الثقيلة (ء + نَّ) ، وهى مشابهة صناعة كذلك(انظر العين 442/8 ، لسان العرب (و ء ي) .

تقـول بعـن[20] وكذلـك إذا أخـبرت عن جماعة مؤنث[21] ، وتقول إن يازيد ، إذا أمرته بالأنيـن .

ومـن ذلـك : إن فـى المكان[22] ، إذا بنيت الفعل للمفعول . وأصله : أنَّ ، إلا أنك كسرت أوله قياسا على قولهم : حِلَّ فى المكان ، أى : حُلَّ ، وذلك أنهم يشبهون المضاعف بالمعتل فيكسرون أوله ، كما يكسرون أول : قيل ، وبيع وما أشبه ذلك .

ومـن مواضـعها قولك : إنَّ إلا قائم[23] فألقيت حركة الهمزة على النون ثم أدغمت النون فى النون ، وهذا كقوله تعالى (ولكنا هو الله ربى ــ الكهف 38) . أى : " أنا هو الله ربـى " .

وقـال ابن الشجرى فى (الأمالى 2 / 39) ، شارحا هذا البيت الذى وضع لرياضة المبتدئين :

.

---

20 ــ الأمـر مـن مثال : باع : بِعْ ، وأصله (إبْيِعْ) إلا أن القوانين الصوتية الوظيفية تحوله إلى : بيعْ مما ينشـأ عنه تكوين بنية الفعل الصرفية من مقطع صوتى واحد ، هو (ح ح س = بِـ عْ) الذى يجب تحويله هـنا إلـى : (ح س = بـعْ) فإذا أسند إلى جماعية الإناث المخاطبات ، اتصلت به نون النسوة (ن ــ) ، فـنقول : بِعْنَ ، وكذلك الحال بالنسبة للفعل : آنَ ، فالأمر منه بعد التغيير : (ء ــ ن) ، فإذا اتصلت به نون النسـوة ، أصـبح بـناؤه الصرفى (ءِ ن نَ) ويكتب : (إنَّ) ، بإدغام المثلين الساكن أولهما ، وهى أيضا صـورة صـناعية بالنسـبة لإن المؤكـدة ، وعدها من أقسامها خلط شديد ، إذ لااعتداد فى الأنواع الصرفية بالرسم الكتابى ، وإنما بالمعنى .

21 ــ يـأتى الفعـل فـى هـذه الصورة على مثال : إنَّ) ، وهى مكونة فى الأصل من الفعل الماضى : إن ، المسـند إلى جماعة الإناث الغائبات (ن ــ) = ءانَ + نَ ، ونون النسوة يبنى آخرا لفعل معها على السكون = (ءان + ْ ــ نَ) ، فيـتألف أول الفعل من المقطع الصوتي (ح ح س = ء ــ ــ نْ) فيقصر صائته ويحول إلـــى المقطـــع (ح س = ء ــ نْ) ، ثم يغير صائته الأول من فتحة إلى كسرة للدلالة على أن أصل عينه يـاء أو أنهـا مكسـورة فـى المضارع ، فتصبح صورة الفعل فى خاتمة المطاف : (إنَّ) وهى كما سماها الرمانى صورة صناعية .

22 ــ القـياس فـى الفعـل الماضـى الـثلاثى المعتل العين (الأجوف) أن تكسر فاؤه عند بنائه للمفعول ، لاستثقال مجىء ضمة وبعدها شبه صائت (و ــ ى) محرك بكسرة قصيرة ، فالأصل فى : قيل وبيع : قولَ ؛ بُـيعَ ممـا ينشـأ عنه التتابع الصوتى : (’+ و ــ ى + ِ) ، مما ينتج عنه حذف شبه الصائت ، والصائت القصير الذى قبلهما (’ + و ــ ى) وتحويل الكسرة إلى طويلة .

كمـا أن القـياس فى الفعل المضعف عند بنائه للمفعول أن يضم أوله فنقول فى حل : حُلَّ غير أنه قد أجيز فـيه كسـر فانـه أيضـا فيقال : حِلَّ ، وعلى ذلك بناء أن للمفعول يقال فيه : أن ، وإن ، فيأتى فى الصورة الأخيرة مشابها لإن فى تركيبه الصوتى وهذه الصورة ليست هى القياس فى بناء الفعل المضعف للمفعول ، بل القياس أن يضم أولها فنقول : أن ، وحل ، وقد وصفها المرادى (الجنى 400) بأنها لهجة رديئة ، وهى لهجة بنى ضبة ، وقد جاءت فى قراءات شاذة .

23 ــ أصـل التركيـب : إنْ أنـا ، فحذفت همزة أنا ، وقصّر صائت النون ، فصار التركيب : إنْ نَ ، فأدغم المـتماثلان (إنَّ) ، وهى مشابهة لفظية لامعنوية ، إذ إن أداة بسيطة دالة على التوكيد ، وهذه كلمة مركبة مـن : إن النافـية ، وأنا ضمير المتكلم المنفصل ، ومعنى التوكيد لاصلة له بالنفى فى الكلمتين غير أن هذه الجملة : إن إلا قائم ، احتوت على معنى التوكيد لايجـاب النفـى بإلا وهـو أسلـوب بلاغـى يعـرف بـ (القصر) .

إنَّ هندُ المليحةُ الحسناءَ وَأيَ مَنْ أضمرَتْ لِوأى وفاءَ ....[24]

إن : هاهنا فعل أمر من قولهم : وأيت أى : وعدت ، وهو موجه إلى امرأة ، وقد أكد بالنون الثقيلة ، فأصله : إلى : كما تقول إذا أمرتها من : وفيت : فى بقولك ، ومن : وعيت : عى كلامك ، ولما اتصل بالنون أوجب ذلك إسقاط الياء لالتقاء الساكنين[25] ، فقيل : إنَّ ، كما تقول من الوفاء : فِنَّ[26] .

لقد أسفر الصبح لذى عينين ، إذ إن ابن هشام لم يكن من النحاة المجتهدين أصحاب الآراء الحرة ، والاجتهادات المبتكرة ، وإنما هو كغيره من النحاة المتأخرين عالة على جهد النحاة المتقدمين عليهم . ينقلون آراءهم واجتهاداتهم دون عزو أو إسناد ، حتى تبدو أمام النظر المتسرع ، كأنها مما أبدعه هؤلاء النحاة وابتكروه ، فلا فضيلة لهم فى حقيقة الأمر إلا تمثل هذا التراث بحدوده المرسومة ، وأصوله الموضوعة ، والدوران ضمن إطاره ، دون أن يمنحوا أنفسهم لحظة من التفكير الجاد فى هذا الإرث الحضارى ، وعرضه على محك النقد المنهجى البناء ، لأن أذهانهم قد طبعت على تقديس هذا التراث ، فليست لديهم المقدرة على تجاوزه ، والانطلاق خارج قوانينه المقررة ، وبخاصة أن ابن هشام وابن أم قاسم قد جاءا وشمس الحضارة العربية الإسلامية قد آذنت بالأفول . فلم يكن أمامهما إلا نقل هذا التراث وتكراره ، وهو أمر حميد يحفظ للأمة كيانها إلى اللحظة التى تنبعث فيها من سباتها ، وتعود إليها حيوية الحياة ، وذلك لاينفى مراعاة الأمانة العلمية والتزام الدقة فى النقل عن المتقدمين .

ولعل من نافلة القول أن هذه الأقسام الثمانية التى يوردها ابن هشام وغيره من النحاة لـ (إن) لاصلة لها بأداة التوكيد (إن) إلا من ناحية الرسم الكتابى ، أما من ناحية المعنى ، فلا علاقة بين هذه الصور وإن المؤكدة ، وهذا عيب منهجى ساد النحو العربى القديم لخلطه بين الأشكال والأشباه لأدنى ملابسة ، حتى إن بدت غير مقبولة فى عرف (التحليل اللغوى) .

---

24 ــ قائله : يوسف بن الدباغ ، النحوى الصقلى ، بغية الوعاة 2 / 356 ، والإفصاح 64 ، الانتخاب 597 ، شرح أبيات المغنى 1 / 57 ــ 59 . والوأى : ضمان العدة (العين 442/8) ومعنى البيت : اضمنى الوفاء بوعدك ، ياهند المليحة الحسناء ، ضمان التىتنوى الوفاء بعهدها .

25 ــ ليس فى هذه الصورة التقاء ساكنين ، وإنما يوجد صائت طويل هو الكسرة ، متلو بصامت ساكن = (ءِ نْ) مما يؤلف المقطع الصوتى (ح ح س) ، وهو لايوجد فى العربية إلا ضمن شروط معينة ، إذا فقدت ، قصر صائته ، وحول إلى المقطع (ح س) .

26 ــ وانظر : أمالى ابن الشجرى 2 / 32 ــ 43 ، العكبرى ، المتبع ، فى شرح اللمع 279 ــ 280 .

5 ــ جر الاسم المستثنى بعد (ما خلا)

قال ابن هشام :

"وزعــم الجرمى والربعى والكسائى والفارسى ، وابن جنى أنه قد يجوز الجر ــ أى بمــا خلا ــ على تقدير (ما) زائدة[27] : فإن قالوا ذلك بالقياس ففاسد ، لأن (ما) لاتزاد قــبل الجار ، بل بعده ، نحو (عما قليل ــ المؤمنون 40) و (" فبما رحمة ــ آل عمران 159) وإن قالوه بالسماع ، فهو من الشذوذ بحيث لايقاس عليه "

وقال ابن أم قاسم :

"وقــال بعضهم : الجرمى يخفض بها ــ أى ماخلا ــ ويجعل (ما) زائدة ، دخولها كخروجها ، فإن كان ذلك قياسا منه ، فهو فاسد ، لأن (ما) لاتكون زائدة فى أول الكلام ، لأنها ضد الاعتناء الذى قدمت له ، وإن كان يحكى ذلك عن العرب ، فهو من الشذوذ بحيث لايقاس عليه ."

إن عبارة " قال بعضهم " الواردة فى نص ابن أم قاسم لايقصد بها عند الباحث إلا ابن هشام ، ولما رأى أن بين النصين نوعا من الخلاف فى ذكر النحاة المجيزين لهذا الاستعمال بين ابن هشام وابن أم قاسم علق على ذلك بقوله : " وهذا الاختلاف كما قلت من قبل ناشىء من اختلاف نسختى (المغنى) ففى التى بين أيدينا ذكر مع الجرمى غيره ، ومثل بآيتين من القرآن الكريم ، وفى الأخرى لم يفعل ذلك " (مجلة كلية الدعوة 423) .

إن الباحــث لو رجع إلى كتاب المالقى (رصف المبانى فى شرح حروف المعانى) لوجد أن نص المرادى المصدر بعبارة قال بعضهم منقول بحذافيره عن كتاب المالقى (ص 186) ، ولما افترض وجود فارق بين نسختى المغنى ، كما أن عرض هذه المسألة الخلافية لــم يكــن جديــدا فى تاريخ الدرس النحوى العربى ، وإنما هي قديمة قِدَم هذا النحو ، فقد وجدت جذورها عند الكسائى (ت 182) ، وأبى عمر الجرمى تلميذ الأخفش الأوسط (ت 225 هــ) وتلقفها بعدهما الفارسى وتلميذه الربعى .

قال الرمانى (معانى الحروف 106) : "وجوز الجرمى الجرّ بعد ــ ماخلا وماعدا ــ ولم يثبت[28] على أن (ما) زائدة[29] . وأجاز الكسائى الجر على زيادة (ما) وهو قبيح ، لأن (ما) لايزاد أولا " .

27ــ فــى (الكــتاب 2 / 349 ــ 350) " وبعــض العرب يقول : ما أتانى القوم خلا عبدالله فيجعل (خلا) بمــنزلة (حاشــا) فإذا قلت : ما خلا ، فليس فيه إلا النصب " . وفى (العين 4 / 308) " ومافى الدار خلا زيدا ، نصب وجر ، فإذا أدخلت (ما) لم تجر ، لأنه قد بين الفعل " واجاز الجر بعد (عدا) 2/ 213 . وعنه فــى (تهذيب اللغة 576/7) " يقال : مافى الدار أحد خلا زيداً ، نصب وجر ، فإذا قلت : ماخلا زيدا ، نصبت لاغــير ، لأنــه قــد بين الفعل " وواضح أن نقل الأزهرى عن الخليل أدق وأحكم مما جاء فى نص (العين) المحقق .

28ــ يعــنى أن إجــازة الجــرمى مبنية على القياس ، لا على الاستعمال ، وهو ما أكده نص سيبويه السابق الذكر ، أو أنها مبنية إلى استعمال شاذ لايؤصل قياسا .

29 ــ نقلــه الرضى فى (شرح الكافية 2 / 90) دون إشارة إلى الرمانى ، وانظر ، الجوهرى (الصحاح : خلا ، عدا) ، المبرد المقتضب 4 / 624 ــ 427) .

وقـــال ابن الناظم فى شرحه على ألفية والده ابن مالك (308 ــ 309) : " وروى الجرمى عن بعض العرب جر ماستثنى بـــ (ماعدا ، وماخلا) وإلى ذلك الإشارة بقوله : .... (وانجـــرار قد يرد) . والوجه فيه أن يجعل (ما) زائدة ، و (عدا ، وخلا) حرفي جـــر ، وفيه شذوذ لأن (ما) إذا زيدت مع حرف جر لا تتقدم عليه ، بل تتأخر عنه ، نحو قوله تعالى : " فبما رحمة من الله " و " عمّا قليل " . والنصّ عينه في شرح ابن مالك لكتابه (التسهيل 3 / 310) .

وقـــال أبوحيّان في (ارتشاف الضرب 3 / 318) : " وذهب الكسائي والجرمي ، والفارسي في (كتاب الشعراء) له ، والربعي ، إلى إجازة الجرّ بعد (ماعدا ، وما خلا) ، فتكون (ما) زائدة وحكاه الجرمي عن العرب في باب الجرّ من كتاب (الفرخ) . "

لقد جعل ابن هشام ابن جني من النحاة القائلين بجواز جرّ الاسم المستثنى بعد (ما خلا) ، ولم أجد من ذكر ذلك غيره ، فيما بين يدي من مصادر بل إن ابن جني في كتابه (اللمع في العربية 126) ليذهب إلى عدم إجازة الجر بعد (ما خلا) ، قال : " فإن قلت : ما خلا زيداً ، نصبت مع (ما) ، لا غير " .

مـــن البيّـــن الآن من خلال هذه النصوص أن ابن هشام لم يكن مبتدعا لشيء ما ، وإنمـــا كـــان يجرّ خطاه على أثر من سبقه ، فلا معنى لأن نقول : إن المرادي ينقل عنه ، بخاصّة أن الباحث يؤكد أن ما جاء في " الجني الداني " إنما هو من قول ابن هشام ، لا لأحد سواه ، وقد بَطُلَ ذلك .

وقـــد جاء نصّ أبي حيّان مع اختلاف قليل في الألفاظ في (الجنى الداني ــ 436 ــ 437) دون أن ينســـبه إليه ، وربما يعود الفرق بينهما إلى أن المرادي ينقل من الشرح الكبير لأبى حيان على (التسهيل) .

6 ــ مجيء همزة الاستفهام قبل العاطف : (الواو ، الفاء ، ثم)

جاءت همزة الاستفهام في القرآن الكريم وكلام العرب مقدّمة على أدوات العطف (الواو ، الفاء ، ثم) ، وكان الأصل فيها أن تأتي بعدها ، فقال سيبويه والجمهورُ : إنّ الهمزة قـــد قدّمـــت على العاطف تنبيها على أصالتها في التصدير وخالفهم الزمخشريُ وجماعةُ ، فـــزعموا أن همزة الاستفهام في هذه الحالة واقعة موقعها الأصلي ، وأن العطف على جملة مقدّرة بينها وبين العاطف .

ففي قوله تعالى (" أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، ولدار الآخـــرة خير ــ يوسف 109 ") ــ والتركيب نفسه (أفلم يسيروا) في : الحج 46 ، غافر 82 ، محمد 10 ــ ، قدّمـــت الهمـــزة عند سيبويه والجمهور على الفاء العاطفة ، مراعاة لأصلها في التصدير ، أما عند الزمخشري ومن تابعه ، فبعد الهمزة : جملة محذوفة ، والفاء عاطفة للجملة التي بعدها على هذه الجملة المحذوفة والتقدير في الآية : أقعدوا فلم يسيروا . وبهذا التقدير تكون همزة الاستفهام قد تصدّرت الجملة وهو موقعها الأصلي .

وقد ضعّف ابن هشام قول الزمخشري ، ومن معه ، قال : " ويضعّف قولهم ما فيه مـــن الـــتكلف وأنه غير مطّرد في جميع المواضع ... وقد جزم الزمخشري في مواضع بما يقوله الجماعة ... وجوّز الوجهين في موضع . "

وقـــال ابـــن أم قاســـم : " وذهـــب الزمخشرى إلى تقدير جملة بعد الهمزة ، لائقة بـــالمحـــل ، لـــيكون كل واحد من الهمزة ، وحرف العطف فى موضعه ... وضعف بعدم اطراده... وبأن فيه حذف جملة معطوف عليها من غير دليل . قيل : " وقد رجع إلى مذهب الجماعة فى سورة الأعراف " .

ويعقـــب الباحـــث بقوله : فهذا قول ابن هشام حكاه ابن أم قاسم بقوله : " وضعف " ، بالبناء للمجهـــول وبقوله : " قيل " كذلك وينبغى التنبه إلى أن ابن هشام ذكر ماذكر غير معزو إلى أحـــد أى هو من كلام ابن هشام نفسه ، لئلا يقال : إنهما نقلا من مكان واحد " (مجلة مكتبة الدعوة 421 ــ 422) .

إن هـــذا القول قد يسلم للباحث لو لم يضع ابن مالك فى كتابه (شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح 64 ــ 65) بين أيدينا المصدر الذى استقى منه ابن هشام كلامه.

قـــال ابـــن مالك : " ولكن خصت الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيها على أنها أصل أدوات الاستفهام ، لأن الاستفهام له صدر الكلام ، وقد خولف هذا الأصل فى غير الهمزة ، فأرادوا التنبيه عليه ، فكانت الهمزة بذلك أولى ، لأصالتها فى الاستفهام .

وقد غفل الزمخشرى فى معظم كلامه فى " الكشاف "[30] عن هذا المعنى ، فادعى أن بيـــن الهمزة ، وحرف العطف جملة محذوفة ، معطوفا عليها بالعاطف بعده . وفى هذا من الـــتكلـــف ، ومخالفـــة الأصول مالايخفى ، وقد تقدم فى كلامى على (ليتنى) أن المدعى حـــذف شـــىء يصح المعنى بدونه ، لاتصح دعواه حتى يكون موضع ادّعاء الحذف صالحا للثبوت ، ويكون الثبوت مع ذلك أكثر من الحذف ، ومانحن بصدده بخلاف ذلك ، فلا سبيل إلى تسليم الدعوى .

وقـــد رجع الزمخشرى عن الحذف إلى ترجيح الهمزة على أخواتها بكمال التصدير " وانظر (ابن مالك ، شرح التسهيل 4 / 111)

وقال أبو حيان (البحر المحيط 271/1) : (" أفتطمعون ــ البقرة 75 ") والفاء بعد الهمـــزة وأصـــلها الـــتقديم عليها والتقدير : فأتطمعون ، فالفاء للعطف ، لكنه اعتنى بهمزة الاستفهام فقدمت عليها .

والزمخشرى يزعم أن بين الهمزة والفاء فعلا محذوفا ، ويقر الفاء على حالها ، حتى تعطـــف الجملـــة بعدها على الجملة المحذوفة قبلها ، وهو خلاف مذهب سيبويه ، ومحجوج بمواضـــع لايمكن تقدير فعل فيها نحو قوله : (" أو من ينشأ فى الحلية ــ الزخرف 16 ــ 11 ") ــ (" أفمـــن يعلم أنما أنزل إليك ــ الرعد 19 ") ــ (أفمن هو قائـــم ــ الرعـــد 33 ") .

وقـــال (المصـــدر نفسه 1 / 323) . " وقد رجع الزمخشرى عن اختياره إلى قول الجماعة ، وقد أمعنا الكلام على ذلك فى كتابنا المسمى بـــ (التكميل لشرح التسهيل) " .

وانظـــر المصدر نفسه 183/1 ، 274 ــ 275 ــ 277 ، 330 ، وغيرها . وشرح الرضى على الكافية 4 / 391 ــ 392 .

30ــ انظـــر (الكشـــاف 277/1 ، 291 ، 300 ، 474 ــ 96/2 ، 98 ــ 347 ، 356 ، 361 ــ 215/3 ، 216 ، 241 ، 281 ، 357 ، 478 ، 513 ــ 55/4 ، وغيرها .

هـذا ومذهـب ابن هشام فى (أوضح المسالك 3 / 397 ــ 398) صورة لمذهب الزمخشـرى ، واختـياره فـى هـذه المسألة ، قال : " ويجوز حذف المعطوف عليه بالفاء والـواو ... والثانى ، نحو : (أفنضرب عنكم الذكر صفحا ــ الزخرف 5) أى : أنهملكم فنضـرب ونحـو : (أفلـم يـروا إلى مابين أيديهم ــ سبأ 19) ــ أى : أعموا فلم يروا " والآيتـان فـى (الكشاف) بالتخريج نفسه (3/281 ، 478).

أعـتقد أن هذه المسائل كافية للتدليل على صحة مانريد قوله من أن ابن هشام لم يكن صاحب هذه الآراء التى يريد الباحث من خلالها إثبات أن ابن أم قاسم كـان فـى كـتابـه (الجـنى الدانـى) نـاقلا عن ابن هشام ، وعالة عليه يأخذ عنه دون أن يشير إليه باللفظ الصـريح وإذا أراد الباحث إثبات هذه المسألة ، فعليه أن يفتش عن أدلة وبراهين جديدة ، لامطعـن فـيها ، ولا أريد أن أقول قوله المتعالي الذى يأباه كل متعلم : " وأنى بها " ولعل ماكتبته هنا يؤكد صحة قولى : إن ابن هشام والمرادى مجرد نحويين ينقلان عمن قبلهما من الـنحاة دون إشـارة واضـحة فى كثير من الأحيان وهى قضية يشترك فيها كثير من نحاة العربـية المتأخرين ، إذ لم تكن مسألة تأصيل الآراء النحوية ، ونسبتها إلى أصحابها ، محل عنايتهم .

ويصل الباحث فى خاتمة بحثه إلى نتيجة مفادها : أنه أحصى أربعة وعشرين موضعا يتلاقى فيها الكتابان لقاء بينا ، لا لبس فيه ، وهى دالة على أن المرادى قد اطلع على التأليف الأول لـ (المغنى) وأخذ منه وليس هناك دليل واحد يدل على أن ابن هشام اطلـع علـى (الجنى الدانى)

ثـم يقول (مجلة كلية الدعوة 426) : " وإنما أطلت هنا لدفع احتمال أن ابن أم قاسم أخذ ما أخذ من كتب أخرى لابن هشام ، إذ كيف مع اجتماع هذا كله فى مكان واحد . ومهما يكن ، فالبينة على المدعى وأنى بها ؟!!!

هذا جوهر بحث الكاتب ولبابه ، وربما لم يسلم له منه إلا ماكتبه عن (المغنى) لابن هشام ، معرفا به .

وأريـد هـنا قـبل أن أختم هذه الوريقات التى يطالها القصور من كل جانب ببعض الملاحظـات أن أتحدث عن ابن أم قاسم المرادى قليلا : لقد كان المرادى : الحسن بن قاسم ابن عبدالله ، معاصرا لابن هشام ، وتوفى قبله ، وهو من تلاميذ أبى حيان الأندلسى صاحب المؤلفات الموسوعية الضخمة فى تفسير القرآن الكريم وإعرابه ، ونحو العربية ، وقد لازمه المرادى واستفاد من علمه .

وقـد كـان المرادى ذا ثقافة لغوية ، تدور فى إطارين لا انفصال بينهما لغة القرآن تفسيرا وإعرابا ، وبيان قراءاته وأحكام تجويده ، ولغة العرب نحوا وصرفا ، ومعانى أدوات فهو قد أعرب البسملة ، كما أعرب القرآن الكريم ، ووضع مؤلفا فـى تفسيـره ، وشـرح (الشاطبية) فى علم القراءات ، وشرح قصيدة للسخاوى فى أحكام التجويد كما شرح بعض (المـتون النحوية) الموضوعة قبله ، واهتم بمعانى الحروف ، فنظم بعضها ، وشرح هذا الـنظم ، ووضع رسائل خاصة لشرح معانى : كلا وبلى ، ولو ، وختم ذلك بكتابه (الجنى الدانـى فـى حروف المعانى) ، مما يعنى أن اهتمام المرادى بحروف المعانى كان اهتماما قديما ، ولاشك أن هذا الاهتمام قد أثمر تأليف (الجنى الدانى) قبل أن يؤلـف ابـن هشـام

(المغـنى) إضـافة إلـى أن هـذا النوع من التأليف لم يكن جديدا على الدراسات اللغوية العربـيـة ، وهو مجال مهم للتأليف إذ إن المعانى النحوية المختلفة ماعدا الإثبات ، والأمر بصيغة الفعل ، والتأكيد عن طريق تقديم ماحقه التأخير ــ تؤدى عن طريق الأداة ، كالنفى ، والاسـتفهام ، والتوكيد ، والاستثناء ، والتمنى والنهى ، والدعاء ، والطلب ، والترجى ... وغيرها ، ناهيك عن أن هذه الأدوات قد تدل على أكثر من معنى نحوى وظيفى ، فاللام مثلا وهى مبنى صرفى واحد تحمل أكثر من دلالة فى ثنايا التراكيب النحوية المختلفة ، فهى تأتى حـرف جر (ومعانيها هنا متعددة) ، ودالة على الأمر والتوكيد ، والجحود، وربط جواب الشـرط بفعلـه ، وغـير ذلك من المعانى النحوية ، فهى مجال خصب لأن تفرد بدراسات خاصة بها .

إن هذا العرض الموجز لحياة المرادى العلمية يرينا أن ثقافته اللغوية لم تكن أقل شأنا من ثقافة ابن هشام ، بل ربما فاقتها .

أما ملاحظاتنا الختامية ، فيمكن إجمالها فيما يلى :

1) مواضـع التشابه والتماثل بين الباب الأول من كتاب ابن هشام (مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب) ، وكتاب المرادى (الجنى الدانى فى حروف المعانى) لايمكن حصرها فى المواضع التى أوردها الباحث نصاً ، أو أشار إلى مواضع ورودها فى الكتابين ، وإنما مواطن التوافق بينهما ظاهرة عامة ، تشيع فيهما شيوعا بينا ، ولايكفى للدلالة على ذلك الإتيان بالمثل أو مائة المثل ، وهذا يدركه كل من اطلع على الكتابين اطلاع نظر متأن ، أو متعجل .

2) لم يكن المرادى ولا ابن هشام يؤصلان منهجا جديدا فى درس النحو العربى ، وطرائق التأليف فيه ، بل هما عالة على من قبلهما فى كل شىء ، ونظرة عجلى على المؤلفين تكفـى للقول : لو جرد الكتابان مما فيهما من النقول المعزوة إلى أصحابها ، والمبهمة الإسناد ، والخالية من العزو إلى أحد ، مابقى منهما شىء يصح إسناده إلى المرادى أو ابن هشام[31] ، فلا معنى للادعاء بعد أن أحدهما قد أخذ عن الآخر ، وسطا على جهده العلمى ، وربما كان ابن هشام قد استفاد من (الجنى الدانى) فائدة كبرى ، دون إشارة إليه .

3) قـول الباحث إن الآراء غير المنسوبة فى (المغنى) هى لابن هشام ، لا لأحد سواه ، قـول قد ثبت بطلانه ، وتجافيه عن الحقيقة ، وبحث مثل هذه القضية يحتاج إلى درس متأن ، دؤوب ، فاحص لأقوال النحاة الذين سبقوا ابن هشام مما يكلف الباحث الرجوع إلـى مئات المصادر المتنوعة المشارب ، وقد لايكفيه ذلك أن ينص على أن هذا الرأى هو لابن هشام نفسه بدرجة تصل إلى اليقين الثابت والعلم الراسخ .

4) لانعلم على وجه التحديد متى ألف المرادى كتابه (الجنى الدانى) غير أنه ربما كان من مؤلفاته الوسطى ، لأنه يحيل فيه على بعض مؤلفاته ولايحيل فيه على بعضها الآخر ، مما قد يكون دليلا على أن هذا الكتاب يأتى ضمن مؤلفاته الوسطى ، وليس من آخر ما

31ــ اتهـم عبدالقادر البغدادى فىغير ما موضع من كتابه (شرح أبيات مغنى اللبيب) ابن هشام بالنقل عن غيره من النحاة دون أن يشير إليهم أدنى إشارة .

ألف ، كما يريد الباحث أن يثبت دونما دليل قاطع ، وكما قال محققـا الكتاب[32] .
إن المرادى يحيل على كتابه (شرح التسهيل) فى غير ما موضع من (الجنى الدانى) وإلى رسائله فى (إعراب البسملة 201) ، (كلا وبلى 578)، (شرح معنى لو 278) وإلى وريقات ألفها فى (الألفات 180). ولانراه يحيل على كتبه الأخرى مثل : شرح المفصـل ، شرح الألفية ، شرح الحاجبية النحوية ، شرح الفصول ، شرح الجزولية ، إعـراب القرآن ، شرح الشاطبية ، وغيرها من مؤلفاته ، كما ذكر أستاذه بكنيته (أبى حـيان) فى ثمانية عشر موضعا فى (الجنى الدانى) وينعته فى جميعها بالشيخ . ولم أره وصـف غـيره بهذا الوصف ،مما يدل علىاحترامه وتوقيره لأستاذه ، وهذا الأمر ربمـا دل على أن المرادى قد ألف كتابه فى حياة أستاذه وإلا كان ذكره مقرونا بالترحم عليه كما هى عادة التلاميذ الذين يوقرون مشائخهم . والباحث بالطبع يعنيـه أن يكـون (الجـنى الدانى) من آخر مؤلفات المرادى ليثبت أنه مبنى فى أساسه على (المغنى) لابن هشام ، وربما لم يكن الأمر كذلك مادام هذا الاحتمال الذى قدمناه قائما .

5) إن قـول الباحـث : " فالبينة على المدعى . وأنى بها !؟ " قول خارج عن إطار العلم الـذى يأبى الحديث بلغة الحسم والجزم ، فلقد اتضح أن الآراء التى أكد نسبتها إلى ابن هشـام ، وقادتـه إلـى هذا القول ليست له فى شىء ، وهى معولة فى إثبات دعواه .. فليبحـث عـن أدلـة جديـدة يسند بها وجهة نظره تكون أكثر إحكاما ، واتصالا بالعلم ومناهجه فى البحث . وربما كان من حقى بعد أن أقول بناء على بحث الباحث : لم يقف المـرادى فى (الجنى الدانى) أثر ابن هشام فى (المغنى) فقد أصبح القول بذلك غير مسـتند إلـى حجة وبرهان ، ومن يريد إثبات ذلك فليأتنا بالدليل البين ، فقد يجد شواهد أخرى غير ماذكره الباحث تعينه على الوصول إلى هذا المبتغى ، ولن أقول : هيهات ، أدْلَجَ الناس ، ونمت ، فربما جاء من هو أكثر منا صبرا على معاناة شدائد العلم ، فأهدى إلينا عيوبنا ، وأزاح الستار عن قصورنا ، بلغة علمية متينة ، لا أمْتَ فيها ، ولاعوج .

وبعـد .. فإنى لا أبرىء نفسى من السهو والغلط والنسيان ، وإنما هى كلمة أردت إبلاغها على لسان أولئك الذين هضم حقهم ، فجاءت أقوالهم غير منسوبة إليهم فى (المغنى) و (الجنى الدانى) على حد سواء .

والحمد لله ، والصلاة والسلام على من اصطفى

32ـ قـالا : وهـو فـيما يـبدو من أواخر كتبه التى صنف ، لأنه قد ذكر فى طياته عددا من كتبه المتقدمة تصـريحـا ، أو تلميحا " (المقدمة ص 11) " ، غير أنه لم يشر إلى مؤلفاته جميعا ، وما أهمل الإشارة إليه أكثر مما ذكره ، فهل ألف ماأهمله بعد (الجنى الدانى) أو قبله ؟ .

ثبت المراجع

1 ــ الأزهــرى : أبــو منصور محمد بن أحمد (ت 370) ، تهذيب اللغة ، ج 7 ، تحقيق الدكتور عبدالسلام سرحان ، ج15 تحقيق إبراهيم الأبيارى . مطابع سجل العرب ، القاهرة ، 1967 م .

2 ــ الأعشى : ميمون بن قيس البكرى (ت حوالى 7 هــ) ، ديوان الأعشى ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1400 هــ ــ 1980 م .

3 ــ الأعلم : أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى (ت 476 هــ) ، النكت فى تفسير كــتاب سيبويه ، تحقيق : زهير عبدالمحسن سلطان ، منشورات معهد المخطوطات العربية ـــ الطبعة الأولى ، الكويت 1407 هــ ــ 1987 م .

4 ــ البطليوســى : أبو محمد عبدالله بن محمد (ت 521 هــ) ، الاقتضاب فى شرح أدب الكــتاب ، ج1 تحقــيق : مصطفى السقا ، الدكتور حامد عبدالمجيد . الهيأة المصرية العامة للكتاب 1981 م .

5 ــ الــبغدادى : عبدالقادر بن عمر (ت 1093 هــ) ــ شرح أبيات مغنى اللبيــب ج1 ، 3 ، 4 ، 6 . تحقــيق : عــبدالعزيز ربــاح ، أحمد يوسف الدقاق . دار المأمون للتراث ، دمشــق ، الطبعة الأولى 1973 ــ 1978 م .

ــ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ج 11 . تحقيق : محمد عبدالسلام هارون ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1403 هــ ــ 1983 م .

6 ــ التــبريزى : أبــو زكــريا يحيى بن على الخطيب (ت 502 هــ) ، تهذيب إصلاح المــنطق ، تحقيق الدكتور : فخر الدين قباوة . دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى 1403 هــ ــ 1983 م .

7 ــ ابن جنى : أبو الفتح عثمان (ت 392 هــ) ــ الخصائص ج1 ، 2 ، تحقيق : محمد على النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية .

ـــ اللمع فى العربية . تحقيق : حامد المؤمن ، عالم الكتب ــ دار النهضة العربية ، الطبعة الثانية 1405 هــ ــ 1985 م .

8 ــ الجوهرى : إسماعيل بن حماد (ت 393 هــ) تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطا . دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، يناير 1990 م .

9 ــ الحريــرى : أبــو محمــد القاسم بن على (ت 516 هــ) ــ درة الغواص فى أوهام الخواص ــ تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم . مطبعة نهضة مصر ، 1975 م .

10 ــ أبوحيان : أثير الدين محمد بن يوسف (ت 745 هــ) ــ ارتشاف الضرب من لسان العرب ج 2 ، 3 تحقيق : الدكتور مصطفى أحمد النماس . مطبعة المدنى ، القاهرة ، الطبعة الأولى1409 هــ ــ 1989 م .

ـــ البحر المحيط ج 1 ، 8 ــ مطبعة السعادة ، بمصر 1328 هــ .

11 ــ ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن (ت 321) ، كتاب جمهرة اللغة ج1 ، تحقيق : الدكــتور رمــزى منير بعلبكى . دار العلم للملايين ، بيروت ــ الطبعة الأولى ، نوفمبــر 1987 .

12 ــ الرضى : محمد بن الحسن الاستراباذى (ت 688 هـ) ، شرح الرضى على الكافية ج 2 ، 4 . تحقيق : يوسف حسن عمر . منشورات جامعة قاريونس ــ مطابع الشروق ــ بيروت .
13 ــ الرمانى : على بن عيسى (ت 384 هـ) ، معانى الحروف ، تحقيق : الدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبى . مطبعة دار العالم العربى ، القاهرة 1973 م .
14 ــ الزجاج : إبراهيم بن السرى (ت 311 هـ) معانى القرآن وإعرابه ج5 ، تحقيق : الدكتور عبدالجليل عبده شلبى . عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى 1408 هـ ــ 1988م .
15 ــ الزمخشرى : محمود بن عمر (ت 538 هـ) ــ المفصل فى صنعة الإعراب . دار الجيل ــ بيروت الطبعة الثانية .
ــــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، حقق الرواية / محمد الصادق قمحاوى شركة مكتبة ومطبعة ، مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ــ الطبعة الأخيرة . 1392 ــ 1972 م .
16 ــ ابن السراج : أبو بكر محمد بن سهل (ت 316 هـ) ، الأصول فى النحو ج1 ، تحقيق : الدكتور عبدالحسين الفتلى . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1408 هـ ــ 1988 م .
17 ــ سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان (ت حوالى 180 هـ) ، الكتاب ، تحقيق : محمد عبدالسلام هارون ، ج1 دار القلم ، القاهرة ، 1385 هـ ــ 1966 م . ج2 دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة ، 1388 هـ ــ 1968 م . ج 3 ، 4 الهيأة المصرية العامة للكتاب ، 1973 ــ 1975 م .
18 ــ السيوطى : عبدالرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد (ت 911 هـ) ، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، ج2 . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . المكتبة العصرية ، صيدا ــ بيروت
19 ــ ابن الشجرى : أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد (ت 542 هـ) أمالى ابن الشجرى ، ج 2 ، 3 تحقيق : الدكتور محمود محمد الطناحى . مطبعة المدنى ، القاهرة ، المطبعة الأولى 1413 هـ ــ 1992 م .
20 ــ الطنطاوى : الشيخ محمد ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة . مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الأولى 1387 هـ ــ 1968 م .
21 ــ العسكرى : أبو الطيب عبدالواحد بن على اللغوى (ت 351 هـ) كتاب الأضداد فى كلام العرب ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ــ مطبعة الترقى دمشق 1382 هـ ــ 1963 م .
22 ــ عضيمة : الشيخ محمد عبدالخالق ــ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ج1 . دار الحديث ، القاهرة 1972 م .
23 ــ العكبرى : أبو البقاء عبدالله بن الحسين (ت 616 هـ) كتاب المتبع فى شرح اللمع ، تحقيق الدكتور : عبدالحميد حمد الزوى . منشورات جامعة قاريونس ، بنغازى ، الطبعة الأولى 1994 م .

24 ـ الفارسي : أبو علي الحسن بن أحمد (ت 377 هـ) ، كتاب الشعر ، أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب ، تحقيق الدكتور : محمود محمد الطناحي . مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1408 هـ ـ 1988 م .
25 ـ الفارقي : الحسن بن أحمد (ت 487 هـ) الإيضاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ، تحقيق سعيد الأفغاني . منشورات جامعة بنغازي ، 1974 م .
26 ـ الفراء : يحيى بن زياد (ت 207 هـ) معاني القرآن ج3 ، تحقيق : النجار ونجاني وشلبي . عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية 1980 م .
27 ـ الفراهيدي : أبوعبدالرحمن الخليل بن أحمد (ت حوالي 170 هـ) كتاب العين ج 2 ، 4 ، 8 تحقيق الدكتور : مهدي المخزومي ، الدكتور : إبراهيم السامرائي . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الأولى 1408 هـ ـ 1988 م .
28 ـ ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت 278 هـ) ، أدب الكاتب ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد . مطبعة السعادة ، بمصر ، الطبعة الرابعة 1382 هـ ـ 1963 م .
29 ـ المالقي : أحمد بن عبدالنور (ت 702 هـ) ، رصف المباني في شرح حروف المعاني ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ، 1395 هـ ـ 1975 م .
30 ـ ابن مالك : جمال الدين محمد بن محمد بن عبدالله (ت 672 هـ) ـ شرح التسهيل ج3 ، تحقيق : الدكتور : عبدالرحمن السيد ، الدكتور : محمد بدوي المختون . هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ـ الجيزة ـ الطبعة الأولى 1410 هـ ـ 1990 م .
ـــــ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي . عالم الكتب ، بيروت .
31 ـ المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد (ت 385) ، المقتضب ، تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة . عالم الكتب ـ بيروت .
32 ـ المرادي : بدر الدين الحسن بن قاسم (ت 749 هـ) ، الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل . دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ، الطبعة الثانية 1403 ـ 1983 م .
33 ـ ابن منظور : محمد بن مكرم (ت 711 هـ) ، لسان العرب . دار الفكر ، دار صادر ـ بيروت .
34 ـ الموصلي : علي بن عدلان (ت 666 هـ) الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب ، تحقيق : الدكتور حاتم صالح الضامن ، منشور ضمن كتاب : نصوص محققة في اللغة والنحو (583 ـ 683) . وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، مطابع دار الحكمة 1991 م .
35 ـ النابغة : زياد بن عمرو الذبياني (ت قبيل البعثة) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة 1990 م .
36 ـ ابن الناظم : بدر الدين محمد بن محمد (ت 686 هـ) ، شرح ألفية ابن مالك ،

تحقيق : الدكتور عبدالحميد السيد محمد . دار الجيل ــ بيروت .
37 ــ ابن هشام : أبو محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد (ت 761 هـ) ، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب تحقيق : محمد محيى الدين عبدالحميد . دار الكتاب العربى ــ بيروت وتحقيق : مازن المبارك ، محمد على حمد الله . دار الفكر الحديث ــ لبنان 1964 م .
ــ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . دار الفكر ــ بيروت ، الطبعة السادسة 1394 هـ ــ 1974 م .
38 ــ ابن يعيش : يعيش بن على (ت 643) ، شرح المفصل ج8 . عالم الكتب ــ بيروت ، مكتبة المتنبى ــ القاهرة .
39 ــ مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، بين ابن هشام وابن أم قاسم ، العدد التاسع 1402 و.ر ــ 1992 م .

التحليل المكاني لمشكلة التلوث البيئي بمدينة البيضاء وسبل معالجتها

د . محمد على العرفي* أ ــ أبوبكر الصديق**

مقدمة

يعــد التلوث الحضري بالنفايات المنزلية أحد المشاكل التي تواجه الإنسان في وقتنا الحاضــر حيــث أصبحت تشكل خطراً على الصحة العامة وسلامة البيئة وقد أخذت المشكلة تتعقد بسبب ارتفاع معدلات النمو السكاني والتوسع العمراني وشيوع العادات الاستهلاكية ذات الطــابع المســرف نتــيجة لتحسن المستوى الاقتصادي والاجتماعي وزيادة القدرة الشرائية ، ويترتب على هذا السلوك زيادة مطردة في كمية النفايات بمختلف مصادرها .

لقد أثبتت الدراسات أن النفايات المنزلية تمثل كما هائلا حيث تزيد نسبتها على 78% من مجمــوع الــنفايات الصــلبة عدا مخلفات الإنشاء والهدم [1] ، ويزيد الأمر خطورة أن معظم مكوناتها ذوات منشأ عضوي ، وتقدر نسبتها في بعض المدن العربية ب 81 % [2] وتعد هذه النوعــية من النفايات مصدراً لحدوث التلوث البيولوجي حيث إنها تصبح وسطاً ممتازاً لجذب الحشرات والجراثيم ، ويزداد الأمر سوءاً في حالة بقائها فترة طويلة في مكان تولدها خاصة فــي فصــل الصــيف حيــث تــرتفع الحرارة والرطوبة فتصبح موطناً لأصناف عديدة من الميكروبات والطفيليات الفتاكة .

وممــا لا شــك فيه أن المشكلة متفاقمة على المستويين المكاني والزماني وهو ما يعطي أهمــية بالغــة لدراستها وذلك ليس بسبب زيادة كمياتها فقط ولكن لاشتراك كل فرد من أفراد المجــتمع فــي إنتاجها يومياً بصورة متكررة وتؤثر البيئة تأثيرا بالغاً على المستوى الصحي والحالة النفسية للفرد وما يترتب على ذلك من زيادة أو انخفاض في الإنتاج [3] .

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف نستعرضها فيما يلي :

1 ــ الــتعرف علــى حجــم المشــكلة مــن خلال معرفة كمية النفايات المنزلية ومكوناتها وخصائصها .

2 ــ دراسة العوامل المؤثرة في تراكمها وانتشارها والآثار الناجمة عنها .

3 ــ تقييم دور كل من المواطن والمجتمع والجهات المسؤولة عن التعامل مع النفايات المنزلية وكيفية التخلص منها .

* عضو هيأة تدريس بقسم الجغرافيا ــ جامعة قاريونس
** معلم بأمانة تعليم شعبية بنغازي

4 ــ دراسة الطرق المستخدمة في تصريفها ومعالجتها والتخلص منها .

مفهوم البيئة وتلوثها بالنفايات المنزلية الصلبة :

1 ــ البيئة :

هــي الإطار أو الوسط أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان ، وتتكون من الغلاف الصخري والمائي والهوائي والحيوي ، وفي هذا الإطار يمارس الإنسان نشاطه الاجتماعي والاقتصادي والبيئة بهذا المعنى تمثل جميع المكونات الحية وغير الحية التي تؤثر بالفعل على الكائن الحي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة [4] ، وهي تمثل نطاقاً متكاملاً من الظواهر الطبيعية والبشرية المترابطة والمتفاعلة فيما بينها ، الأمر الذي يستدعي الحفاظ عليها من التلوث بمختلف أنواعه ، والترشيد في استخدام مواردها لمساعدة قدرة نظمها على العطاء والإنتاج .

2 ــ التلوث :

الــتلوث هــو عــبارة عن حدوث تغيرات كمية ونوعية في الخواص الطبيعية والكيميائية والبيولوجــية للبيــئة ، ويكــون مصحوباً بنتائج ضارة لكل ما هو موجود في الوسط البيئي ، ويوجد هناك عدة تعريفات للتلوث ، نشير لأهمها فيما يلي : ــ

الــتلوث هــو (إطلاق عناصر أو مركبات أو مخاليط غازية أو سائلة أو صلبة إلى عناصر البيئة التي هي الهواء والماء والتربة مما يسبب تغيرات في جودة هذه العناصر) [5] أو هو (وجــود المــواد والعوامل الملوثة بكميات لمدة زمنية قد تؤدي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وحدهــا أو بالتفاعل مع غيرها إلى الإضرار بالصحة أو تسبب بأي طريقة من الطرق تعطيل الأجهزة البيئية وذلك بشل فاعلية هذا الجهاز ، حيث يتوقف عن أداء دوره الطبيعي على سطح الكرة الحية) [6] .

3 ــ النفايات المنزلية الصلبة :

الــنفايات المنزلــية الصلبة هي المخلفات الناتجة عن المنازل والمطاعم والفنادق والمحال التجارية والمؤسسات الاجتماعية ، وهي تحتوي على بقايا المواد العضوية والمعادن والزجاج والأوراق والبلاســتيك والمنسوجات والجلود وغيرها ، أو هي : (فضلات الإنسان ومخلفاته الصــلبة وتتصل بسلوكياته وأساليب حياته كما تعد أحد مظاهر إهمال النظافة العامة وإخلالها بالنواحــي الجمالــية للمــدن ولهــا تأثيرها السلبي على صحة الإنسان وظروفه الاجتماعية والاقتصادية وتلعب العوامل السلوكية والتخطيطية والعوامل الثقافية دوراً في إحداثها [7].

النفايات المنزلية مكوناتها وكمياتها وخصائصها بمدينة البيضاء .

1 ــ مكونات النفايات المنزلية :

تمــثل الــنفايات المنزلــية ما يقرب من ثلاثة أرباع مجموع النفايات الصلبة الأخر عدا

مخلفـــات المباني [8] وهوما يعطيها أهمية بالغة ليست بسبب زيادة كمياتها فقط ولكن لاشتراك كـــل فرد من أفراد المجتمع في إنتاجها يومياً ، الأمر الذي يستدعي معرفة مكوناتها ، وكذلك فـــإن تحديد نسب هذه المكونات يساعد على تصنيفها وتحديد نوعية المعدات والعمال اللازمين لتجمـــيعها وعـــند تحليل الجدول رقم (1) الذي يبين مكونات النفايات المنزلية الصلبة بمدينة البيضاء يمكن أن نستنتج مايلي :

جدول (1)

مكونات النفايات المنزلية الصلبة بمدينة البيضاء

مكونات النفايات	النسبة المئوية %
النفايات العضوية	74,9
أوراق عادية	12,5
ورق مقوى	4,0
معادن	2,4
زجاج	1,3
بلاستيك	1,2
أقمشة	1,1
جلود	0.9
مخلفات أطفال	0.8
غيار	0.6

المصـــدر : تهانـــي فـــتح الله ، مريم عمران ، النفايات المنزلية في مدينة البيضاء وتأثيرها على البيئة ، بحث تخرج / قسم الأحياء ، كلية العلوم ، جامعة عمر المختار ، 1996 ، بتصرف .

1 ــ ارتفـــاع نســـب المواد العضوية في نفايات المدينة حيث بلغت نسبتها 74.9 % ويمكننا إرجاع أسباب ارتفاع المواد العضوية لما يلي :

أ ــ إعداد كمية من الطعام تزيد عن حاجة الأسرة وذلك تحسباً لقدوم الزوار .

ب ــ البذخ في الولائم فإن كان المدعوون عشرة فالطعام المعد يكفي عشرين .

ج ــ شـــراء الأطعمة بكميات كبيرة خاصة الفواكه والخضراوات بحيث تتلف قبل أن يتمكن أفراد الأسرة من استهلاكها .

2 ــ أمـــا الورق بنوعيه العادي والمقوى فيأتي في الترتيب الثاني بنسبة 12.5 % ، 4,0 % علـــى التوالي ، وهذا يشير إلى عمليات الاستهلاك الزائدة للمعلبات الجاهزة المغلفة أو المعبأة في صناديق ورقية .

3 ــ أما الترتيب الثالث فيحتله كل من المعادن 2,4 % والزجاج 1,3 % والبلاستيك 1,2 % والأقمشة 1,1 % .

4 ــ أمــا الترتيــب الأخير فتحتله مخلفات الجلود 0.9 % ومخلفات الأطفال 0.8 % والغيار 0.6 % .

2 ــ كمية النفايات المنزلية المنتجة بمدينة البيضاء :

تقــدر كمــية النفايات المنزلية يومياً بنحو 79 طناً ، أما النفايات الشهرية فقد قدرت بــنحو 2370 طناً ، في حين قدر معدل النفايات السنوية بنحو 28440 طناً ، وبناء عليه بلغ معدل نفايات الفرد اليومية 1090 جراماً .

3 ــ خصائص النفايات المنزلية :

تتصف النفايات المنزلية في مدينة البيضاء بالخصائص التالية :

أ ــ ارتفاع نسب المواد العضوية ، كبقايا الأطعمة والخضراوات والفواكه

ب ــ كما تتصف بصورة عامة بارتفاع الرطوبة ومن ثم كثافتها .

ج ــ انخفاض نسب النفايات البلاستيكية والمعدنية والزجاجية مقارنة بمكونات هذه النفايات في الدول الصناعية .

إن توفر مثل هذه البيانات عن خصائص النفايات المنزلية وصفاتها يساعد في اتخاذ القــرارات المناســبة عــند التخطيط والتعامل معها ، فإن أسلوب التخزين وقدراته واختيار النوعية الجيدة من سيارات التجميع والحجم الأمثل لعدد العمال وتحديد عدد مرات التجميع كل هذا يعتمد أساساً على معرفة الحجم والكثافة .

العوامل المؤثرة في مشكلة النفايات المنزلية :

1 ــ النمو السكاني والامتداد العمراني :

لقد تضاعف عدد سكان المدينة ــ منذ إجراء أول تعداد سكاني حتى عام 1995 العام الذي شــهد آخــر تعداد ــ أكثر من 19 مرة ، وكذلك ارتفع معدل الزيادة السنوي من 19 % في الفترة بين 1954 ، 1964 م ليصل إلى 25 % في الفترة من 1964 إلى 1973 ف (9)

كمــا تبين من الدراسة ارتفاع عدد أفراد الأسر المتوسطة وفوق المتوسطة والأسر الكبيرة الحجــم مقارنة بالأسر ذوات الأحجام الصغيرة ، وبناء عليه فبزيادة عدد أفراد الأسرة تزداد كمية النفايات الناتجة عن مختلف الأنشطة الحياتية ، ويوضح الجدول رقم (2) أحجام الأسر بالمدينة .

جدول رقم (2) أحجام الأسر في مدينة البيضاء

الفئات	التكرارات	النسبة %
1 – 3	61	12.2
4 – 6	131	26.2
7 – 9	170	34.0
10 -	138	27.6
المجموع	500	100

المصدر : الدراسة الميدانية 1996 ف

لقـد واكبت الزيادة السكانية ظاهرة الامتداد العمراني والتوسع الحضري حيث شهدت المدينة توسـعاً عمرانياً خلال العقود الثلاثة الماضية ، ويشير الجدول رقم (3) والشكل رقم (1) إلى تطور الامتداد العمراني للمدينة .

جدول (3) تطور الامتداد العمراني للمدينة

1966	1980	نسبة الزيادة بين 1966 ــ 1980	الزيادة السنوية	المتوقع سنة 2000
100	982	882	63	2660

المصـدر : سعد خليل القزيري ، " التحضر ، في الجماهيرية " دراسة في الجغرافيا ، (تحرير الهادي بولقمة ، سعد القزيري) ، (سرت ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان) ، 1995 ، ص 440 .

وهذا مؤشر جيد لمعرفة مدى تعاظم كميات النفايات المنزلية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بـتطور أعـداد السـكان والامتداد العمراني ، إذ توجد هناك علاقة طردية بين عدد السكان وازدياد النفايات المنزلية [10]

2 ــ المستوى التعليمي :

يعـد التعلـيم مـن أهم العوامل المساعدة في عمليات النظافة العامة والتخلص من النفايات ، فانخفـاض نسـبة التعليم يؤثر سلباً في عمليات النظافة وطرق التخلص من النفايات ، فتكدس

النفايات المنزلية في الساحات العامة وأمام المنازل دليل على مدى الجهل بطرق التخلص من النفايات بصورة صحية ، ويبين الجدول رقم (4) المستوى التعليمي في مدينة البيضاء ، حيث يمكن أن تستنتج منه ما يلي :

جدول (4) المستوى التعليمي بالمدينة

المستوى التعليمي	التكرارات	النسبة %
أمي	88	17.6
ابتدائي	111	22.2
إعدادي	117	23.4
ثانوي	116	23.2
جامعي وفوق الجامعي	68	13.6

المصدر : الدراسة الميدانية ، 1996 .

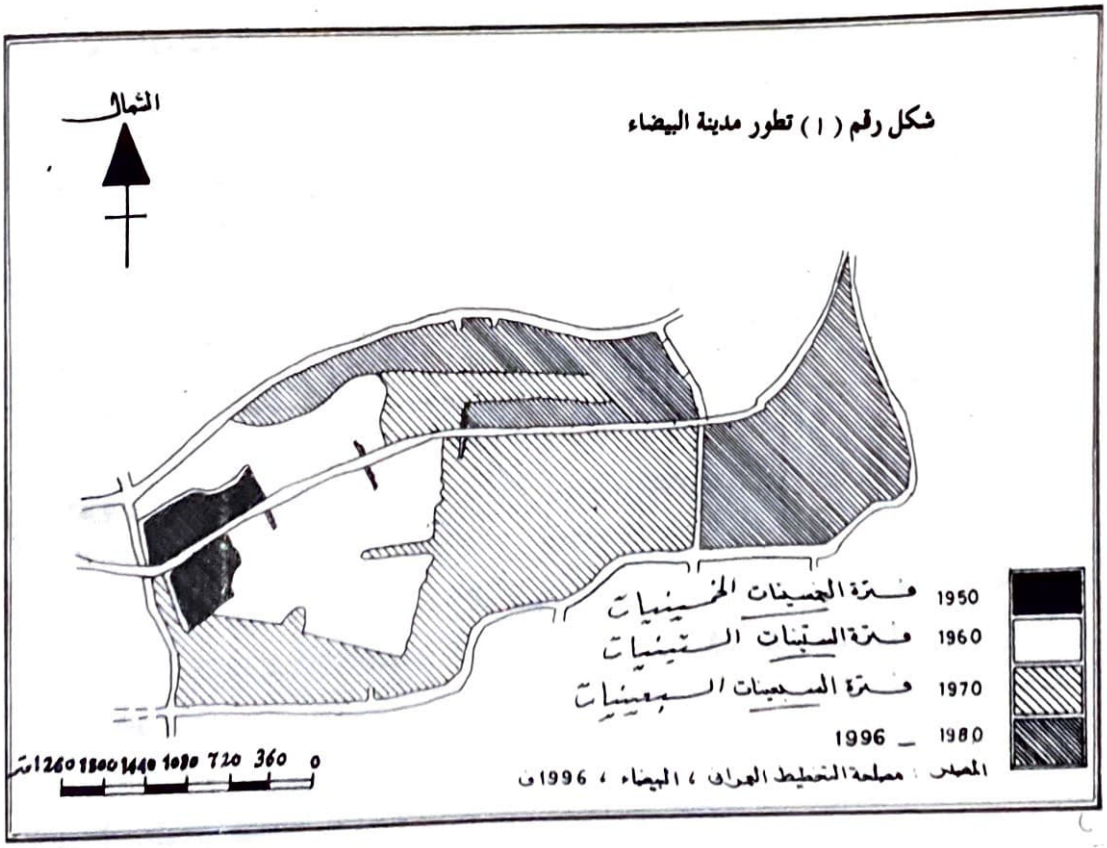

أ ــ انخفاض نسبة الأمية حيث بلغت 17.6 %

ب ــ سجل أصحاب التعليم الإعدادي والثانوي والابتدائي النسب الآتية 23.4 % ، 23.2 % ، 22.2 % على التوالي .

ج ــ بلغت نسبة التعليم الجامعي وما فوق الجامعي 13.6 % .

ونشير في هذا الصدد إلى أن أصحاب المستويات التعليمية الأكثر حظا أكثر فهما لمخاطر النفايات المنزلية ولذلك يستخدمون وسائل أكثر حفظا وسلامة داخل منازلهم ، كاستخدام الأكياس البلاستيكية أو البراميل المغطاة ، بينما نجد الفئات الأقل حظا من التعليم تستخدم وسائل حفظ أقل أمنا وسلامة وهذا ما قد ينتج عنه الروائح الكريهة المزعجة ، وكذلك تعرضها للتناثر اكثر احتمالاً خاصة عند حملها للخارج من قبل الأطفال ، ويشير الجدول رقم (5) إلى العلاقة بين المستوى التعليمي ووسائل حفظ النفايات المنزلية .

جدول (5) علاقة المستوى التعليمي بوسائل حفظ النفايات

الوسائل / المستوى التعليمي	برميل بغطاء %	برميل مفتوح %	أكياس بلاستيكية %
أمي	36.4	52.3	13.6
ابتدائي	39.6	45.9	14.4
إعدادي	47.0	35.9	17.1
ثانوي	52.6	22.4	25.0
جامعي	38.2	19.1	42.6

المصدر : الدراسة الميدانية 1996 ف

3 ــ المستوى الاقتصادي :

يعد المستوى الاقتصادي واحداً من أهم العوامل المؤثرة في ازدياد كميات النفايات المنزلية ، فبارتفاعه تتنوع النفايات وتزداد كمياتها ، فقد أشارت نتائج إحدى الدراسات إلى أن اختلاف معدل إنتاج النفايات المنزلية من حي لآخر يرجع إلى اختلاف الحالة الاقتصادية والاجتماعية [11] ، وكقاعدة عامة يزداد معدل كمية النفايات المنزلية الناتجة عن الفرد الواحد مع ارتفاع المستوى المعيشي .

عند تحليل جدول رقم (6) الذي يبين الدخل الشهري لأفراد العينة موزعاً حسب الأحياء نلاحظ ما يلي :

جدول رقم (6) الدخل الشهري لأفراد العينة حسب الأحياء

الدخل / الأحياء	150 –	151 – 200	201 – 250	251 – 300	301 – 350	351 –
	%	%	%	%	%	%
الغريقة	11	34	31	13	11	0
البيضاء الجديدة	8	33-3	37-3	12	9-3	0
الزيتونة	2-7	30-7	2	24	13-4	1-3
الجنين	0	4	20	40	30	6
العقاري	8	30	32	18	10	2
الصناعي	12	26	34	18	10	0
الكاوة	10	28	38	16	8	0
الشعبيات	22	52	18	8	0	0
الإجمالي	45	152	151	90	57	5
%	9	30-4	30-2	18	11-4	1

المصدر : الدراسة الميدانية ، 1996 ف

1 ــ تركز أصحاب الدخول المنخفضة في حي الشعبيات والحي الصناعي بنسبة 22 % ، 12 % على التوالي .

2 ــ أمــا أصحاب الدخول المرتفعة فيتركزون في حي الجنين والزيتوتة بنسبة 36 % ، 7-14 % على التوالي .

مما تقدم نستخلص ما يلي :

إن اخــتلاف الأحياء ونوعية السكن يرتبط بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي وهوما يؤثر علــى تنوع النفايات وتزايد كمياتها ، فسكان الأحياء الفقيرة تكثر في نفاياتهم المواد العضوية القابلة للتحليل والتعفن بينما الأحياء الغنية يتنوع محتوى نفاياتهم وتكثر فيها الأوراق والمعادن

والـزجاج وفي ذلك دليل عام للاستهلاك الزائد وارتفاع المستوى المعيشي ، والشكل رقم (2) يبين أحياء المدينة .

4 ـ دور المواطن وسلوكه :

يعـد سلوك المواطن ودوره ـ بوصفه المنتج الرئيس للنفايات ـ مهماً ومؤثراً في عملية الـنظافة العامة والمحافظة على بيئة نظيفة ، وذلك لايتم إلا باستخدام الطريقة المثلى في حفظ الـنفايات وفي مدى التزام المواطن بوضع نفاياته في متناول أجهزة البلدية والتزامه بمواعيد محـددة لإخراجها ومدى اتفاقها مع دورة الجمع التى يقوم بها جهاز النظافة العامة في المدينة ومـدى اسـتخدام المواطن أكياساً بلاستيكية لحفظ النفايات وإغلاقها بإحكام عند امتلائها قبل وضعها في الحاويات العامة ومدى تصنيفها قبل التخلص منها .

5 ـ تصنيف النفايات المنزلية :

يرتبط تصنيف النفايات المنزلية بدرجة عالية بالوعي البيئي حيث يقوم المواطن بتصنيف الـنفايات وفـرزها فـي المنزل قبل إخراجها والتخلص منها ، حيث يتم من خلال جمع هذه الـنفايات المتشـابهة الفرز المناسب لها فتوضع النفايات العضوية في أوعية خاصة بها بينما تخصص أوعية أخر للنفايات غير العضوية مثل نفايات الأوراق والزجاج

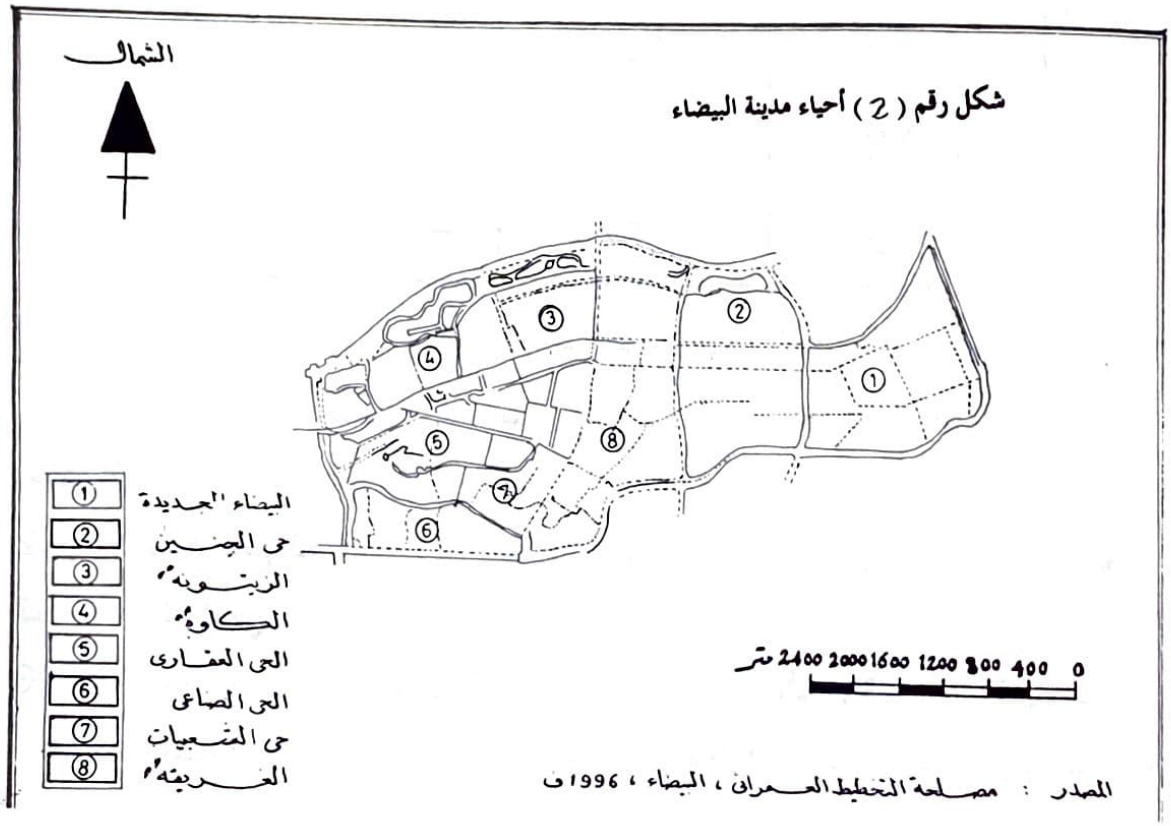

والمعـــادن وغـــيرها ، وتعـــد هذه الطريقة خطوة جيدة على طريق الحد من التلوث بالنفايات المنزلية .

6) وسائل جمع النفايات وحفظها في الأحياء : ـ

تبدأ عملية جمع النفايات المنزلية بمرحلة جمع أولية من المنزل يقوم بها المواطنون في حفـــظ نفايـــاتهم ووضعها في الحاويات القريبة من منازلهم ، وجدول رقم (7) يبين أماكن ووسائل جمع النفايات وحفظها في الأحياء ونستنتج منه ما يلي : ـ

جدول رقم (7)

المعدات المستخدمة في جمع النفايات

الوسائل	ك	%
عربات	146	29.2
حاويات	107	21.2
التحميل مباشرة	96	19.2
وضعها على أرض فضاء	151	30.2

المصدر : الدراسة الميدانية ، 1996 ف

1. إن نســـبة 30.2% مـــن أفراد العينة يلقون النفايات على الأراضي الفضـــاء والساحات المكشوفة .
2. بلغت نسبة جمع النفايات بوساطة العربات من قبل الموطنين ونقلها إلى أماكن بعيدة حيث الحاويات والأراضي الفضاء 29.1% .
3. نسبة جمع النفايات وحفظها في الحاويات الموزعة داخل الأحياء السكنية 21.1% .
4. أمـــا عملـــيات الـــتفريغ المباشر من المنازل إلى سيارات النظافة العامة فقد شكلت نسبة 19.2% .

ممـــا تقـــدم تبين لنا بوضوح نقص الحاويات الأمر الذي ينشأ عنه استخدام الأراضي الفضـــاء والســـاحات المكشوفة التي توجد بين الأحياء السكنية لرمي النفايات وجعلها مقالب مكشـــوفة تكـــون مصـــدر خطورة ليس فقط عن تكدس النفايات ولكن لما ينتج عنها من آثار ضـــارة علـــى الصـــحة العامة خاصة في المناطق المجاورة لها ، وهذا ما يؤكد أهمية توفير الحاويات فإنها تعد من العوامل الرئيسية المساعدة في عمليات جمع النفايات والتخلص منها

7) دور الجهات المسؤولة في نشر الوعي البيئي : ـ

التوعـــية بأهمـــية حماية البيئة وحيويتها ودفع المواطنين وحثهم على التعاون للمحافظة على الـــنظافة العامـــة والتخلص من النفايات ليست بالعملية اليسيرة وتحتاج إلى خبرة تعتمد على حســـن توظـــيف الإعلام بوسائله المختلفة حول مشكلة تكدس النفايات وكيفية التخلص منها ، حيث يجب إبراز أهمية النظافة العامة وطرق التخلص من النفايات بطرق صحية آمنة معتمدة تـــؤدي إلـــى التقلـــيل من الآثار الضارة لهذه النفايات في المدينة وأن تساهم وسائل الإعلام بأنواعهـــا المخـــتلفة المتمثلة في الصحف والمجلات والملصقات والإذاعة والندوات والكتب والمعـــارض فـــي عملـــية التوعية المستمرة للمواطن ، هذا إلى جانب القيام بحملات النظافة العامة واعتبار موضوع النظافة العامة قضية الجميع ومسؤولية المجتمع بكل هيآته وأفراده ، وهـــذا لا يأتي إلا بتضافر عنصرين متلازمين : البلدية والمواطن ؛ إن تعاون المواطنين مع أجهزة البلدية خاصة جهاز النظافة العامة يؤدي إلى التقليل من مشكلات النفايات المنزلية التي تواجهها المدينة بالإضافة إلى الإسراع في مجال التوعية بأهمية النظافة العامة وتجنب مخاطر الملوثات .

فـــي هذا الصدد أكدت الدراسة من خلال تحليلها للاستبيان الخاص بمدى قيام الجهات المســـؤولة بتوعـــية المواطنين بأهمية النظافة العامة ، ضعف مساهمة الجهات المسؤولة في مجـــال التوعية الأمر الذي كان له أثر سيئ دفع كثيراً من المواطنين إلى التخلص من نفاياتهم فـــي الأماكن غير المخصصة وفي الساحات والطرقات وأمام المساكن ، وكذلك عدم تعاونهم مع البلدية في تسيير عملية النظافة العامة في المدينة .

نؤكـــد في هذا الصدد أهمية استثمار الجهود الإعلامية في حث المواطنين على أهمية المشـــاركة في عمليات النظافة والتخلص من النفايات وتزويدهم بمعلومات عن مخاطر تكدس الـــنفايات المنزلـــية وما قد ينتج عنها من أضرار وتقديم إرشادات بخصوص أهمية المحافظة علـــى النظافة العامة ، وذلك بتوضيح الطرق الصحية لعمليات حفظ النفايات وتصنيفها داخل

المنزل ، وكذلك الطرق الصحية في تصريفها ومعالجتها .

8) الإجراءات التنظيمية والإدارية : ـ

إن عمليات منظومة النظافة العامة متعددة ومتتالية وتتم بصورة مستمرة للحيلولة دون تراكم النفايات ... تبدأ مراحل المنظومة عملياتها من مصدر النفايات ، فنجاح عمليات النظافة العامـــة يرتبط ارتباطا وثيقا بنجاح إدارة جهاز النظافة العامة التي تعتمد في نظام عملها على أسس علمية ودراسات ميدانية في اختيار أنسب الطرق في عمليات المنظومة من خلال معرفة كمـــية الـــنفايات المنـــتجة يوميا بهدف الوصول إلى سلوك نمطي لتقدير أداء إنتاجية الأفراد والوسائل التي تحتاجها العملية والحكم على الأنسب منها وتطويرها ووضع مؤشرات واضحة لـــتكلفة أعمال النظافة العامة وتقييمها ، لقد أوضحت الدراســـة التي أجريناها وجـــود عوائق تعترض الجهـــات المسؤولة وتحد من عملها تتمثل فيما يلي : ـ

1. قصور الاعتمادات المالية لعمليات النظافة العامة .
2. نقص العمال وآليات النظافة العامة .
3. ضآلة المرتبات وقلة الحوافز لمستخدمي هذا القطاع .
4. عـــدم المشاركة الشعبية في عمليات النظافة العامة ، وعدم التزام المواطنين بوضع النفايات في الحاويات والأماكن المخصصة لها .

9) طرق التخلص من النفايات المنزلية : ـ

تعد معالجة النفايات والحد من نموها مشكلة كبيرة تواجه أجهزة حماية البيئة وإدارات المـــدن بسبب كمياتها الكبيرة المنتجة يوميا وبما تتطلبه من إجراءات وتقنيات تبدأ من مراحل جمعها ونقلها ومعالجتها والتخلص الآمن منها .

وتوجد هناك عدة طرق للتخلص من النفايات المنزلية وتصريفها ، نستعرضها فيما يلي : ـ

أ. الطرق القديمة : ـ

تتمثل هذه الطرق في إلقاء النفايات في أراض ومقالب مكشوفة أو حرقها في الهواء دون معالجـــة أو ردم الأماكن المنخفضة ، أو إلقائها في الأودية أو دفنها في مدافن غير صحية أو قذفها في البحار أو الأنهار، وتعتمد مدينة البيضاء في تصريف نفاياتها بدرجة كبيرة على هذه

الطـــريقة ، حيـــث يـــتم إلقـــاء النفايات في مقلب مكشوف يقع بالقرب من المنطقة الصناعية والسوق البلدية ولا يبعد عن المنطقة السكنية بالمسافة الكافية إذ يجب أن يبعد على الأقل كيلو متراً واحداً عن منطقة العمران ، وهذه الطريقة تسبب الكثير من المشكلات الصحية والبيئية .

ب. الطرق الحديثة : ـ

لتفادي تلك المشكلات عكفت مراكز الأبحاث العلمية على دراسة مشكلات التخلص من النفايات وقد أسفرعن تلك الدراسات إيجاد طرق وتكنولوجيا جديدة في هذا المجال حيث لم تعد تلـــك الدراســـات قاصرة على مجـــرد معالجة مشاكل التخلص من النفايات بطـــرق صحية ولكـــنها اتجهـــت إلى كيفية الاستفادة منها باسترداد بعض محتوياتها أو إعادة تصنيفها مـــرة أخـــرى أو تحويل بعض محتوياتها القابلة للتخمر إلى أسمـــدة عضوية ذات قيمة عالية للتربة

تعـــتمد المديـــنة فـــي مجال معالجة النفايات على هذه الطريقة ، حيث إن نسبة المواد العضـــوية مـــرتفعة فـــي نفاياتها إذ تبلغ نسبتها 74.9% من مجموع النفايات وهذا ما يجعل اعتماد هذا الأسلوب مفيداً .

لقـــد تـــم إنشاء مصنع السماد العضوي بمدينة البيضاء عام 1979 ف وبدأ العمل فيه بطاقة إنتاجية كافية لمعالجة 60 طناً من النفايات يومياً في المرحلة خلال فترة عمل مدتها 8 ساعات مع إمكانية زيادة الطاقة ومضاعفتها في المرحلة الثانية ، لقد توالت على المصنع عدة شـــركات فرنسية وبولندية تسببت في إعاقة العمل و إرباك خطته العمل الأمر الذي أدى إلى توقف قطع الغيار و الصيانة .

مـــع بدايـــة عـــام 1997 ف بدأت اللجنة الشعبية العامة للمرافق عن طريق مصلحة المشـــروعات بإعـــادة تشغيل المصنع وصيانته ، حيث تعاقدت مع مجموعة شركات فرنسية مسجلة بالجماهيرية متخصصة في أعمال الصيانة وينبغي التأكيد في هذا الصدد العامة ب بأن الهدف من إنشاء مثل هذه المصانع يجب أن يكون أبعد مدى وأوسع نطاقاً وهو المردود البيئي ، حمايـــة البيـــئة مـــن أخطار التلوث بالملوثات خاصة النفايات المنزلية الصلبة عن طريق معالجـــتها وتصـــنيعها وإعادتها إلى دورتها الطبيعية ، فالشكل رقم (3) يبين مخطط مدينة البيضـــاء ومواقع معالجة النفايات والتخلص منها ، كما أن الصور الفوتوغرافية تبين الوضع الحالي للمقلب .

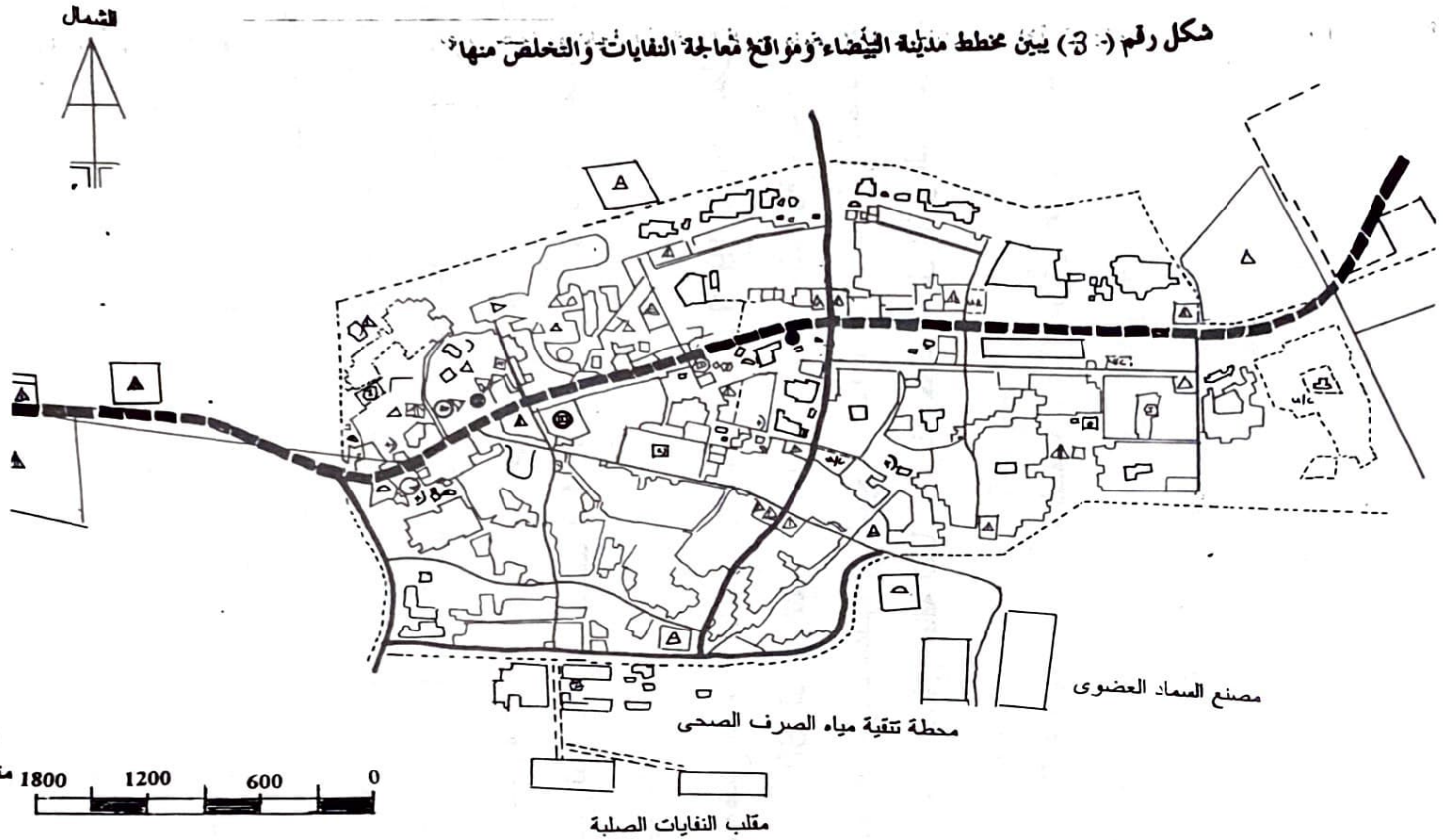

المصدر : مؤسسة دوكيادس ، إقليم بنغازى ، بلدية الجبل الأخضر ، البيضاء – شحات ، التقرير النهائى عن المخطط العام ، 1984 ، ص22 .

شكل رقم (3) مخطط مدينة البيضاء ومواقع معالجة النفايات والتخلص منها

صورة رقم (1) توضح تصاعد الدخان فى المقلب نتيجة حرق النفايات

صورة رقم (2) توضح تكدس النفايات فى المقلب

صورة رقم (3) توضح بعض الحيوانات وهى ترتع فى المقلب

صورة رقم (4) توضح تراكم النفايات على جانبى الطريق المؤدية إلى المقلب

صورة رقم (5) توضح سيارة النظافة العامة وهى تفرغ حمولتها فى المقلب

الآثار الناجمة عن تكدس النفايات المنزلية وانتشارها :

أ- آثار صحية :

تأكد علمياً أن النفايات المنزلية تحتوى على الجراثيم المسببة للأمراض بمختلف أنواعها و لقد أثبتت فحوص (Hilgermon) أن فعالية الجراثيم الممرضة ونشاط بكتيريا التيفوئيد تبقى فى القمامة لمدة تزيد عن 80 يوما ، وكما أثبت الباحثان (Preus K Gross) أن ميكروب التيفوئيد يوجد على السطح الخارجى للذباب مدة عشرة أيام وذلك بعد عملية التلويث بالنفايات المنزلية ، وكما أثبتت دراسات أخر فإن للذباب الفرصة المناسبة فى نقل ونشر مرض التيفوئيد خاصة فى المناطق الحارة (12) بالإضافة إلى هذا يتولد من النفايات المنزلية أعداد كبيرة من الحشرات فى مقدمتها الصراصير التى تنقل للإنسان 26 مرضاً والذباب الذى ينقل 42 مرضاً ومن أخطرها الأمراض الوبائية كالعمى الصفراء والملاريا والتهاب الكبد ، وكذلك نقد النفايات المنزلية وسطاً ممتازاً لتكاثر الفئران التى تنقل للإنسان 16 مرضاً منها مرض الطاعون [13] .

ب- آثار بيئية :

تتعرض كثير من مدن العالم خاصة فى الدول النامية لمشكلات يومية نتيجة تزايد أحجام

النفايات وكمياتها ، فإن عدم الاهتمام بجمعها وبقائها لفترات طويلة بين المساكن يضر بالبيئة حيث تتحول كثير من تلك الأماكن إلى مقالب مكشوفة ، ذلك أن رمى النفايات وطرحها على الأرض دون عناية ومعالجة يؤدى إلى تغيير فى تركيب التربة والوسط الايكولوجى الطبيعى لسطح الأرض[14] .

إن عدم العناية و الاهتمام بالنظافة العامة والتخلص من النفايات يقلل من القيمة الجمالية لأى مكان تتراكم فيه يؤدى إلى تشويه المدينة ويصبح مصدراً منفراً لكل من يقع بصره عليها ، ومن المشاكل أيضاً قيام بعض السكان نتيجة نقص الوعى البيئى باشعال الحرائق فى النفايات المتكدسة فى الأحياء من أجل التخلص من الروائح الكريهة وهذا ما يسبب تلوث هواء المدينة بالغازات الضارة كثانى اكسيد الكربون والكبريت وغاز كبريتيد الهيدروجين حيث تتصاعد هذه الغازات فى الجو على هيأة دخان محمل بالرماد والشوائب وغالباً ما تحمل الرياح هذه الغازات إلى المناطق المحيطة والغذائية .

جـ ـ آثار اجتماعية ونفسية :

تراكم النفايات المنزلية وانتشارها داخل المدينة يؤدى إلى إثارة مشاعر السخط والملل لدى السكان وفتور حماسهم بعدم المشاركة فى أعمال النظافة العامة ، لقد أثبتت كثير من الدراسات التى أجريت على النفايات المنزلية وجود العديد من الأمراض الاجتماعية مثل الاكتئاب وسوء المعاملة نتيجة سوء حالة البيئة وفى مقدمتها تدنى خدمات النظافة العامة والتخلص من النفايات خاصة فى الأحياء الفقيرة والعشوائية ، بالاضافة إلى هذا فإن انتشارها يسبب تشويه المدينة من الناحية الجمالية ويثير الضيق والاشمئزاز وبالتالى يؤثر على حالة السكان النفسية[15].

د ـ آثار اقتصادية وسياحية :

لقد أثبتت معظم البحوث عن أثر تراكم النفايات المنزلية والبيئة غير النظيفة التى يعيش فيها الإنسان على انتاجه ونشاطه ، يفوق معدل انتاج الإنسان الذى يعيش فى بيئة نظيفة نحو 20 ، 38 % من انتاج الشخص الذى يعيش فى بيئة غير نظيفة ، وكما أوضحت نتائج البحوث فى السياحة والبيئة أن السياح يفضلون الأماكن النظيفة المتطورة ، لذلك تهتم غرف السياحة فى كل دول العالم بنشر الوعى البيئى من أجل تحسين البيئة فى مناطق الجذب السياحى[16] ، وكذلك يؤدى عدم التخلص من النفايات المنزلية إلى حدوث العديد من مظاهر الانتكاس الاقتصادى الناتج عن عدم القدرة على استخدام الامكانات الاقتصادية المتاحة بالطرق المثلى وإحجام المستثمرين وأصحاب الأموال عن القدوم إلى الدولة لارتفاع المخاطر بسبب زيادة الآثار الضارة من النفايات المنزلية الصلبة .

أما الجانب الآخر من آثارها فيتمثل فى ارتفاع تكاليفها وأنها تستنفد ما يقارب 1 % من مجموع الناتج الإجمالي وبالتالى فإنها تعد واحدة من أكثر الخدمات الحضرية تكلفة[17].

نتائج الدراسة :

فيما يلى نقدم عرضاً موجزاً لأهم النتائج التى تم التوصل اليها من خلال الدراسة :

1. أثبتت الدراسة ارتفاع معدل نصيب الفرد من النفايات المنزلية بمدينة البيضاء مقارنة ببعض مدن الوطن العربى والدول النامية .
2. أظهرت الدراسة مدى الارتباط بين ارتفاع المستوى المعيشى وازدياد النفايات المنزلية وتنوعها ، حيث ينتج عن الارتفاع المستمر فى مستوى المعيشة ارتفاع فى إنتاج النفايات ، وإن اختلاف معدل إنتاج النفايات المنزلية من حى إلى آخر فى المدينة يرجع إلى اختلاف الحالة الاقتصادية والاجتماعية للسكان .
3. بينت الدراسة أثر التعليم فى تعديل السلوك فى تداول النفايات المنزلية وذلك من خلال معرفة مدى الأضرار والمخاطر الصحية والبيئية التى قد تسببها إذا لم يحسن التصرف معها وتركها دون عناية ، لقد أثبتت الدراسة من تحليل البيانات الخاصة بالمستوى التعليمى وجود علاقة بين التعليم والوسائل المستخدمة فى حفظ النفايات وكيفية جمعها وامكانية تصنيفها فى المنزل قبل اخراجها والتخلص منها .
4. أكدت الدراسة وجود صعوبات وعوائق تواجه الجهات المسؤولة وتعترض عمليات النظافة العامة والتخلص من النفايات نتيجة قصور الاعتمادات المالية المخصصة لها وانخفاض معدل الأداء للمعدات الميكانيكية نتيجة انخفاض مقدرتها بسبب عدم توفر الصيانة وقطع الغيار بالإضافة إلى نقص العمالة المدربة والإدارة الحازمة وضالة الرواتب والحوافز لمستخدمي هذا القطاع .
5. ثبت من الدراسة و تحليل مكونات النفايات المنزلية أن نفايات المدينة يرتفع فيها المحتوى العضوى بنسبة 74.9 % من جملة النفايات المنزلية ، الأمر الذى يساعد على الاستفادة منها عن طريق معالجتها وتحويلها إلى سماد عضوى مخصب للتربة الزراعية .
6. أكدت الدراسة أن عمليات منظومة النظافة العامة والتخلص من النفايات مرهونة بعدد من العوامل ، منها حجم العمالة وعدد حاويات جمع النفايات وسعتها وأسلوب توزيعها وكذلك عدد الآليات المناسبة ونوعها ، وعدد ساعات العمل لجمع النفايات والتخلص منها .

هوامش الدراسة ومراجعها

1. " التلوث آفة العصر ومرض عضال " مجلة المدينة العربية ، المعهد العربى لإنماء المدن ، (الرياض) ، العدد 58 ، يناير . فبراير ، 1994 ، ص 55 .
2. عيد العلى النعيم ، " خيارات التقنية للتخلص من النفايات ــ تجربة مدينة الرياض " مجلة المدينة العربية ، المعهد العربى لإنماء المدن ، (الرياض) ، العدد 36 ، السنة الثامنة ، 1989 ، ص 74 .
3. جامعة الدول العربية ، مجلس وزراء الإسكان والتعمير العرب ، ندوة تلوث البيئة ومشاكلها فى الوطن العربى ، عمان ، 1984 ، ص 127 .
4. طارق أحمد محمود ، علم وتكنولوجيا البيئة ، الموصل : دار الكتب والنشر 1988 ، ص 12 .
5. أبوبكر صديق سالم ، نبيل محمود عبد المنعم ، التلوث المعضلة والمل ، بيروت : مركز الكتب الثقافية ، 1989 ، ص 15 .
6. فتحى أحمد الهرام ، محمد عبد الله لامه ، التلوث البيئى وتأثيراته المختلفة على المدن ، مجلة الآداب والتربية ، منشورات كلية الآداب والتربية ، جامعة قاريونس ، بنغازى ، العددان 9 ، 20 ، 1995 ــ 1996 ، ص 91 .
7. أحمد عبد الوهاب عبد الجواد ، قضايا النفايات فى الوطن العربى ، القاهرة : الدار العربية للنشر والتوزيع ، 1997 ، ص 34 .
8. المعهد العربى لإنماء المدن ، النظافة العامة والتخلص من النفايات فى المدن العربية ، المجلد الأول ، الرياض ، 1986 ، ص 306 .
9. سعد خليل القزيرى ، " التحضر " فى الجماهيرية دراسة فى الجغرافيا ، (تحرير الهادى ابو لقمة ، سعد القزيرى) ، (سرت ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان) ، 1995 ، ص 421 .
10. خالد الطراونة ، عدنان مبيضين ، " النفايات الصلبة وأساليب معالجتها وطرق الاستفادة منها فى لواء المترا ــ الجنوبي ــ الأردن " ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ــ قسم العلوم الجبائية ، كلية العلوم ، جامع مؤتة (الكرك) ، العدد الرابع ، المجلد التاسع ، 1994 ، ص 12 .
11. على زين العابدين عبد السلام ، محمد بن عبد المرضى عرفات ، تلوث البيئة ثمن

للمدينة ، القاهرة الدار العربية للنشر والتوزيع ، 1996 ، ص 191 .
12. عـادل عـوض ، أبحـاث مخـتارة من علوم البيئة ، دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، 1989 ، ص 312 .
13. مـنظمة الصحة العالمية ، معالجة المخلفات الصلبة فى البلدان النامية ، الإسكندرية : المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط ، 1988 ، ص 6 .
14. مفـتاح عـبد السـلام الشـويهدى ، مدخـل إلى الطلب الصناعى ، مصراتة : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، 1992 ، ، ص 110 .
15. أبوبكر صديق سالم ، نبيل محمود عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 163 .
16. أحمد عبد الوهاب عبد الجواد ، المرجع السابق ، ص 49 .
17. منظمة الصحة العالمية ، المرجع السابق ، ص 7 .

الاهتمام الدولي بالبيئة

د . محمد عبد الله لامه
أستاذ - مشارك - قسم الجغرافيا - كلية الآداب - جامعة قاريونس

مقدمـــــة : -

لقد شهدت السنوات الأخيرة تفاقم المشكلات البيئية في أنحاء شتى من العالم ، وأصبحت العلاقة بين الإنسان والبيئة يعتريها الكثير من التغيير منذ منتصف القرن العشرين ، ومنذ ذلك الوقت بدأ العالم يشهد تطورات كثيرة فقد أخذ عدد سكان العالم في تضاعف وخاصة في الدول النامية .

وقد صاحب ذلك حدوث اختلال في التوازن بين السكان والموارد المتاحة ، وزيادة معدلات التلوث ، واتساع حركة الهجرة من الريف إلى المدن ، فاكتظت المدن بالسكان وتفاقمت مشكلة السكن ، وزاد الضغط على مساحة الأرض المحدودة في المدينة ، بالإضافة إلى مشكلة تدهور الغطاء النباتي وجرف التربة [1] ، ومشكلة نقص وتدهور المياه العذبة وبخاصة في المناطق الجافة وشبه الجافة ، والزحف العمراني على الأراضي الزراعية وغيرها .

وبالرغم من ضخامة كوكب الأرض البالغ مساحته * (510 مليون كم^2) [2] وغناه بالموارد الطبيعية إذ إنه محدود المساحة ومحدود الموارد التي تتعرض للتدهور والنضوب . إذا لم يحافظ عليها ويحسن استخدامها ، ونتج عن ذلك تدهور بيئي مخيف بالنسبة للمحيط الحيوي (الغلاف الحيوي Biosphere) [3] .

إن تفاقم المشكلات البيئية في العقود الأربعة الأخيرة لا يعني عدم وجودها في الماضي بل كانت موجودة على نطاق محدود ، وقد تمثلت تلك المشاكل فيما يقوم به الإنسان من إزالة للغابات وإنعكاس ذلك على المناخ كما أشار بليني في اليونان قديماً إلى ذلك ، كما أدى قطع الصينيين الأوائل للأشجار إلى تعرض التربة للانجراف بفعل مياه الأمطار ، كذلك أساء المستعمرون الرومان في دول حوض البحر المتوسط استخدام موارد هذه البلدان ، وقضوا

* يمثل الماء نحو 362 كم^2 أي 71% من مساحة سطح الأرض ويمثل اليابس نحو 148 مليون كم^2 أي حوالي 29% من مساحة سطح الأرض .

على كثير من أنواع الحيوانات البرية مما نتج عنه اختفاء الكثير من أنواع هذه الحيوانات في أوربا وشمال أفريقيا .

كذلك أدى قطع الإنسان للغابات في بلاد الشام وجزر شرق البحر المتوسط إلى تحويل كثير من المرتفعات في هذه البلاد إلى أراض رديئة Bad Lands (4) .

موضوع البحث : -

يتناول هذا البحث أهم الجهود الدولية المبذولة من قبل المجتمع الدولي لحماية البيئة من التدهور الذي تتعرض له الأنظمة البيئية نتيجة للنمو السكاني السريع الذي يشهده العالم من ناحية وزيادة الأنشطة البشرية من ناحية أخرى ، حيث أدى ذلك كله إلى تفاقم المشكلات البيئية التي باتت تهدد الأنظمة البيئية بمزيد من التدهور ، وتتمثل تلك المشكلات البيئية في التلوث البيئي ، ومشكلة الغذاء والنمو السكاني ، ومشكلة الجفاف والتصحر ، وتآكل طبقة الأوزون ، والاحتباس الحراري ومشكلة استنزاف الموارد الطبيعية ، والزحف العمراني على الأراضي الزراعية وغيرها .

وقد تمثلت جهود المجتمع الدولي في انعقاد العديد من المؤتمرات والندوات وإبرام الاتفاقيات بين الدول للحد من تلك المشكلات ، كما تتمثل تلك الجهود في التحرك الشعبي الجماهيري من خلال التنظيمات المختلفة في أنحاء العالم التي برزت على هيأة حركات بيئية مناهضة لأعداء الطبيعة وتنادي أن تبقى البيئة Environment متوازنة خالية من الملوثات تحفظ التوازن للأنظمة البيئية .

الأمم المتحدة والبيئية United Nation and Environment : -

إن استمرار العبث بالبيئة والسرعة المتزايدة في استغلال الموارد الطبيعية مع زيادة النمو السكاني وسوء الإدارة البيئية كان لابد أن يتركنا في كارثة بيئية لا يمكن تجاهلها ، ونتيجة لهذا التدهور البيئي المخيف كان لابد من اتخاذ التدابير والاحتياطات اللازمة وإعلان التحذيرات قبل أن نصل إلى الآثار المدمرة في تعامل الإنسان مع البيئة ، وحتى لا نصل إلى نقطة اللا عودة نتيجة للافراط في تدخل الإنسان في البيئة .

ومن هنا جاء دور منظمة الأمم المتحدة للاهتمام بالبيئة ، وذلك بالقيام بخطوات جدية يشترك فيها العالم كله للحد من هذه المشكلات ، وقد تمثلت جهود دول العالم في الآتي : -

1. الإعلان العالمي للاهتمام بالبيئة 1968 : -

لم تكتسب البيئة الاهتمام العالمي بها إلا في أواخر الستينيات ، وبالتحديد في شهر الكانون (ديسمبر) من عام 1968 حيث أعلن عن مرحلة هامة في تاريخ الاهتمام الدولي بالبيئة ، وذلك بعد أن دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى عقد مؤتمر عالمي حول البيئة ، للبحث عن حلول لمشكلات التلوث البيني وغيرها من المشكلات التي تهدد المحيط الحيوي Biosphere ، ويجيء هذا الاهتمام بعد تزايد الأنشطة البشرية التي استهدفت المساس بالموارد الطبيعية وعناصر البيئة (الهواء والماء والتربة) .

2. مؤتمر الأمم المتحدة الأول للبيئة (مؤتمر استكهولم 1972) : -

عقد هذا المؤتمر في مدينة استكهولم عاصمة السويد في 5 الصيف " يونيو" 1972 وقد جاء هذا المؤتمر بعد أربع سنوات من الاجتماعات واللقاءات التحضيرية ، وقد حضر أعمال هذا المؤتمر 113 دولة إضافة إلى حضور عدد كبير من المنظمات الإقليمية غير الحكومية بهدف وضع أسس للتعاون المستقبلي في مجال حماية البيئة وتحسينها .

وقد اعتبر هذا المؤتمر حجر الزاوية في دراسة مشكلة التلوث ونقطة الانطلاق للمعنيين وقد صدر عن هذا المؤتمر إعلان حول " البيئة الإنسانية Environment Human " متضمنا أول وثيقة دولية عن مبادئ العلاقات بين الدول في شؤون البيئة وكيفية التعامل معها والمسؤولية عما يصيبها من أضرار [5] ، كما تضمن بيان المؤتمر (109) توصية تدعو الحكومات ووكالات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية إلى التعاون في اتخاذ التدابير من أجل حماية البيئة .

3. برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP)

United Nation Environmental Programme

بناء على توصية مؤتمر استكهولم قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم (2997) الدورة (27) إنشاء برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) في شهر ديسمبر 1972 لتشجيع الدول ومساعدتها على تطوير برامجها البيئية وإدخال الاعتبارات البيئية في نشاطاتها . ومن أهم مهامه الأساسية ما يلي [6] : -

أ- زيادة التعاون الدولي في مجال البيئة وتقديم التوصيات المناسبة لهذا الغرض .

ب- وضع الأنظمة الإرشادية العامة لتوجيه البرامج البيئية وتنسيقها في إطار نظام الأمم المتحدة .

ج- متابعة تنفيذ البرامج البيئية وجعل الوضع البيئي الدولي تحت البحث والمراجعة المستمرة .

د- زيادة إسهام الهيئات العلمية والمهنية ذات العلاقة لاكتساب المعارف البيئية وتقويمها وتبادلها .

ه- جعل الأنظمة والتدابير البيئية والوطنية والدولية في الدول النامية تحت المراجعة المستمرة .

و- تمويل برامج البيئة وتقديم المساعدة والتشجيع لأية دولة في الأمم المتحدة وخارجها .

ومن أهم برامج العمل التي اهتم بها البرنامج ، تلك المتعلقة بالمستوطنات البشرية ، والصحة الإنسانية والبيئية ومتابعة الأنظمة البيئية ، والمحيطات ، والبيئة والتنمية ، والكوارث الطبيعية ، والطاقة ، والرقابة الأرضية ، والإدارة للبيئة ، والتدريب والتعليم البيئي ، وقد اتخذت مدينة نيروبي في كينيا مقرا له .

4. مؤتمر الأغذية الدولي للأمم المتحدة 1974 : -

عقد هذا المؤتمر في مدينة روما عام 1974 لتقديم الوضع العالمي للغذاء وتقييمه في الحاضر والمستقبل . وقد ناقش المؤتمر مشكلة عدم إدراك الإنسان لأسرار التوازنات المادية الدقيقة بين الطاقات الإنتاجية لمعظم الموارد الطبيعية المستخدمة في الإنتاج الزراعي . وانتهى هذا المؤتمر إلى أن المشكلات البيئية الكبرى التي تواجه الزراعة والغابات ومصايد الأسماك لا تنحصر في مجرد تلوث البيئة ، بل تمتد أيضا إلى ضمان المحافظة - خلال عملية التنمية - على القدرة الإنتاجية للموارد الطبيعية الأساسية التي يقوم عليها الإنتاج الغذائي . وذلك بفضل الإدارة الرشيدة وإجراءات صيانة الموارد . واعترف المؤتمر بان التنمية الزراعية وتوفير الأمن الغذائي العالمي يعتمدان على الرعاية الدقيقة للموارد الحية وعلى القوانين البيئية وعناصر التوازن البيئي التي تحكمها ، كما يعتمدان على ملاءمة الطلب مع الإنتاج والاحتياطي (7) .

وقد اهتمت منظمة اليونسكو بالوعي البيئي ، وأسست برنامجها الشهير عن الإنسان والغلاف الحيوي Man and Biosphere (MAB) الذي يركز على البحث والتدريب في الجوانب الطبيعية والاجتماعية للبيئة والذي وضع موضع التنفيذ عام 1975 ، ومن أهم المؤسسات الأخرى التابعة لهيئة الأمم المتحدة التي اهتمت بمشكلات البيئة وصيانة الموارد الطبيعية هي (8) : -

أ- الاتحاد الدولي لصيانة الطبيعة والموارد الطبيعية .

International Union for Conservation of Nature and Natural Resources (IUCN) .

ب- الصندوق العالمي للحياة البرية (WWF)

World Wild Life Fund

الذي عدل اسمه فيما بعد إلى World Wild Fund

وقد أسست الهيأتان الأولى والثانية " مؤسسة الصيانة البيئية " Foundation of Environmental Conservation " عـــام 1975 بجنيف بسويسرا . ومن أهداف هذه المؤسسة التعاون بين مختلف الجمعيات والمنظمات المهتمة بصيانة الموارد الطبيعية ورعاية الدراسات البيئية وعقد المؤتمرات وورش العمل المتخصصة وإنشاء مجلة الصيانة البيئية Journal of Environmental Conservation [9] .

5. الندوة العالمية للتربية البيئية 1975 : -

عقدت هذه الندوة في مدينة بلغراد من 13 - 22 التمور (أكتوبر) 1975 ، وقد حددت هذه الندوة إطاراً عالمياً للتربية البيئية ، يهدف إلى تمكين الإنسان من فهم ما تتميز به البيئة به من طبيعة معقدة نتيجة للتفاعل بين جوانبها الحيوية والطبيعية والاجتماعية والثقافية [10] .

6. المؤتمر الدولي الحكومي للتربية البيئية 1977 : -

عقد في مدينة تبليسي بجمهورية جورجيا بالاتحاد السوفييتي السابق من 13 - 26 التمور (أكتوبر) 1977 وقد جاء في توصيات هذا المؤتمر " أن الهدف من التربية البيئية هو إيجاد وعي وسلوك وقيم نحو حماية الغلاف الحيوي " المحيط الحيوي " وتحسين نوعية الحياة للإنسان في كل مكان ، والحفاظ على القيم والأخلاق والتراث الثقافي والطبيعي ويشمل ذلك الأماكن المقدسة والمعالم التاريخية والأعمال الفنية والآثار والمواقع والحياة الطبيعية للإنسان وفصائل النبات والحيوان والمستوطنات البشرية " [11] .

7. مؤتمر الأمم المتحدة الأول عن ظاهرة التصحر 1977 : -

عقد هذا المؤتمر بمدينة نيروبي بكينيا خلال الفترة من 29 هانيبال (أغسطس) إلى 9 الفاتح (سبتمبر) 1977، وقد أسفر هذا المؤتمر عن وضع خطة عمل لمكافحة التصحر ، وقد احتوت الخطة على وثيقة فنية محكمة تشمل 28 توصية تحتوي كل منها على تفاصيل للأعمال التي يجب تنفيذها على المستويات الإقليمية والدولية [12] .

8. اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار 1982 : -

9. الميثاق العالمي للطبيعة 1982 : -

صدر هذا الميثاق عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 28 التموز (أكتوبر) 1982 وذلك تتويجا لجهود دولية بدأها رئيس جمهورية زائير سابقاً " مبوتو سيسيكو " (الكونغو الديمقراطية حاليا) أمام الجمعية الثانية عشرة للاتحاد العالمي لحفظ الطبيعة والموارد الطبيعية التي عقدت بمدينة كينشاسا (الفاتح " سبتمبر" 1975) ، حيث اقترح وضع ميثاق عالمي للطبيعة هدفه توجيه وتقويم أي مسلك بشري من شأنه التأثير على الطبيعية ، ويتضمن قواعد للسلوك في إدارة الطبيعة واستغلال مواردها [13] .

كما أكد أن خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ينبغي أن تبنى على دراسة علمية كاملة لمتطلبات البيئة والحفاظ على الطبيعة .

10. اتفاقية فينا لحماية طبقة الأوزون 1985 .

11. اتفاقية مونتريال لحماية البيئة 1987 .

12. قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 1987 (المنظور البيئي سنة 2000 وما بعدها) .

صدر هذا القرار في عام 1987 لتوجيه العمل الوطني الدولي في السياسات والبرامج الرامية إلى تحقيق التنمية السليمة بيئيا [14] . فالإدارة الواعية بيئياً تمثل صمام الأمان لضمان تنفيذ مشروعات الخطة تنفيذاً بيئياً سليماً .

13. هيأة التسهيلات البيئية العالمية " مرفق البيئة العالمي " 1991 : -

Global Environment Facility (GEF)

تأسست هذه الهيئة في عام 1991 وهي ذات فاعلية كبيرة في الحماية والصيانة البيئية (15) وتقوم هذه الهيئة بمد الدول النامية بالمنح والمزايا التمويلية للمشروعات والأنشطة التي تحقق إنجازات عالمية في المجالات الأربعة الآتية : -

التهديد الذي يتعرض له التنوع الحيوي ، التغيرات المناخية ، تلوث المياه الدولية ، وتآكل طبقة الأوزون ، بالإضافة إلى دعمها المالي لبرامج مكافحة التصحر وإزالة الغابات على المستوى القومي .

وتشترك في هذه الهيئة (GEF) جيف 164 دولة ، يتولى تنفيذ برامجها برنامج الأمم المتحدة للتنمية وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ، والمصرف الدولي ، وفيما يختص بمبادرات

الصيانة على المستوى الدولي فقد صدرت عدة اتفاقيات ومواثيق نذكر منها [16] : -

ا- ميثاق رامسار Ramsar Convention وهو يختص بالأراضي الرطبة (Wetlands) ذات الأهمية العالمية بوصفها موطناً للطيور المائية خاصة .

ب- ميثاق التجارة الدولية في الأنواع البرية النباتية والحيوانية المعرضة للخطر . Convention on International Trade in Endangered Species (CITES).

ج- ميثاق بون لحماية الحيوانات البرية المهاجرة Bonn Convention

د- الاتفاقيات الدولية للأخشاب المدارية . International Tropical Timber

ه- ميثاق باريس لمنع التلوث الحراري .

و- الميثاق الدولي لمنع التلوث البحري من السفن .

ز- برنامج الأمم المتحدة البيني عن البحار الإقليمية .

ح- اتفاقية مونتريال لحماية طبقة الأوزون Montreal Protocol .

ط- ميثاق نادي الثلاثين بالمائة Club 30 % لخفض الانبعاثات الكبريتية .

14. مؤتمر الأمم المتحدة الثاني للبيئة والتنمية (UNCED) قمة الأرض الأولى 1992 : -

عقد هذا المؤتمر خلال شهر الصيف (يونيو) 1992 في ريودي جانيرو (من 3 - 14 الصيف (يونيو)) [17] ، وشاركت فيه 178 دولة وحضره 140 رئيس دولة وحكومة ، وقد أسفر هذا المؤتمر عن وثيقة إجرائية موجهة ، وهي المفكرة (21) ، حيث إنها وثيقة شاملة تحتوي على أربعين فصلاً متضمنة المحاور الاجتماعية والاقتصادية [18] ، وقد تم في هذا المؤتمر مناقشة العديد من المشكلات البيئية مثل تلوث البحار والمحيطات والأنهار والهواء ، وتمزيق طبقة الأوزون ، بالإضافة إلى مشكلة الجفاف والتصحر [19] .

15. مؤتمر المناخ العالمي برلين 1995 : -

عقد هذا المؤتمر في مدينة برلين خلال الفترة من 3/28 إلى 7 / 4 / 1995، وهو تكملة لمؤتمر قمة الأرض الأولى ومن أهدافه الحد من انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون بحلول عام (2000) وتثبيته إلى مستواه عام 1990 وذلك من جانب الدول الصناعية ، حيث يعد هذا الغاز السبب في ارتفاع درجة الحرارة المعروفة باسم " الاحتباس الحراري[20]

(Global Warming) .

16. مؤتمر لشبونة 1996 : -

عقد في لشبونة في البرتغال وذلك في شهر الصيف (يونيو) 1996 وذلك حول شؤون البيئة ودراسة مشكلة التصحر .

17. مؤتمر الأمم المتحدة الثالث للبيئة والتنمية (UNCED) قمة الأرض الثانية 1997 : -

عقد خلال الأسبوع الأخير من شهر الصيف (يونيو) 1997 في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية . وقد فشلت أعمال هذه القمة في اتخاذ إجراءات جديدة للحد من ارتفاع درجة حرارة العالم ، ويعود ذلك إلى الخلافات بين الدول الصناعية والدول النامية حيث يلقي منهما على الآخر تبعة المأزق الحالي لتدهور البيئة وبخاصة الاحتباس الحراري .

وأشارت القمة إلى وجود توافق واسع ولكنه ليس شاملاً حول الحد من انبعاث الغازات وفق جداول زمنية محددة ، وأعربت الوثيقة عن القلق العميق بسبب التدهور المتزايد للوضع البيني .

18. مؤتمر المناخ العالمي الثاني (كيوتو اليابان 1997) : -

عقد في كيوتو باليابان خلال شهر الكانون (ديسمبر) 1997 وذلك حول تغيرات المناخ بسبب الاحتباس الحراري وزيادة انبعاث الغازات في الغلاف الجوي . وبخاصة ثاني أكسيد الكربون والغازات الأخرى .

19. مؤتمر المناخ العالمي الثالث (بوينس أيرس 1998) : -

عقد في مدينة بوينس أيرس في الأرجنتين خلال الأسبوع الأول من شهر الحرث (نوفمبر) وذلك حول الاحتباس الحراري .

20. مؤتمر المناخ العالمي الرابع . لاهاي (2000 ف) : -

عقد هذا المؤتمر في لاهاي في هولندا في الفترة من 13 إلى 25 من شهر الحرث ((نوفمبر)) من عام 2000 ف تحت إشراف الأمم المتحدة ، وقد تابع المؤتمر ما تم الاتفاق عليه في كيوتو باليابان بشأن انبعاث الغازات التي تسبب الاحتباس الحراري والحد من انبعاثها بنسبة أكثر من 5% ما بين الفترة الواقعة بين (2002 – 2012 ف) ، وقد شارك في هذا المؤتمر 180 دولة أبدت خيبتها من التوصل إلى نتائج ملحوظة . وأشار المؤتمر بأن درجة حرارة العالم ستزيد من 1.5 – 6 درجات منوية خلال مائة سنة القادمة ، وأن الأمر يحتاج

إلى قرارات صعبة للحد من انبعاث الغازات .

21. مؤتمر البرازيل للمياه : -

عقد هذا المؤتمر في البرازيل يوم 24 / 11 / 2000 ف وحضره 500 خبير في مجال المياه والبيئة من مختلف دول العالم ، وناقش المؤتمر مشكلة نقص المياه العذبة في العالم ومشكلة تلوث المياه بصفة عامة . وأشار المؤتمر إلى أن $\frac{1}{6}$ سكان العالم يعانون من نقص المياه العذبة النقية ، وأن 10 آلاف شخص يموتون يومياً نتيجة لتلوث المياه .

22. مؤتمر المناخ العالمي الخامس . بون (2001 ف) : -

عقد في مدينة بون في ألمانيا خلال الفترة من 21 إلى 23 / 7 / 2001 ف ، وحضره عدد كبير من وزراء البيئة ومندوبي الدول وقاطعته الولايات المتحدة الأمريكية . وقد صب الحاضرون جم غضبهم على الولايات المتحدة الأمريكية لانسحابها من اتفاقية كيوتو. وقد شهد المؤتمر خلافات على تطبيق اتفاقية كيوتو وخاصة من جانب الدول الصناعية ، وفي نهاية المؤتمر اتفق المؤتمرون على الحد من انبعاث الغازات المسببة للاحتباس الحراري وخاصة من جانب الدول الصناعية الأوربية وتم الاتفاق على تحويل اتفاقية كيوتو إلى معاهدة قابلة للتطبيق في مطلع عام (2002) .

23. مؤتمر المناخ السادس . (مراكش 2001) : -

عقد هذا المؤتمر في الأسبوع الأخير من شهر التمور ((أكتوبر)) من عام (2001) وحضرته 182 دولة ، وشاركت فيه الولايات المتحدة الأمريكية مع إصرارها على عدم الموافقة على اتفاقية كيوتو . وقد هدف هذا المؤتمر إلى تحويل اتفاقية كيوتو إلى اتفاق ومعاهدة قانونية من قبل الدول والحد من انبعاث الغازات المسببة للاحتباس الحراري .

ومن خلال ما تقدم كان من المفروض أن تكون مؤتمرات قمة الأرض التي عقدت تعبيراً عن المصير المشترك والمصالح المتكاملة على المدى الطويل لدول العالم ، إلا أن سيطرة الأنانية والاهتمام بالمصالح الذاتية القصيرة المدى أديا إلى اختلاف وجهات النظر بين الدول الصناعية والدول النامية ، وهو ما أدى إلى تعارض الاتجاهات وتناقص المصالح على حساب البيئة .

إن مشكلات البيئة في العالم ليست جديدة كما سبق أن ذكرنا ولكن الجديد هو زيادة معدلات التلوث الناتج عن الأنشطة البشرية ، ودليل ذلك هو انبعاث الغازات الناتجة عن احتراق مصادر الطاقة الكربونية التي تؤدي إلى الاحتباس الحراري وبخاصة من جانب الدول

الصناعية ، مما يترتب عليها على المدى البعيد تغيرات مناخية تنعكس آثارها على سقوط الأمطار الحامضية وذوبان الثلوج وارتفاع منسوب البحار والمحيطات وغرق السواحل والدلتاوات ، وتدهور الحياة النباتية والحيوانية ، فضلاً عن تآكل طبقة الأوزون وغيرها من مظاهر التدهور البيني .

لذلك فإن مسؤولية الحد من مشكلات البيئة دولياً لا يمكن أن تسند إلى مجموعة واحدة من بلدان العالم ، فالدول النامية تواجه مشكلات التلوث والتصحر وتدهور الغطاء النباتي ، بالإضافة إلى مشكلة الغذاء والنمو السكاني ، وانتشار الفقر وانقراض الحيوانات البرية بسبب إزالة الغابات وبخاصة في المناطق الاستوائية ، وتواجه الدول الصناعية مشكلة تلوث البيئة نتيجة لزيادة كثافة النشاط الصناعي الذي أدى إلى إنتاج العديد من المواد الكيماوية والنفايات السامة وغيرها من الملوثات التي تعمل على تلويث الهواء والماء والتربة .

وتعاني جميع دول العالم من تلوث نتيجة لما تطلقه الدول الصناعية من الغازات المسببة للاحتباس الحراري ، ولذلك نلاحظ أن قضايا البيئة هي خيوط متشابكة وبعضها مترابط مع بعض ، فالملوثات البيئية تتعدى الحدود السياسية المعروفة ، ولذلك لا يمكن لأي دولة أن تحمي نفسها دون تنسيق وتعاون دولي لتفادي الآثار البيئية الخطيرة .

ورغبة من المجتمع الدولي في المحافظة على البيئة وحمايتها من مزيد من التدهور ، وتوعية المواطنين بخطورة التدهور البيني الذي تعاني منه الأنظمة البيئية ، فقد قرر برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) اعتبار يوم 5 الصيف (يونيو) من كل عام يوماً عالمياً للبيئة .

كما اختارت جامعة الدول العربية يوم 14 التموز ((أكتوبر)) من كل عام يوماً عربياً للبيئة . كما حددت الهيأة العامة للبيئة في الجماهيرية العربية الليبية يوم العاشر من الطير ((أبريل)) من كل عام يوماً وطنياً للبيئة في ليبيا .

الحركات البيئية : -

إحساساً بخطورة الوضع البيني ، بدأ العالم يشهد ظهور حركات بيئية على هيأة جماعات منها من اتخذ المعارضة الثورية للنظم السائدة شعاراً وحركة للمحافظة على البيئة ، ومنها من تبنى شعارات الترابط الاجتماعي والوحدة الوطنية والأممية ، انطلاقاً من أن مشكلات البيئة ذات صفة عالمية ، ومن تلك الحركات ما يضم حركات اجتماعية وسياسية وقانونية .

1 ـ حركة الفوضويين الثوريين : ـ

ظهرت الفوضوية الثورية تياراً فكرياً وسلوكاً نتيجة لما أفرزه المجتمع الغربي من آثار سلبية وصراعات داخل المجتمع من ناحية ، وبين المجتمع وبيئته الطبيعية من ناحية أخرى . كانت هذه الجماعة تشاهد احتواء العديد من البيئيين بوساطة النظم السياسية السائدة ، بينما تستمر عملية التدهور البيئي دون توقف ، ولذلك كان عليهم أن يختاروا : إما أن تسير حركتهم في طريق التكيف مع النظم المعاصرة ، أو أن تتبع طريق المعارضة للحد من استمرار تعاظم المشكلات البيئية التي تهدد الحياة على كوكب الأرض ، ويرون أنه لا يمكن تجنب هذا المصير الحالك إلا بقيام مجتمع متحرر بيئياً ، لأنه لا يمكن حل المشكلة البيئية بإلحاقها بالتحليل الاقتصادي والطبقي لأن هذه الأزمة ومشكلة المجتمع المعاصر مع الطبيعة أكبر من مشكلة الرأسمالية (21) .

يتفق الفوضويون الثوريون مع الموقف الراديكالي في علاقة المشكلة البيئية بالسكان والتوزيع الجغرافي للموارد ، كما تنطلق مواقف هذه الحركة البيئية من قناعتها الراسخة بأن حل المشكلة البيئية يكمن أساساً في المحافظة على التنوع الطبيعي .

وترى هذه الحركة أن النمو الحضري يتطلب تجهيزات هائلة للغذاء ، والنقل ، والتعليم ، والصحة والترفيه وغيرها ، مما يؤدي إلى التدني الحاد في مستويات الحياة المدنية والاجتماعية ، وذلك في المجتمعات الغربية المعاصرة وبخاصة في المراكز الحضرية الكبيرة . ويرى أنصار هذه الحركة أن مشكلة النمو الحضري والكثافات السكانية العالية يستوجب التوسع في الزراعة الحديثة ورفع درجة الميكنة الزراعية لغرض زيادة الإنتاج ، واستغلال المحيط الحيوي لأبعد مدى (22) .

2 ـ حركة البيئة الجماهيرية (الأيكولوجيا بالجماهيرية) : ـ

هي عبارة عن نوع من البيئة يقوم أساساً على مفاهيم ونتائج علم البيئة ودراساته ، وتستمد عضويتها من جميع علماء البيئة ، ويستند مبدأ فكر هذه الحركة البيئية الجماهيرية على التوازن والتناغم ، ورفض الصراع ، وبخاصة الصراع السياسي الذي يخل بالنظم الطبيعية والاجتماعية حسب اعتقادهم . إن الاختلافات السياسية والفكرية غير واردة في حساباتهم البيئية لأن الدول ذات السياسات والأفكار المختلفة أخذ بعضها يقترب من بعض بسبب التطور التقني القائم على منجزات العلم الحديث .

وتبنت الحركة شعارات الترابط الاجتماعي ، والوحدة الوطنية والأممية ، ولعل ذلك

يعود إلى حقيقة أن بعض المشكلات البيئية مثل التلوث واستنزاف الموارد الطبيعية ذات صفة عالمية ، وإلى اعتقاد الحركة بأن كل النظم السياسية تضر بالبيئة. كما ترى هذه الحركة أن الخلافات السياسية تشكل عقبة في حل المشكلات البيئية التي يمكن حلها عن طريق تحويل الاهتمام الجماعي من الجوانب السياسية إلى الجوانب الحيوية الأساسية للمجتمع البشري (23).

وعلى الرغم من ذلك فإن هناك فئة من أنصار هذه الحركة لا تلغي السياسة إلغاء كاملا ، ولكن ترى أن المشكلات البيئية ذات طبيعة غير سياسية ، بمعنى أن حلولها تكون بوسائل إدارية وفنية . يشير هذا الموقف إلى أن السياسة عند هذه الفئة لا تعني القوة وتوزيعها واستخدامها ، وإنما تعني ما تتخذه الدوائر الحكومية من إجراءات إدارية وفنية تجاه المشكلات البيئية الملحة (24).

3 - حركة جماعة الخضر :-

يتميز الخضر بكونهم حركة شعبية عميقة ، ذات قاعدة عريضة ومتنوعة ، تضم حركات اجتماعية وسياسية وثقافية . إنها حركة مظلية للعديد من الحركات والمنظمات التي تغطي العمل في مختلف المقومات الاقتصادية والبنيوية والحربية وغيرها للمجتمع المعاصر ، لإيمانهم بأنه لا يمكن حل المشكلة العامة بالتركيز على عنصر واحد ، مما جعلهم يمسكون بالمنهج الشمولي في سعيهم لإقامة مجتمع بديل (25).

وتعد حركة السلام الأخضر أوسع الحركات انتشاراً ، في إطار الحركة العامة ، وأكثر فعلاً وحركة . وتختلف حركة السلام الأخضر عن الحركات السابقة التي تقوم على قضية واحدة مثل حركة منع إنتاج القنابل الذرية في الخمسينيات ، وحركة منع التجارب النووية في الستينيات ، إذ استطاعت أن تربط بنجاح بين سباق التسلح والحروب من جانب ، ومختلف القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من جانب آخر ، وقد ازدادت الأهمية والتأثير لفاعلية حركة السلام الأخضر ونموه لعدة أسباب مثل (26) :-

أ- أنها أصبحت جزءاً من حركة الاجتماع والتمرد العامة - وبخاصة وسط الشباب - ضد القيم والبنية الاجتماعية السائدة والتقنية المدمرة .

ب- طرح عضويتها إلى كل الناس بغض النظر عن الأصل الاجتماعي والقومية والمهنية والعرق والنوع والعمر .

ج- إن إنتاج الأسلحة يتم بوساطة مؤسسات وشركات عالمية ومتعددة الجنسيات .

د- تشكل الحروب تهديداً مباشراً لكل البشر وكل أشكال الحياة .

ه- عدم جدوى الجهد الفردي في التصدي لسباق التسلح والحروب .

و- الجمع بين النشاط الفكري والتحريض وأشكال المقاومة المباشرة مثل المسيرات والاعتصامات والمظاهرات .

يزداد اتجاه جماعة الخضر في العالم الصناعي والعالم الثالث نحو الجمع بين العمل الشعبي والعمل النيابي (البرلماني) بتأسيس العديد من الأحزاب السياسية ، وبخاصة بعد اتساع نفوذ حزبهم الألماني الذي استطاع في انتخابات الربيع (مارس) عام 1983 أن يجذب 5.6 % من أصوات الناخبين ، وأن يرتفع بهذه النسبة إلى 7.8 % ثم إلى 9 % من الانتخابات اللاحقة [27] ... وتجدر الإشارة هنا إلى أن الخضر وأحزابهم السياسية لا يتبنون أياً من الأيديولوجيات السائدة ، بل يقفون خارج المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي الماركسي السابق ، ولكن هذا لا ينفي تأثرهم ببعض جوانب الفكر الماركسي وبعض أطروحات الفوضويين الثوريين ، ويظهر هذا التأثير بجلاء في المقومات الأساسية للمجتمع البديل الذي يسعون لإقامته . وتشمل أهم هذه المقومات [28] .

(أ) الاقتراب من الطبيعة ، (ب) التوازن البيئي بين الإنسان والبيئة ، (ج) بناء التنوع البيئي ، (د) تقنية بديلة غير مضرة بالبيئة والإنسان ، (هـ) البعد عن المواد الكيماوية في الزراعة والأكل ، (و) اقتصاد أخضر قائم على الإنتاج من أجل الاستهلاك الشخصي ، (ز) الإنتاج من أجل تبادل غير نقدي ، (ح) الإنتاج من أجل الدورات المحلية والإنتاج الجماعي والاستهلاك الجماعي ، (ط) الاكتفاء الذاتي ، (ي) منع الحروب ، (ك) الحد من الأسلحة الهجومية وبخاصة النووية ، (ل) ثقافة جديدة نابعة من مقومات المجتمع البديل وداعمة لها (م) المساواة العرقية والاثنية ، (و) دعم الحركة النسائية ، (ق) الحد من التحضر [29] ... الخ .

الخلاصة : —

نخلص مما تقدم إلى أن مشكلات البيئة ذات جوانب متعددة منها البيئي (الحيوي) والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، وقد أصبح البعد السياسي للمشكلات البيئية أمراً يتطلب التعاون البيئي بين الدول لمواجهة هذه المشكلات [30] بل بدأت بعض الدول تعلن معارضتها العلنية لبعض الممارسات التي تمارسها بعض الدول الأخرى التي من شأنها أن تفسد وتضر بالبيئة العالمية .

إن انتقال الملوثات من دولة إلى أخرى استوجب ضرورة عقد اتفاقيات بين الدول لاتخاذ الإجراءات الصارمة للحد منها وتقليل انبعاثها وبخاصة الهوائية منها كما أثار تزايد نسبة ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي ووجود ثقب الأوزون في القطبين الجنوبي والشمالي ، وقضية التخلص من النفايات الخطرة مخاوف وذعراً ونزاعات بين الدول ومن هذا المنطلق فإن العالم في حاجة ماسة إلى من ينقذ البيئة من هذا التدهور المخيف قبل أن تقع الكارثة .

الهوامش والمراجع

1 ـ آمال إسماعيل شاوو ، جغرافية البيئة ، القاهرة ، 1996 ، ص 4 .

2 ـ السيد السيد الحسيني ، أسس الجغرافيا العامة، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، 1995 - 1996 ، ص 34 .

3 ـ آمال شاوو ، مرجع سبق ذكره ، (1996) ، ص 5 .

4 ـ المرجع نفسه ، ص 7 .

5 ـ ممدوح حامد عطية ، إنهم يقتلون البيئة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1997 ، ص 44 .

6 ـ المرجع نفسه ص 45 .

7 ـ منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) بالأمم المتحدة ، تقرير حالة الأغذية والزراعة عام 1977 ، ص 142 .

8 ـ على على البنا ، المشكلات البيئية وصيانة الموارد الطبيعية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2000 ، ص 194 - 195 .

9- Environmental Conservation, Vol. 16, No. I, Spring 1989, pp 75- 77.

10 ـ التربية البيئية في مواجهة البيئة ـ الوثيقة رقم (4) من الوثائق التي قدمتها اليونسكو بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة لمؤتمر تبليسي للتربية البيئية .

11 ـ رشيد الحمد ، محمد سعيد صباريني ، البيئة ومشكلاتها ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الطبعة الثانية ، الكويت 1984 ، ص 318 .

12 ـ محمد عبد الله لامه ، التصحر في سهل بنغازي دراسة جغرافية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، 1996 ، ص أ .

13 ـ ممدوح حامد عطية ، مرجع سبق ذكره ، ص 46 .

14 ـ المكان نفسه .

15 - The World Bank. World Development Report, 1998 / 99, pp. 132 - 133 .

16 ـ على على البنا ، مرجع سبق ذكره (2000) ، ص 198 .

17- UNED, United Nation Conference Environment and Development, (Earth Summit Convention on Desertification) Riod Janeiore, Barzil, 3-14 June, 1992 .

18 - محمد عبد الفتاح القصاص ، " التصحر نظرة عامة " ترجمة آمال إسماعيل شاوو ، في التصحر وهجرة السكان في الوطن العربي ، تحرير محمد عاطف كشك ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1995 ، ص 33 .

19 - عبد الله الصعيدي ، التنمية والبيئة دراسة لعوامل التصحر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1992 ، ص 5 .

20 - محمد عبد الله لامه ، مرجع سبق ذكره ، (1996) ، ص أ - ب .

21- Murray Boockchin (1970), Ecology and Revolutionary, Vol. 10, No. 3, p. 22 .

22 - جلال الدين الطيب ، الجغرافيا والبيئة والتنمية ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ، 1995 ، ص 99 - 100 .

23 - A. Huxley, (1970). " The Politics of Population in G. A. Love and R. M. Love (eds) Ecological Crisis, Harcourt Brace Jovanovich.

24 - F. F. Darling (1971) Wilderness and Plenty, Ballantine, pp.30- 31.

25 - جلال الدين الطيب ، مرجع سبق ذكره ، ص 105 .

26 - المرجع نفسه ، ص 106 .

27- Johon Caltung (1990), "The Movement: A Socio historical Explanation " in Martin Albrow and Elizabeth King (eds.) Globlization, Knowledge and Society, London: SAGE Ploblization, p. 235.

28 - جلال الدين الطيب ، مرجع سبق ذكره ، (1995) ، ص 107 .

29 - Johon Galtung, op. cit., pp. 237- 239

30 - زين الدين عبد المقصود ، البيئة والإنسان دراسة في مشكلات الإنسان مع البيئة ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، الطبعة الثانية 1997 ، ص 333 .

تأثير برنامجي تمرينات بنائية زوجية وفردية لتنمية بعض مكونات اللياقة البدنية للطالبات المكفوفات

د . هانم حسن أحمد كساب *
أستاذ مساعد بقسم علم التربية البدنية
ـ كلية الآداب ـ جامعة قاريونس ـ بنغازى

مشكلة البحث وأهميته :

تنطوى حياة الإنسان منذ بدايتها على سلسلة من التفاعلات بين شخصيته والبيئة التى يعيش فيها ، ويستهدف هذا التفاعل دائماً إيجاد التوافق والتوازن بين حالته البدنية والنفسية والاجتماعية وما تتسم به ظروف البيئة من صفات تؤثر فى صحته ونفسيته ، وتعامله مع الآخرين ، ويؤدى هذا التفاعل فى أغلب الأحيان إلى اقصى ما يرتضيه الإنسان لنفسه من الرفاهية الممكنة ، وكلما اختل هذا التوافق لسبب من الأسباب بذل الإنسان جهده لمواصلة توافقه مع البيئة من خلال خبراته فى الحياة وما تعلمه من الآخرين ،فأحياناً يكون التوافق مع البيئة مختلاً بدرجة كبيرة بسبب إعاقة ما .

هنا يصعب على الإنسان أن يواجه الحياة بمفرده ، وعندئذ يحتاج إلى خدمات من غيره تساعده على إعادة التوافق والاندماج مع بيئته .

فالإعاقة فى أبسط معانيها هى حالة من النقصان تمنع الإنسان المصاب من استخدام جانب أو أكثر من إمكاناته الجسمية أو الحسية أو العقلية ، وإنها أيضاً لا تمكن الإنسان من الحصول على عمل مناسب والاستقرار فيه ، كما أنها تجعله فى حاجة دائمة إلى إعانة الآخرين ، وبالتالى إلى تربية خاصة تغلبه على إعاقته من هنا تعتبر قضية المعوقين من قضايا الإنسان والإنسانية ، فالتعوق لم يكن أمراً مرغوباً لدى الإنسان ، ولذا اعتبرت حالة العوق اختباراً من الله سبحانه وتعالى كما جاء فى كتابه العزيز (ونبلوكم بالخير والشر فتنة) صدق الله العظيم ، وعليه فإن أسعد الناس من استطاع أن يعيش مع علته .

وجاء أيضاً فى الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم " إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه فإذا صبر اجتباه وإن رضى عنه اصطفاه ، وإن يئس نفاه و أقصاه " ، فالمفكرون والمخلصون لخدمة الإنسانية جادون فى توفير سبل الراحة للمعوق ، وهذا يجعله كفيلاً فى نمو شخصيته وبنائها وتأهيله بالشكل الصحيح والسليم كى يصبح قادراً على العمل والإبداع ، فالإعاقة فى مجمل معناها مسؤولية وطنية تحتاج إلى تضافر كل الجهود الرسمية والأهلية لمعالجتها ، فان الرؤية العلمية لمسألة الإعاقة هى ليست مجرد رعاية المعوقين ، وإعادة

---

* أستاذ مساعد بقسم علم التربية البدنية ، كلية الآداب / جامعة قاريونس ، بنغازى ، الجماهيرية .

تأهيلهم فحسب بل ينبغى النظر إليهم باعتبارهم طاقة بشرية ، واجتماعية واقتصادية أهدرها المجتمع فينبغى علينا كتربويين أن نؤسس ونظم الوسائل والأساليب التى تمهد الطريق للاستفادة من هذه الطاقات المتعددة ، ويؤكد مروان عبد المجيد إبراهيم (21 : 49) أن العمل مع المعوقين يعد قضية إنسانية وخدمة تحتاج إلى وعى وفهم دقيقين حيث يتم من خلالهما توجيههم وتقديم العون والمساعدة إليهم من أجل الانتفاع منمواهبهم المختلفة .

وتعد الإعاقة بفقدان البصر إحدى الإعاقات الحسية الشديدة ، التى كان لها رعاية خاصة ومميزة فى المجتمعات الإنسانية والعالمية ، ففى صدر العصور الإسلامية المزدهرة بلغ اهتمام الخليفة عمر بن عبدالعزيز بالحث على إجراء إحصاء للمعوقين ومكفوفي البصر وخصص مرافقا لكل كفيف وخادما لكل معوق (13 : 130) .

يقول الله فى كتابه العزيز (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) صدق الله العظيم ، فالمكفوفون هم مواطنون لهم شخصياتهم المتددة الجوانب المتنوعة الحاجات والرغبات ، فقد اتجهت كثير من الدول إلى وضع مناهج وبرامج تدعو كل الوسائل والمؤسسات المسخرة لخدمة المواطنين لتنسيق الجهود والتوثيق والتعاون فيما بينهم من أجل إشباع وتلبية الحاجات النفسية والاجتماعية والثقافية والتربوية والرياضية للمكفوفين (11 : 5) وأكبر دليل على هذا التعاون ما نقوم به حاليا من اجراء البحوث التجريبية التربوية لخدمة تلك الفئة المهمة التى هى جزء لا يتجزأ من المجتمع ، فالتربية البدنية بوصفها إحدى الوسائل المهمة التى تعمل لتحقيق الأهداف التربوية المعنية ، فهى ترمى إلى تطوير شخصية المواطن عن طريق تنمية قدراته والارتقاء بفاعلياته وتوسيع مجالاته والعمل على إخضاع هذه القدرات لإرادة الفرد ، بحيث يمكنه التحكم فيها والسيطرة عليها ، وتوجيهها نحو مايبتغيه فممارسة التربية البدنية والرياضة حق أساسى للمجتمع لأنها تشكل عنصرا أساسياً من عناصر التربية المستديمة فى إطار النظام التعليمي الشامل ، كما ينبغي أن تلبي برامجها احتياجات الفرد والمجتمع (7 : 9) والمكفوفون هم أفراد بالمجتمع لهم رغباتهم المتعددة ، هنا يجب الاهتمام بهم ودراسة ميولهم ومعرفة رغباتهم حتى نستطيع تلبية حاجاتهم النفسية ، ومن خلال الاطلاع على بعض المراجع الخاصة بتلك الفئات (2 : 52) اتضح أن المعوق بكف البصر يجد صعوبة فى إدراك بعض المفاهيم والمصطلحات الخاصة بالاتجاهات أو المواقع ، هنا تذكر الباحثة أمثلة لذلك فإذا طلب من مكفوف أن ينحني أو يتلفت ناحية اليمين أو اليسار أو أنك استخدمت بعض المصطلحات كمثال الوقوف ــ ثبات الوسط ، أو ميل الجذع أماما ، أو أخذ وضع الجثو الافقى ، أو ... فإنه لا يفهم عما تتكلم ما دام لا يعرف معانى الكلمات ، وربما كان عدم الفهم ناتجا عن ضعف تطور المفاهيم والمصطلحات لديه ، من هنا نوضح رؤية مهمة عن ماهو المفهوم ؟ ومم يتكون ؟ فالمفهوم تصور ذهنى أو صورة أو فكرة عما ينبغى لشىء أو لوضع ، ويتكون المفهوم بجمع أشياء أو أحداث أو خبرات أو تجارب استنادا إلى ما هو مشترك بينهاه من صفات ، فجميع الأفراد يكونون مفاهيم عن طريق مرحلتين : الأولى استخلاص معلومات مما حولنا ، فنحن نتلقى

كل أنواع المعلومات فنحاول أن نضم ونجمع بعضها إلى البعض ونتعلم أن شيئا بعينه موجود وأنه مختلف عما سواه كمثال اختلاف الأوضاع الأصلية فى التمرينات عن الأوضاع المشتقة .. مـن هنا نطلق على تلك الأوضاع اسماً وتصبح لدينا فكرة عنها فى مجموعة ، ثم بزيادة المعلومات عن هذه الأشياء أو الأوضاع نتعلم شيئاً عن أجزائه ، ثم ننتقل إلى المرحلة الثانية : وهـى التصميم فعن طريقه تأخذ الملامح المميزة للوضع الذى عرفناه وعيناه ، وعلى أى شـىء ينطبق ... حينئذ تكون قد كونا مفهوماً ، هذا يبدو أمراً سهلاً فمعظم المعلومات التى تسـتخدم فـيما حولنا نحصل عليها باستخدام حاسة البصر فعن طريقها يتكون لدينا التصور والتخيل لأي وضع أو أى حركة ، ونستطيع رؤية الأشياء والأوضاع والحركات فى مجملها وتتكون الصورة الواضحة عن طريق قدرة الإبصار .

أما مكفوفو البصر فيفتقرون إلى هذه القدرة على رؤية الاشياء والأوضاع والحركات فـى اجـزائها ومجملها فهو حين يلمس شيئاً يحس أجزاءه ثم يضم الأجزاء فى ذهنه ليكون فكـرة أو مضـمونا عن الشىء أو الوضع وهذا أمر ليس بالسهل ، حيث إن هناك أشياء لا يمكن الإمساك بها أو استكشافها باللمس إما لعظم حجمها أو لفرط صغرها أو لتكرار حركتها هـذا مـن ناحـية ، ومن جهة أخرى بين لنا مروان عبدالمجيد إبراهيم (12 : 157) أن المعـوق بكـف البصـر يتسـم بالانعزالية ، ويرفض المقترحات الخاصة بإعادة تفاعله مع المجـتمع ومـن هنا تظهر بعض التغيرات الخاصة فى طبيعة الأداء الحركى ، وقد يصيب أداؤه الحـركى الإنخفاض فى الحركة النسبية الناتجة عن الخوف من الاصطدام أو السقوط علـى الأرض هذا مما يؤدى إلى ما يسمى بتيبس الحركة لدى المكفوفين ، وتحدب وضعف فـى فقـرات العمود الفقري ، بروز البطن للأمام نسبياً ، مع احتكاك القدمين بالارض أثناء السير ، كما يضيف كل من أمين أنور الخولي ، أسامة كامل راتب (1 : 368 : 369) أن الطفل المعوق بصرياً تمنعه أسرته من ممارسة الأنشطة الحركية التى تستخدم فيها العضلات الكبـيرة كمـا هو فى الجري أو الوثب هذا من منطلق خوفهم عليه ، بينما هذه الأنواع من الأنشطة الحركية هامة جداً لنمو الطفل ، وتنمية التوافق والتكيف لديه ، غالباً ما يصاب طفل هذه الفئة بالتشوهات والعيوب القوامية ــ إما نتيجة ضعف اللياقة البدنية أو النغمة العضلية ، أو لعدم تمكنه من رؤية وإدراكه القوام الجيد وتقليده ــ فمن هنا يتغلب المكفوف على إعاقته بإعـادة اعتماده بصورة أكبر على الجهاز السمعي دون العضلى ، وذلك لتنمية نظام التوازن بالجسـم علـى أسس جديدة بعد الإعاقة بزيادة الاعتماد على المستقبلات الحسية فى الجلد (حاسة اللمس) والعضلات والمفاصل تعويضاً عن المستقبلات الحسية البصرية المفقودة التى تلعب دوراً مهماً فى نظام توازن الجسم مع الجهاز العصبى والسمعى (12 : 158) .

من خلال المعلومات الهامة السابقة الذكر يجب علينا بوصفنا مسؤولين ومتخصصين فى المجال الرياضى أن نقوم بتعليم المكفوفين الحركات الحرة والتوافقية مثل المشي والجري والحجل بطريقة متدرجة ، وذلك لإزالة الضغط والتوتر النفسي المصاحب للإعاقة ، وواجبنا أيضـاً تعريف مكفوفي البصر بالمصطلحات والمفاهيم الخاصة بالأنشطة الرياضية المتنوعة

حـتى يستطيعوا تكوين الأفكار والمعلومات حول ما يدرس لهم، كل هذا يفيد فى كسر حاجز العزلة النفسية للمكفوف الذى قد يضع فيها نفسه ، كما أنها تساعده على زيادة ثقته واعتماده على نفسه نتيجة اندماجه مع أفر انه كعمل جماعي ، وكلنا نعلم أن التمرينات البنائية الزوجية والفـردية تعمل على إكساب الجسم اللياقة البدنية التى تمثل فى مفهومها الفلسفى قدرة البدن علـى مواجهة متطلبات الحياة ، خاصة أو عامة ، منها انعكاس مباشر لحالة صحية جيدة ، وقـدرة حركـية ومهارات توافقية ، وقدرة على أداء مناشط الحياة اليومية ، وباللياقة البدنية نتحاشـى الإصـابات والتوترات المعاصرة ــ وأيضا المحافظة على القوام الجيد الخالى من التشوهات ، وبناء جسمى مناسب (10 : 234) .

انطلاقـا ممـا سـبق رأت الباحثة أن تقوم بإجراء بحث تجريبي على مجموعة من الطالـبات المكفوفـات المقـيمات فـى القسم الداخلى فى جمعية الكفيف ، ويتضمن البحث مجموعـة من التمرينات البنائية الزوجية ، والفردية المتخصصة بهدف تنمية مرونة المنكبين والعمـود الفقـري ، وقوة عضلات الذراعين والبطن حتى تحد من إحداث التشوه الناتج عن الاعاقة .

تأكـيداً لمدى الاهتمام بتلك الفئة المهمة من المجتمع ، قامت الباحثة بإجراء مقابلات شخصية مع المسؤولين عن جمعية الكفيف فى بنغازى بتاريخ 1999/11/25 ، وتم التحدث معهـم عن إمكانية إجراء البحث قبل القيام به ، وأجريت المقابلة الشخصية لتحقيق الأهداف التالية : ــ

أولاً : أخذ الموافقة والاستعداد من قبل الجمعية لإجراء البحوث العلمية .

ثانـياً : الـتعرف على الطلبات المقيمات فى القسم الداخلى حتى يسهل التعامل معهن أثناء إجراء البحث .

ثالثاً : حصر عدد الطالبات المقيمات فى القسم الداخلى .

رابعاً : التعرف على نوعية النشاط الرياضى الممارس .

وكانت نتيجة المقابلة الشخصية ما يلى : ــ

1. الترحاب الكامل من قبل المسؤولين لإجراء مثل هذه البحوث التربوية داخل جمعية الكفيف من منطلق إيمانهم الكبير بالاهتمام بتلك الفئة الخاصة .
2. السماح للباحثة عن طريق المسؤول عن القسم الداخلى أن تتعرف على الطالبات ، وتتحدث معهن .
3. تم حصر عدد الطالبات اللاتي تتراوح أعمارهن من 14 ــ 20 سنة عن طريق القوائم الخاصة بأسمائهن .
4. أما عن النشاط الرياضى الممارس فكان مقتصراً على لعبة كرة الجرس فقط .

مصطلحات البحث :

- التمرينات البنائية الفردية : مجموعة تمرينات تعمل على إكساب الجسم الصفات البدنية

للمساعدة على ترقية النمو الطبيعى بصورة شاملة ، كما يدخل فى نطاقها التمرينات التعويضية التى تهدف إلى إصلاح القوام الناتج عن العادات الخاطئة .

(74 : 5)

- الكفيف : الشخص الذى لايستطيع أن يجد طريقه دون قيادة من بيئة غير معروفة لديه أو من كانت قدرته على الإبصار عديمة القيمة اقتصادياً أو من كانت قدرة بصره من الضعف بحيث يعجز عن مراجعة عمله العادى .

(125 – 12)

- التمرينات البنائية الزوجية :هذا النوع من التمرينات يتركز العمل فيه على المجموعات العضلية الكبيرة (الذراعين – الجذع – الرجلين) مع الزميلة حيث تؤدى إلى نمو الجسم نمواً متزناً ، كما تعمل على تشكيل أجزاء الجسم تشكيلاً يؤدى إلى اتخاذ أوضاع سليمة تكسب القوام الجيد والقامة المعتدلة .

(157 : 6)

أهداف البحث :

1. وضع مجموعتى التمرينات البنائية الزوجة والفردية .
2. دراسة تأثير التمرينات البنائية الزوجية على تقوية الذراعين ومنطقة الكتف والجذع ومرونتها للطالبات المكفوفات فى جمعية الكفيف – ببنغازى .
3. دراسة تأثير التمرينات الفردية على تقوية الذراعين ومنطقة الكتف والجذع ومرونتها للطالبات المكفوفات فى جمعية الكفيف – ببنغازى.
4. أيهما أكثر تأثيراً التمرينات البنائية الزوجية أم الفردية على تقوية الذراعين ومنطقة الكتف والجذع ومرونتها للطالبات المكفوفات فى جمعية الكفيف – ببنغازى .

فروض البحث :

1. تؤدى التمرينات البنائية " الزوجية " إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القلبية والبعدية لمجموعة الطالبات المنفذ عليهن التمرينات البنائية الزوجية فى قياسات القوة والمرونة لمنطقة الكتفين والجذع لصالح القياسات البعدية .
2. تؤدى التمرنيات البنائية " الفردية " إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القلبية والبعدية لمجموعة الطالبات المنفذ عليهن التمرينات البنائية الفردية فى قياسات القوة والمرونة لمنطقة الكتفين والجذع لصالح القياسات البعدية .
3. **تؤدى مجموعتا التمرينات البنائية الزوجية والفردية إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية فى القياسات البعدية بين مجموعتى الطالبات فى قياسات القوة والمرونة لمنطقة الكتفين والجذع لصالح مجموعة التمرينات البنائية الزوجية .**

إجراءات البحث :

أولاً : الدراسة الاستطلاعية :

أجريت الدراسة الاستطلاعية فى الفترة من 25 – 11 إلى 27 – 11 – 1999 م

حيث تمت الإنجازات التالية : ــ

1. قدمت الباحثة للمسؤولين فى جمعية الكفيف رسالة رسمية من كلية الآداب والتربية وهى مقر عمل الباحثة حيث إنها عضو هيئة تدريس فى قسم علوم التربية البدنية ، وذلك لأخذ الموافقة على تنفيذ تجربة البحث رسمياً داخل جمعية الكفيف فى بنغازى.
2. تم حصر عدد الطالبات اللاتي تتراوح أعمارهن من 14 ــ 20 سنة كان عددهن ست عشرة طالبة (16) فى القسم الداخلي داخل الجمعية .
3. تم تحديد مجموعة التمرينات البنائية الزوجية ، والفردية التى سوف تنفذ على الطالبات بعد الاطلاع على المراجع العلمية المتخصصة .
4. تم عرض مجموعة التمرينات المختارة على الخبراء فى مجال التمرينات ، وبعض الخبراء الذين تعاملوا مع تلك الفئات الخاصة ، وذلك بهدف التحقق من مدى ملاءمتها للغرض الموضوعة من أجله " صدق التمرينات " .
5. تحديد المكان الذى سيجرى فيه تنفيذ إجراءات البحث من قياس الاختبارات وتنفيذ التمرينات المختارة .

نتائج الدراسة الاستطلاعية :

أ- أسفرت نتائج الدراسة الاستطلاعية على موافقة جمعية الكفيف لإجراء البحث التجريبي على الطالبات فى القسم الداخلى بهدف الاستفادة العلمية لهن .

ب- حذفت الباحثة بعض التمرينات البنائية الزوجية ، والفردية وأضافت تمرينات أخرى بناءاً على رأى الخبراء فى مجال التمرينات بما يتلاءم مع تلك الفئة الخاصة ومعلوم انه كان ضمن الخبراء المتخصصين لرياضة المعوقين .

مرفق (2)

جـ ــ قامت الباحثة بتحديد مكان إجراء الاختبارات وتنفيذ التمرينات البنائية بصالة النشاط المتنوع داخل جمعية الكفيف بما يضمن سلامة الطالبات .

ثانيا : الدراسة الأساسية :

1. المنهج المستخدم : استخدمت الباحثة المنهج التجريبى لتناسبه وطبيعة تلك الدراسة.
2. عينة البحث : تم اختيار العينة بالطريقة العمدية من الطالبات المكفوفات فى القسم الداخلى فى جمعية الكفيف وعددهن ست عشرة طالبة (16) ، وكان متوسط أعمارهن (17.19) وأطوالهن (154.75) ، وأوزانهن (56.88) فى العام الدراسى 1999 / 2000 ، وقسمت مجموعة عشوائيا إلى مجموعتين تجريبيتين .
3. التصميم التجريبي للبحث : يتمثل فى التجربة القبلية البعدية ، باستخدام مجموعتين تجريبيتين " الأولى ينفذ عليهن مجموعة تمرينات بنائية زوجية ، والثانية ينفذ عليهن مجموعة من التمرينات البنائية الفردية .
4. الأدوات والأجهزة المستخدمة : ساعة إيقاف ــ قائم مدرج بالسنتميتر عموديا على الأرض بحيث يكون صفر التدريج موازيا للأرض ، وملحق بالقائم عارضة صغيرة

موازيـــة للأرضـــية وقابله للحركة على الحامل لأعلى ولأسفل ــ مسطرة ــ شريط قياس بالسنتميتر ــ ميزان طبي معاير ــ مسجل لأداء التمرينات على الموسيقى .

5. إجراء القياسات القبلية : تم إجراء القياسات القبلية فى الفترة من 17/ 1/ 2000 إلى 22/ 1/ 2000 وقد تضمنت الآتى : ــ

- السن .
- الوزن .
- الطول .
- اختبار مرونة الكتفين .
- اختبار ثني الجذع إلى الخلف من الوقوف .
- اختبار ثني الذراعين من الانبطاح المائل (بنات) .
- اختبار الجلوس من الرقود قرفصاء .
- اختبار ثني الجذع من الوقوف (8 : 343) (9 : 350 : 351) (10 : 270) وصف أداء كل اختبار ، وتوجيهاته ، وطريقة التسجيل بمرفقات البحث .

مرفق (3)

وبعد تنفيذ الاختبارات السابقة على الطالبات تم التكافؤ بين المجموعتين التجريبيتين فى متغيرات البحث المقاسة والجدول التالي يوضح تلك التكافؤات .

جدول (1)
التكافؤ بين المجموعتين التجريبيتين
فى القياسات القبلية لمتغيرات البحث

المعالجات الإحصائية / المتغيرات	المجموعة التجريبية الأولى ن (8)		المجموعة التجريبية الثانية ن : (8)		الفرق بين القياسين	قيمة (ت)		مستوى الدلالة
	س	ع±	س	ع±		المحسوبة	الجدولية (0.05)	
السن	17.75	2.05	16.63	2.00	1.12	1.04	2.14	غير دال
الوزن	55.63	11.39	58.13	9.71	2.50-	0.44-		غير دال
الطول	155.75	6.02	153.75	4.38	2.00	0.71		غير دال
اختبار مرونة المنكبين	14.25	4.94	16.88	3.55	2.63-	1.14-		غير دال
اختبار ثنى الجذع إلى الخلف من الوقوف	36.25	5.15	39.25	3.90	03.0-	1.23		غير دال
اختبار ثني الذراعين من الانبطاح المائل (بنات)	27.250	10.30	22.63	9.29	4.62	0.82		غير دال
اختبار الجلوس من الرقود قرفصاء	9.875	3.02	11.38	3.16	1.5-	0.91		غير دال
اختبار ثنى الجذع من الوقوف	1.5	6.76	2.25	7.01	0.75-	0.20		غير دال

يبيـــن الجـــدول السابق عدم ظهور أى دلالة احصائية لجميع متغيرات البحث ، هذا مما يـــدل علـــى تكـــافؤ المجموعتين التجريبيتين حيث أظهرت النتائج الإحصائية أن قيمة (ت) المحسوبة أقل من قيمة " ت " الجدولية عند مستوى دلالة " 0.05 " .

6 ـ إعداد البرنامجين :

لإعداد البرنامجين المقترحين الخاصين بمجموعة التمرينات البنائية الزوجية والفردية تم اتباع الخطوات التالية :

أ ـ اطلعت الباحثة على المراجع المتخصصه فى التمرينات بهدف تحديد التمرينات المناسبة مع المرحلة السنية المختارة بالبحث ، إضافة إلى تناسبها مع ذوى الفئات الخاصة .
(3 : 85 : 86) ، (5 : 76 ـ 117 ـ 122) ، (6 : 174 ـ 226) ، (14 : 4,5)

ب ـ تحديد أهداف البرنامجين المقترحين ومعاييرهما ومحتواهما الزوجية والفردية التى تتضمن الآتى : ـ

أولاً : أهداف البرنامجين :

1. يسهم البرنامجان المقترحان للتمرينات البنائية الزوجية ، والفردية فى مرونة المنكبين والعمود الفقري .
2. يسهم البرنامجان المقترحان للتمرينات البنائية الزوجية والفردية فى تقوية عضلات الذراعين والجذع .
3. يسهم البرنامجان المقترحان فى الحد من تحدب فقرات العمود الفقرى وضعفه الناتج عن الخوف من الاصطدام أو السقوط على الأرض نتيجة الإعاقة .

ثانياً : معايير البرنامجين المقترحين :

1. يعمل البرنامجان بقدر الإمكان على تحقيق الأهداف الموضوعة من أجلها .
2. تناسب البرنامجين المقترحين للتمرينات البنائية الزوجية ، والفردية مع استعدادات الفئة الخاصة وقدراتها " مكفوفى البصر " .
3. يمكن أن يؤدى التمرينات فى القاعات المغلقة أو فى الهواء الطلق .
4. يتسم البرنامجان المقترحان بالمرونة بمعنى أنه ممكن إدخال بعض التعديلات إذا لزم الأمر وهذا هام جداً بالنسبة للمجموعة ذات الفئات الخاصة .

ثالثاً : محتوى البرنامجين :

طبقاً للأهداف والمعايير السابقة تضمن البرنامجان مجموعة من التمرينات البنائية الزوجية والفردية المناسبة لتحقيق الغرض ، مع تمرينات للتحمية والاتخاء مع رسم لبعض التمرينات المنفذة .

المرفقان (4) ، (5)

7 ـ تنفيذ التجربة :

تم تنفيذ برنامجي التمرينات البنائية الزوجية ، والفردية على الطالبات المكفوفات فى جمعية الكفيف فى بنغازى فى الفترة من 24/ 1 / 2000 ، بواقع ثلاث مرات أسبوعياً ، ولمدة شهرين كاملين ، وزمن الوحدة التدريبية " 60 " دقيقة ، وقد احتوت الوحدة التدريبية

فى كل مرة على الأساسيات التالية : تمرينات تحمية وارتخاء وهما متماثلان للمجوعتين ، أما تمرينات الجزء الأساسي فتميزت كل مجموعة فى أسلوب الأداء عن الأخرى فقد تميزت المجموعة التجريبية الأولى بالأداء للتمرينات البنائية الزوجية ، بينما نفذت المجموعة التجريبية الثانية أداء التمرينات البنائية الفردية .

8 ــ إجراء القياسات البعدية :

أجريت القياسات البعدية فى المكان نفسه الذى أجريت فيه القياسات القبلية وبنفس شروط تطبيق كل اختبار فى الأيام التى احتوت على التواريخ الآتية : ــ 27/ 3 ، 29 / 3 ، 1 / 4 / 2000 م .

9 ــ المعالجات الإحصائية :

تم تفريغ البيانات ومعالجتها إحصائيا باستخدام :

أ ــ المتوسط الحسابى .

ب ــ الانحراف المعيارى .

جـ ــ اختبار (ت) الفروق (4 : 294 ، 327) .

10 ــ عرض النتائج ومناقشتها :

أولاً : عرض النتائج :

جدول (2)
الفروق بين متوسطات القياسين
القبلي والبعدي لاختبارات البحث المقاسة للمجموعة التجريبية الأولى

المعالجات الاحصائية / الاختبارات المقيسة	القياس القبلى		القياس البعدى		الفرق بين متوسطى القياسين (م ف)	مجـ ح ف²	قيمة (ت)		مستوى الدلالة
	س	ع±	س	ع±			المحسوبة	الجدولية (0.05)	
اختبار مرونةالمنكبين	14.25	4.94	33.13	6.57	18.88-	148.8752	11.58	2.36	دال
اختبار ثني الجذع إلى الخلف من الوقوف	36.25	5.15	53.375	9.62	17.125-	608.87501	5.19		دال
اختبار ثنى الذراعين من الانبطاح المائل (بنات)	27.250	10.30	78.125	57.52	50.875-	24546.875	2.43		دال
اختبار الجلوس من الرقود فرفصاه	9.875	3.02	14.125	3.30	4.25-	21.5	6.85		دال
اختبار ثني الجذع من الوقوف	1.5	6.76	12.125	4.91	10.625-	386.39063	4.04		دال

يوضـــح الجـــدول رقم (2) ظهور فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) بين جمـــيع القياســـات القبلية والبعدية للمجموعة التجريبية الأولى (المجموعة التى نفذت عليها التمرينات البنائية الزوجية) لصالح القياسات البعدية .

جدول (3)

الفروق بين متوسطات القياسين

القبلي والبعدي لاختبارات البحث المقاسة للمجموعة التجريبية الثانية

المعالجات الاحصائية / الاختبارات المقيسة	القياس القبلى		القياس البعدى		الفرق بين متوسطى القياسين (م ف)	مجـ ح ف ^{2}	قيمة (ت)		مستوى الدلالة
	س	ع±	س	ع±			المحسوبة	الجدولية (0.05)	
اختبار مرونةالمنكبين	16.88	3.55	41.75	10.26	2487-	1101.8752	5.61	2.36	دال
اختبار ثني الجذع إلى الخلف من الوقوف	39.25	3.90	56.75	9.90	17.5-	372	6.79		دال
اختبار ثنى الذراعين من الانبطاح المائل (بنات)	22.63	9.29	55.75	22.94	33.12-	4862.8752	3.55		دال
اختبار الجلوس من الرقود فرفصاء	11.38	3.16	13.5	3.81	2.12-	20.8752	3.47		دال
اختبار الحركية (الجذع+العضلات الخلفية للفخ)	2.25	7.01	15.75	5.95	13.5-	364	5.29		دال

يشير الجدول رقم (3) إلى وجود فرق ذى إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين القياسات القبلية والبعدية للاختبارت المقيسة فى البحث للمجموعة التجريبية الثانية (المجموعة التى نفذت عليها التمرينات البنائية الفردية) لصالح القياسات البعدية .

جدول (4)
الفروق بين المجموعتين التجريبيتين
فى القياسات البعدية

المعالجات الإحصائية / الاختبارات المقيسة	المجموعة التجريبية الأولى ن (8)		المجموعة التجريبية الثانية ن : (8)		الفرق بين متوسطى القياسين	قيمة (ت)		مستوى الدلالة
	س1	ع±	س2	ع±		المحسوبة	الجدولية (0.05)	
اختبار مرونةالمنكبين	33.13	6.57	41.75	10.26	8.62-	1.88-		غير دال
اختبار ثني الجذع إلى الخلف من الوقوف	53.375	9.62	56.75	9.90	3.375-	0.647-		غير دال
اختبار ثنى الذراعين من الانبطاح المائل (بنات)	78.125	57.52	55.75	22.94	22.375	0.739		غير دال
اختبار الجلوس من الرقود فرفصاء	14.125	3.30	13.50	3.81	0.625	0.327		غير دال
اختبارلقياس المرونة الحركية (الجذع + العضلات الخلفية للفخذ)	12.125	4.91	15.75	5.95	3.625-	1.241		غير دال

يبين جدول (4) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين القياسات البعدية للمجموعة التجريبية الأولى والقياسات البعدية للمجموعة التجريبية الثانية الخاصة بالاختبارات الموضحة بالجدول السابق .

ثانيا : ــ مناقشة النتائج :

أ ــ تأثير برنامجى التمرينات البنائية الزوجية والفردية على المجموعتين التجريبيتين " الطالبات المكفوفات " .

من خلال المعالجات الإحصائية التى عرضت بالجدولين (2 ، 3) أشارت النتائج إلى أنه قد طرأ تحسن فى جميع المتوسطات ، وباختبار دلالتها الإحصائية وجدت فروق معنوية عند مستوى دلالة (0.05) بين القياسات القبلية والبعدية لجميع الاختبارات المقيسة والمنفذة على عينة البحث ، حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة لاختبار مرونة المنكبين ، وقوة الذراعين للمجموعة التجريبية الأولى " أي المجموعة التى نفذ عليها برنامج التمرينات البنائية الزوجية ، هى (11.58) ، (2.43) على التوالي ، بينما كانت قيمة (ت) المحسوبة لنفس الاختبارين السابقين للمجموعة التجريبية الثانية أى المجموعة التى نفذ عليها برنامج التمرينات البنائية الفردية ، (5.61) ، (3.55) .

هذا مما يدل على فاعلية تأثير مجموعة التمرينات البنائية الزوجية والفردية معا الخاصة بمرونة المنكبين وقوة الذراعين على مجموعتي البحث التجريبيتين ، فالتمرينات المختارة كانت تهدف وتعمل على قوة الذراعين ومرونة المنكبين وزيادة مطاطيتها .

كما أظهرت النتائج أيضا وجود دلالة إحصائية بين القياسات القبلية ،والبعدية لاختبارات ثني الجذع إلى الخلف من الوقوف ، واختبار الجلوس من الرقود ، وثني الجذع من الوقوف حيث كانت قيمة (ت) المحسوبة للمجموعتين التجريبيتين أكبر من قيمة (ت) الجدولية ، فهذه النتيجة الايجابية تدل على تأثير التمرينات البنائية " الزوجية " الزوجية ، الفردية " المختارة على عينة البحث ، وتتفق هذه النتيجة مع ما ذكرته " عطيات خطاب و ليلى زهران " فإن التمرينات البنائية الزوجية ، والفردية تعمل على إكساب عضلات الجسم القوة والمرونة والتحمل والرشاقة كما أنها تهدف ايضا إلى تحسين القوام وإصلاح العيوب الجسمانية (5 : 87) ، (6 : 157) وبهذا التأييد قد كان كل من العرض الأول والثاني بالبحث .

ب ــ مقارنة تأثير التمرينات البنائية الزوجية والتمرينات البنائية الفردية :

اتضح من الجدول (4) أنه لا توجد أى دلالة إحصائية بين متوسطات القياسات البعدية للمجموعتين التجريبيتين لجميع الاختبارات المدونة بالجدول ، ولكن أشارت النتائج أنه قد ظهر تحسن فى متوسطات الاختبارات (ثني الذراعين من الانبطاح المائل ، واختبار الجلوس من الرقود قرفصاء) بالنسبة للمجموعة التجريبية الأولى التى نفذ عليها برنامج التمرنيات البنائية الزوجية ، وباختبار دلالتها الإحصائية لم توجد أى فروق معنوية ، وترجيء الباحثة هذه النتيجة لتعادل التأثير لكل من التمرينات البنائية الزوجية والفردية " على أفراد العينة على الرغم أنه بالنسبة للتمرينات الزوجية تستخدم الزميلة ثقلا لزيادة شدة التمرين بدلا من استخدام الأدوات اليدوية ، كما أنها تتميز بعامل التشويق والمنافسة الأمر الذى يساعد على إبعاد الملل والقدرة على تحمل المزيد من عبء العمل (5 :105) وبناء على قراءات الباحثة فى المراجع العلمية المتخصصة فى مجال التمرينات ومدى أهمية

التمرينات الزوجية ، افترضت الباحثة أن التمرينات البنائية الزوجية أكثر تأثيرا وفاعلية على عضلات الجسم ومفاصله من التمرينات البنائية الفردية ، ولكن لم تظهر فروق بينهما وبالتالى لم يتحقق الفرض الثالث ، إضافة إلى ذلك قد تعرضت الباحثة اثناء تنفيذها للبرنامج لعديد من الأسئلة من أفراد العينة التى نفذت عليها التمرينات التمرينات البنائية الفردية منها : لماذا نحن ندرس هذه التمرينات الفردية والمجموعة الأخرى تدرس تمرينات أفضل من التمرينات التى نمارسها ؟ هذا دليل على عامل المنافسة والتشويق بالنسبة للتمرينات البنائية الزوجية ، وعلى الرغم من تميزها على التمرينات البنائية الفردية فى بعض الأشياء كعامل التشويق والمنافسة وعدم الملل ، وشدة التمرين إلا أنهما يعتبران وسيلتين من الوسائل المهمة التى تحقق الكثير من الأغراض ... فهما يستخدمان بغرض بناء الجسم وتشكيله (14 : 7) .

10 ـ الاستنتاجات والتوصيات :

من منطلق عرض النتائج ومناقشتها تم استخلاص الاستنتاجات التالية : ـ

أ ـ برنامجا التمرينات البنائية الزوجية والفردية أثرا تأثيرا فعالا على مرونة المنكبين والعمود الفقرى وقوة عضلات الذراعين والجذع .

ب ـ تعادل تأثير برنامجى التمرينات البنائية الزوجية ، والفردية لكلتا المجموعتين التجريبيتين على مرونة المنكبين والعمود الفقرى وقوة عضلات الذراعين والجذع .

التوصيات :

فى حدود عينة البحث وفى ضوء نتائجه يمكن مراعاة التوصيات التالية :

أ ـ يوضع برنامجا تمرينات بنائية زوجية ، وفردية محل التنفيذ للمقيمين فى القسم الداخلى فى جمعية الكفيف .

ب ـ تشجيع الطالبات فى القسم الداخلى فى جمعية الكفيف على ممارسة التمرينات البنائية ، سواء اكانت زوجية أم فردية لما لهما من أثر فعال على قوامهن .

جـ ـ توصى الباحثة المسؤولين فى جمعية الكفيف بضرورة تعيين اختصاصية رياضية للإشراف على تنفيذ برامج رياضية للمقيمين فى القسم الداخلى بخاصة التمرينات مع توفير الامكانات اللازمة لذلك .

د ـ القيام بابحاث متنوعة للتمرينات للمراحل السنية المختلفة لمعرفة اثرها على النواحى الاجتماعية والنفسية للفئات الخاصة فى المجتمع .

المراجع

1. أميـن أنـور الخولى ، أسامة كامل راتب ، مراجعة وتقديم محمد حسن علاوى : التربية الحركية للطفل ، ط 2 ، دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ 1982م .
2. ج ، كـيرك هورتـون : إرشـادات فى التربية الخاصة ــ تعليم التلاميذ المعوقين بصريا فى مدارس عادية ــ تايلاند ــ مؤسسة هيلين كيلر الدولية ــ اليونسكو ــ1988م.
3. حـياة عـياد روفائـيل ، صفاء صفاء الدين الخربوطلى : اللياقة القوامية والتدليك الرياضى ــ منشأة المعارف ــ الإسكندرية (بدون) .
4. رمـزية الغريب : التقويم والقياس النفسى و0التربوى ، مكتبة الانجلو المصرية ــ القاهرة ــ 1988 م .
5. عطيات محمد خطاب : التمرينات للبنات ــ دار المعارف القاهرة ــ 1987 م .
6. ليلي زهران : التمرينات الفنية والإيقاعية " الأسس العلمية والتطبيقية " ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ 1997 م .
7. محمـد حسن أبوعبية : المؤتمر العلمي الخامس لدراسات وبحوث التربية الرياضية ــ كلية التربية الرياضية للبنين ــ ابريل ــ الإسكندرية ــ 1987 م .
8. محمد حسن علاوى ، محمد نصر الدين رضوان : اختبارات الأداء الحركى ــ ط3 ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ 1994 م .
9. محمـد صبحى حسنين : القياس والتقويم فى التربية البدنية والرياضة . ط 4 . دار الفكر العربى . القاهرة 1999 م .
10. ــــــــــ : القياس والتقويم فى التربية البدنية والرياضية . ط 3 ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ 1996 م .
11. محمد على سعود : جمعية الكفيف ــ جذور وآفاق ــ دار الكتب الوطنية ــ بنغازى ــ ليبيا ــ 1998 م .
12. مـروان عـبد المجـيد إبراهيم : الألعاب الرياضية للمعوقين . ط 1 . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ــ عمان ــ الأردن ــ 1997 م .
13. ــــــــــ : الألعاب الرياضية للمعوقين ــ كتاب منهجى لطلبة كليات التربية الرياضية ــ مطبعة دار الحكمة ــ جامعة البصرة ــ العراق ــ 1992 م .
14 . Fran . Ryan : Gymnastics for girls, Penguin Handbooks Published by the Viking press New York (in series,) 1997.
15 . JANE . FONDA`S : Workout Book Reprinted in great , Britain by allen lane 1983 (Twice) .

الرضا الوظيفى ـ مفهومه وطرق قياسه

رمضان سعد كريم

• محاضر مساعد: بقسم التخطيط التربوى والإدارة التعليمية، كلية الآداب / جامعة قاريونس.

بـدأ الاهـتمام بدراسة الرضا الوظيفى، منذ وقت مبكر ربما يعود إلى ظهور حركة العلاقات الإنسانية، فى نهاية العشرينيات من القرن الماضى.

فالرضـا الوظيفى يعد من المتغيرات التنظيمية المهمة، التى تناولتها دراسات متعددة، بالبحث والتحليل. وقد هدفت هذه الدراسات جميعها، إلى تحديد العوامل التى تجعل من الفرد راضـياً فـى وظيفـته، حيث اتضح جلياً أن الاستياء يؤدى إلى انتشار المشاعر السلبية فى المـنظمة، التى تسبب فى انهيارها، وعدم قدرتها على البقاء، ومن أمثلة هذه المشاعر، تأخر العامليـن ، وغيابهم عن العمل، وكثرة مشكلاتهم، وعرقلة جهود غيرهم، وانخفاض أدائهم، وإعلانهم عن رغبتهم فى ترك المنظمة.

وقد شاع الحديث بين الأفراد فى المنظمات المعاصرة، عن الوظائف التى يزاولونها، فكثيراً مايتحدث هؤلاء عن خصائص العمل المناسب، وامكانياته، والطرق المثلى لأدائه، هذا فضـلاً عـن حديثهم عن العلاقات السائدة فى محيط العمل ومناخه، ودرجة ارتباط بعضهم ببعض من ناحية، وبرؤسائهم المباشرين وغير المباشرين من ناحية أخرى.

فـإذا كانت امكانيات أداء العمل متوافرة بدرجة كافية، بحيث توفر للعاملين المعلومات اللازمـة لشـروط وطـرق الأداء الجـيد، وإذا كانـت لوائح ونظم العمل تجزىء العاملين المتميزيـن، على نحو يمكن المسؤولين من تحسين علاقات العمل، واشباع حاجات العاملين عـبَّر هـؤلاء عـن مشاعرهم نحو وظائفهم بقولهم نحن.. راضون عن وظائفنا، وإذا كانت المتغـيرات التنظيمـية، ومتغيرات خصائص العمل تسير فى اتجاه لايخدم مصالح العاملين، عبروا عن مشاعرهم بالاستياء. وعدم الرضا عن وظائفهم.

مفهوم الرضا الوظيفى :

عند التعرض لموضوع الرضا الوظيفى يجب التنويه إلى صعوبة تحديد هذا المفهوم. ويعد اختلاف وجهات نظر الباحثين حوله، دليلاً واضحاً على ذلك.

لقد أشار (عبدالخالق 1982) إلى صعوبة توضيح معنى مصطلح رضا أو عدم رضا الفـرد عـن مظاهر وظيفته، ففى الوقت الذى ركز فيه البعض على ضرورة اشباع حاجات العامليـن ، لتحقـيق الرضا الوظيفى، اهتم البعض الآخر من الباحثين بالنواحى الاجتماعية

والعلاقـــات الإنسانية السائدة فى المنظمة بوصفها من الجوانب الأساسية المحققة للرضا عن الوظيفة.

وهـــناك من يرى أن الرضا الوظيفى ماهو إلا محصلة لتوافق الفرد فى محيط العمل، الذى يكون فى الغالب راجعا لجملة من المتغيرات والعوامل والسمات الشخصية المتكاملـــة. (1) وبـــناء علـــى ماتقدم ساد كثير من الخلط فى الكتب والمقالات الإدارية، بين هذا المفهوم ومفاهـــيم ســـلوكية أخرى، وذلك منذ أن أجرى هوبك Hoppck 193 دراسته المتعلقة بهذا الموضـــوع. وقـــد بذلـــت محاولات بحثية ناجحة، هدفت إلى تحديد مفهوم الرضا الوظيفى تحديـــداً، علمـــيا بالاســـتناد إلـــى الـــنظريات التى حاولت تفسير دوافع السلوك البشرى فى المنظمات. حيث يرى (العدوان والفاعورى 1995) أن هذا المفهوم يمكن تحديده من خلال الأبعاد الثلاثة التالية: (2)

البعد الأول: مفهوم الرضا الوظيفى بوصفه استجابة شعورية لظروف العمل.

لقـــد نمـــا هـــذا المفهـــوم فى ظل النظرية التقليدية التى من أهم روادها ماكس ويبر (Max weber 1947) و ميرتـــن (Merton) واتباع المدرسة البيروقراطية من أمثال بن بـــوارث (Ben Boart) وثومبسون (Thompson 1967) ، وبيرو (Perrow 1978) حيث تم تأكيد علاقة الفرد بالمنظمة، التي يتم تدعيمها فى ضوء ظروف العمل، فالفرد الذى يعمـــل على تحقيق أهداف المنظمة، يحقق فى الوقت ذاته منافع شخصية، من شأنها أن تعمل على تحقيق رضاه عن وظيفته.

ويعد العامل الاقتصادى، وفقاً لهذا البعد المسؤول الأول عن الرضا الوظيفى، لذلك فإن درجة الاستفادة من المزايا التنظيمية المادية وغير المادية، يجب أن تكون مشروطة باستعداد الأفـــراد ورغبـــتهم فى تعديل سلوكهم ونواحى تصرفاتهم، وطرق تفكيرهم بما يخدم مصالح المنظمة ويحقق أهدافها.

الـــبعد الـــثانى: مفهوم الرضا الوظيفى بوصفه استجابة شعورية تتحدد بتوقعات الأداء، واستجاباتها لحاجات الأفراد.

ويرتـــبط هـــذا البعد بنظرية العاملين (Tow-Factor Theory) التى وضعها عالم

---

1) عـــبدالخالق ، ناصـــف: الرضـــا الوظـــيفى وأثره على إنتاجية العمل . مجلة العلوم الاجتماعية، السنة العاشرة، العدد الثالث، 1982.

2) العـــدوان، ياســـر . الناعورى، رفعت " الرضا عن العمل لدى المشرفين الإداريين فى جامعـــة اليرموك". مجلة أبحاث اليرموك سلسلة " العلوم الإنسانية والاجتماعية"، المجلد الحادى عشر، العدد الرابع ، 1995.

السلوك هيرزبرج (Herzberg) حيث أكدت هذه النظرية ارتباط الرضا الوظيفى، بالعوامل المتعلقة بطبيعة العمل ومضمونه، أما الاستياء ، فيرتبط بالعوامل المتعلقة ببيئة العمل.

وتجدر الإشارة إلى وجود اختلافات بين الباحثين فى تحديد العوامل المسببة والباعثة على الرضا الوظيفى، وقد أشار (عاشور 1983) إلى هذا الاختلاف، ففى الوقت الذى أكد فيه لولر وبورتر (Louler and Porter 1962) أهمية العلاقة الإيجابية بين الإنجاز والمكافأة لتحقيق الرضا الوظيفى، أعطى (الدرفير (Alderfer 1967) أهمية خاصة للنمو الشخصى والحاجة للانتماء باعتبارها خصائص وحاجات ضرورية تسهم فى تحقيق رضا الأفراد عن وظائفهم.

فضلاً عن ذلك توصل فروم (Vroom 1968) إلى استنتاج مؤداه، أن العلاقة بين الرضا والدافعية للأداء توجد فى الحالات التى يحصل الأفراد من خلالها على مزايا ومنافع ملموسة نظير مستوى الأداء الذى يحققونه، أى أن هذه العلاقة إن وجدت فهى شرطية، فالارتباط بين الدافعية للأداء والرضا عن الوظيفة مشروطة بوجود نظام يربط بين الأداء والحصول على العوائد والمزايا الشخصية والتنظيمية (3) .

البعد الثالث: مفهوم الرضا بوصفه استجابة لعوامل متعددة ومركبة.

لقد تطور هذا المفهوم وفقاً لهذا البعد، من شعور يحمله الفرد نحو وظيفته، إلى نظرة شاملة متعددة لعوامل الشعور نحو الوظيفة، وحدد سميث وكندال وهولن (Smith, Kendal and Hulin 1969) . هذه العوامل فى طبيعة العمل والراتب والإشراف، والتقدم الوظيفى والعلاقة مع الزملاء.

ويتضح مما تقدم أن مفهوم الرضا الوظيفى، يعد مفهوماً معقداً للغاية، وقد يرجع سبب ذلك لتعقد المتغيرات الشخصية والتنظيمية والبيئية وتداخلها، التى تسهم فى تشكيل مستوى رضا الأفراد عن الوظائف التى يزاولونها وتحديده، ويمكن تأكيد مصطلح الرضا الوظيفى يطلق على الحالة التى يتكامل فيها الفرد مع وظيفته فيصبح متفاعلاً مع الوظيفة التى يشغلها، من خلال طموحه، ورغبته فى التقدم، وتحقيق شخصيته المتميزة، وهو بذلك يحقق منافعه الشخصية، ويشبع حاجاته المختلفة، من ناحية، ويعمل بجدية على تحقيق أهداف المنظمة التى يعمل بها من ناحية أخرى .

---

3) عاشور، أحمد صقر. إدارة القوى العاملة. الأسس السلوكية وأدوات البحث التطبيقى. بيروت: دار النهضة العربية ، 1983.

طرق قياس الرضا الوظيفى :

نظـراً لأهمـية شـعور العاملين بالرضا عن وظائفهم، كان من الضرورى أن تتخذ المـنظمة جملـة مـن الإجراءات والسياسات اللازمة للكشف عن مستوى الرضا الوظيفى للعامليـن لديهـا، والمنظمة بذلك تحتاج إلـى وسائل خاصة لجمع البيانات التى تكشف عن المستويات الحالية لمشاعر الرضا عن الوظيفة.

وتوجـد عدة مؤشرات تدل على مستوى الرضا الوظيفى، يستطيع الباحث ملاحظتها بشـكل مباشـر أو غير مباشر غير أن هذه الملاحظات قد لاتكون موضوعية نظراً لإحجام العاملين عن توضيح الجوانب السلبية فى أعمالهم.

وقـد تـم بناء العديد من المقاييس التى استهدفت قياس رضا الفرد أو عدم رضاه عن وظيفته، ويحدد (العديلى 1995) هذه المقاييس على النحو التالى: (4)

1. دليل الرضا الوظيفى الذى وضعه بريفيلد وروث 1980، واستبيان جامعة مينسوتا (Minnesota satisfaction questionnaire) الـذى وضـعه ويـز وداوز و انجلاند ولوفكوست.
(Wiss, Dawis, England and lofquist 1969)
2. الدلـيل الوصفى للوظائف الذى وضعه سميث وكندال وهولن (Smith, Kendal and Hulin 1969).
3. فضلاً عن هذه المقاييس قدم كل من بورثر ولولير (Porter qnd Lquler) مقياسا للرضـا الوظيفى يتعلق بقياس مستوى الدخل والمكافآت، وتتدرج الإجابة على هذا المقياس وفق خمس درجات هى:
4. أوافق بشدة ، أوافق، غير مقرر، غير موافق، غير موافق إطلاقاً .

لقـد اصـبح مـن الضرورى الاعتماد على مقاييس أكثر دقة وموضوعية، ذلك لأن الاكتفاء بالملاحظات العابرة، لتحديد ووصف مستوى الرضا الوظيفى للعاملين بالمنظمات، قد يقود الباحث إلى طرح نتائج مضللة وغير واقعية.

ويلاحـظ أن المقايـيس مهمـا كانت دقتها لايمكن عدّها، أدوات محايدة تماما لجمع البيانات، فقد ثبت عملياً، أن مشاعر العاملين تكون إيجابية نحو المنظمة، وأن مستوى الرضا الوظيفى لهؤلاء العاملين يزداد بمجرد أن يطلب منهم المشاركة بإبداء آرائهم من خلال هذه المقايـيس، غـير أن عـدم قيام المنظمة باتخاذ الإجراءات اللازمة لتحسين وتدعيم مستوى

---

4) العديلى، ناصر محمد. السلوك الإنسانى والتنظيمى منظور كلى مقارن. الرياض: معهد الإدارة العامة" ، 1995 .

الرضـــا الوظـــيفى للعاملين لديها، بعد إجراء هذه الدراسات والقياسات، ينجم عنه انخفاض مستوى الرضا الوظيفى، بدرجة أكبر مما كان عليه، قبل اجراء هذه القياسات.

وقـــد حـــدد (عـــبدالخالق 1982) أهـــم الطرق المستخدمة فى قياس مستوى الرضا الوظيفى للعاملين فى الطرق التالية: (5)

1 ــ طريقة تحليل ظواهر الرضا:

تعـــد هذه الطريقة من أكثر الطرق شيوعا فى قياس مستوى الرضا الوظيفى، وتتعلق بـــتحديد جملة من الظواهر ذات الصلة بمشاعر العامل نحو وظيفته، ومن ثم يتسنى للباحث تحليل هذه الظواهر تحليلاً علمياً، ومن أمثلة هذه الظواهر: معدل دوران العمل، والتمارض، والتغيب عن العمل. فقد ثبت أن العامل الذى يظهر درجة عالية من الرضا عن وظيفته يكون غيابه ضئيلا، كما يظهر استعداداً كبيراً للقيام بواجبات العمل والتفانى فى أدائها.

ويـــرى (فـــروم Vroom) أن هذا المؤشر يمكن الاعتماد عليه للتنبؤ بدرجـــة استمرارية العامل فى وظيفته أو تركه لها.

2ــ طريقة هيرزبرج (طريقة القصة) :

تعتمد هذه الطريقة التى وضعها هيرزبرج وآخرون (Herzberg et al) على إجراء مقـــابلات شخصـــية مع أفرد العينة، ويطلب منهم ذكر الأوقات التى شعروا فيها بالاستياء، وتلك التى شعروا فيها بالرضا، وأثر ذلك على أدائهم لأعمالهم. ويرى هيرزبرج أن العوامل المســـببة للرضـــا الوظـــيفى هى عوامل ذاتية تتعلق بقدرة العاملين ومهاراتهم، أما العوامل المســـببة للاســـتياء، فترجع إلى البيئة الداخلية ومحيط العمل، وقد توصل هيرزبرج إلى هذه الاستنتاجات من خلال تطبيق هذه الطريقة على عينة من المحاسبين والمهندسين.

3 ــ طريقة الاستقصاءات:

وتعتمد هذه الطريقة على استقصاء الأفراد الذين ينوى الباحث معرفة مستوى رضاهم، من خلال نماذج دقيقة شاع استخدامها مع تطور الأساليب الرياضية ومن أمثلة هذه النماذج (نمـــوذج التوقع لفروم ونموذج بورتر) الذى صمم لقياس مستوى الرضا الوظيفى وفقاً لدرجة إشـــباع الحاجـــات الفســـيولوجية، والأمنية والحاجة للحب والانتماء، والحاجة إلى الاحترام والتقدير، والحاجة إلى تحقيق الذات.

وخلاصـــة القول إن جميع مقاييس الرضا الوظيفى، تسعى لقياس الفرق بين مايحصل

---

5) عبدالخالق ، ناصف ، مصدر سابق.

علـيه الفـرد فعـلاً من خلال مزاولته لوظيفة ما، وبين ما يجب أن يحصل عليه من مزايا وعوائـد ماديـة ووظيفـية، فكلما كان الفرق بينهما قليلاً، دل ذلك على مستوى مرتفع من مشاعر الرضا عن الوظيفة. وبما أن هذه المشاعر تتأثر بمتغيرات شخصية وتنظيمية، لذلك كان من الضرورى على المنظمة أن تعمل على قياس مستوى الرضا الوظيفى للعاملين لديها بشكل دورى، من أجل تدعيم المشاعر الإيجابية نحو الوظيفة والمنظمة على حد سواء.

عرض الكتب

د. ميلاد أ. المقرحى

1 - محاضرات فى تاريخ أوروبا الحديث : عصر النهضة ، تأليف عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم ، (فاليتا – مالطا : منشورات ELGA ، 1999)

تناول المؤلف فى الفصول الثلاثة الأولى من هذا الكتاب عوامل قيام النهضة ، ففى الفصل الأول ناقش عدداً من القضايا المهمة فى التاريخ الأوروبى الحديث مثل الكنيسة والإقطاع ، والاستغلال الدينى وفساد إدارة الكنيسة ، ثم معارضة الكنيسة والإرهاصات الأولى للنهضة . فقد سيطرت الكنيسة على كل مناحى الحياة الانسانية فى أوروبا فى العصور الوسطى ، واستطاعت أن تحافظ على الوضع الاجتماعى القائم أيامئذ ، وبات كل مصلح فى نظرها زنديقا ، ولكن مظالم الكنيسة التى جرّها الإقطاع بعيداً عن خدمة الله والمسيح قد أدت إلى قيام حركات رفض وبدرجات متفاوتة . ومن هنا بدأت حركة الإصلاح الدينى فى أوروبا . وفى الفصل الثانى يناقش المؤلف عوامل ظهور النهضة سيما الاتصال بالحضارة العربية والإسلامية من طريق الأندلس وصقلية ، والحروب الصليبية ، والعلاقات التجارية . وفى الفصل الثالث يركز المؤلف على قيام المدن خاصة فى إيطاليا ودورها فى انبعاث النهضة الأوروبية ، مثل البندقية ، وفلورنسا ، وميلانو ، ونابولى ، وروما ..

أما فى الفصلين الرابع والخامس فقد تناول المؤلف بعض مظاهر النهضة فى إيطاليا ثم فى بعض بلدان أوروبا الغربية : فرنسا ، وألمانيا ، وهولندا ، وبريطانيا .. وركز المؤلف بطبيعة الحال على النهضة الفكرية والفنية فى إيطاليا ، وهنا نجد أن عصر النهضة يبدو بمثابة العتبة التى تفصل الظلمات عن النور وفترة البربرية عن فترة الحضارة ، وفى هذا العصر غدت الحياة قيمة فى حدّ ذاتها ، فى حين أنها كانت تافهة ولا تساوى شيئا فى نظر أناس العصور الوسطى ، فقد كانت الحياة الوحيدة التى لها معنى هى الحياة الآخرة ، لا ريب فى أنه هنا يكمن الانقلاب المعنوى الأساسى الذى طرأ بالفعل فى زمن النهضة ، ثم ترسخ أكثر من ذي قبل فى الفترات اللاحقة ، ثم ينتقل المؤلف فى الفصل الأخير إلى مناقشة حركة

الكشـــوف الجغرافـــية مركزاً على دوافعها ونتائجها ، ويقول : إن هذه الحركة جاءت نتيجة منطقية للنهضة العلمية والفكرية التى أخذت تسود البلدان الأوروبية المختلفة ..

وأخـــيراً من الواضح أن المؤلف تناول مواضيع كثيرة ومتشعبة ، ومع ذلك فإنه نجح فـــى التركـــيز علـــى قضـــايا تاريخـــية محددة فى تاريخ أوروبا الحديث وتعمق فى طرحها ومناقشتها ، إن هذا الكتاب جدير بالقراءة والاهتمام والنقد ، ويُعد مساهمة علمية ممتازة قدمها المؤلف إلى المكتبة التاريخية العربية ، فشكراً للمؤلف وللناشر أيضا ، وصفوة القول إذا قلت إن هذا الكتاب رائع لم أنصفه ، فهو ، فى حقيقة الأمر أكثر من ذلك ..

2 - محاضـــرات فـــى تـــاريخ أوروبا : بين النهضة والثورة الفرنسية ، تأليف عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم ، (فاليتا : منشورات ELGA ، 1997)

تمثل الفترة التى يتناولها هذا الكتاب صلب التاريخ الأوروبى الحديث . فقد شهدت هذه الفـــترة ظهور حركة الإصلاح الدينى فى أوروبا وما ترتب عليها من أفكار وفلسفات مسيحية مستحدثة أدت إلى نتائج بعيدة الأثر ، وقادت إلى تصدع وحدة الكنيسة الكاثوليكية ، وفى هذا الإطـــار يكتـــب المؤلـــف فى الفصول الثلاثة الأولى عن أصول الفكر البروتستانتى ثم عن محـــاولات الكنيسة الكاثوليكية لمواجهة البروتستانتية ، كما يتتبع المؤلف نتائج ذلك الصراع وآثـــاره على المجتمع الأوروبى ، ويلاحظ المؤلف أن رد فعل الكنيسة الكاثوليكية لم يكن فى مســـتوى الـــتحديات الـــتى كانت تواجهها ، فالإصلاحات الكنيسية أخذت المبادئ القروسطية وســـارت علـــيها ودافعت عنها ومع ذلك فإن تلك الإصلاحات ساعدت الكنيسة على استرداد مكانتها فى إيطاليا وحافظت عليها فى أسبانيا وفرنسا ..

وفـــى الفصول : الرابع والخامس والسادس يتتبع المؤلف بإيجاز انتشار البروتستانتية فـــى أوروبا وأثر ذلك فى الملكية المطلقة فى فرنسا ، وفى الإمبراطورية الرومانية المقدسة الآخـــذة فـــى التداعى ، ثم فى قيام الدولة القومية الناشئة فى هولندا ، كما تطرق المؤلف إلى الأثـــر البروتســـتانتى فـــى بريطانيا ومن ناحية أخرى لم يهمل المؤلف فى هذا الكتاب المفيد والنافع التطور السياسى لبعض الدول الأوربية ذات الأهمية والتأثير بعد أن تناول فى بعضها أســـس الـــتطور الفكـــرى والتحول الدينى المرتبط به . ففى الفصول الأربعة الأخيرة ناقش المؤلف ظهور دولة روسيا القوية ، وتطور التاريخ الدستورى فى بريطانيا ، وعصر التفوق الفرنسى (أو فرنسا فى عهد لويس الرابع عشر 1661 - 1715) وأخيراً قيام دولة بروسيا القوية فى وسط أوروبا ..

ويحتوى هذا الكتاب على 304 صفحة ولا يشتمل على خاتمة ولا هوامش ، كما أنه لـم يحـتو علـى ثبت بأسماء المصادر والمراجع التى استعان بها المؤلف فى إعداد الكتاب وتأليفه . وغنى عن البيان أنه من حق القارىء أن يعرف من أين استقى المؤلف مادة الكتاب التاريخية . ومع ذلك فإن منهجية الكتاب وأسلوبه بلغت درجة لا بأس بها من الاتقان وبشكل عـام يعـد هـذا الكتاب على مستوى جيد من العرض والتحليل وتناول بالدراسة ، كما يقول المؤلـف نفسـه مساحة جغرافية كبيرة ، ومساحة زمنية أكبر ، ولهذا السبب عمد إلى تحديد المعالم البارزة ، وفى الوقت ذاته التزم بالسياق التاريخى ، وبالرغم من أن الكتاب فى الأصل محاضـرات جامعية فهو جدير بالقراءة وفى جملته ممتع وكُتب بأسلوب شيق ، ويعد دراسة تاريخـية لـتاريخ أوروبا الحديث فى الفترة ما بين النهضة والثورة الفرنسية تستحق التقدير والـنقد والاهـتمام . وهذا الكتاب من الأفضل أن يقرأ جنبا إلى جنب مع الكتاب الذى صدر للمؤلـف فـى سنة 1999 عن دار النشر نفسها تحت عنوان : محاضرات فى تاريخ أوروبا الحديث : عصر النهضة ..

3 - <u>تاريـخ أوروبا الحديث والمعاصـر</u> ، تأليف عبد الفتاح أبو علية واسماعيـل أحمد ياغى (الرياض : دار المريخ للنشر ، 1993)

يشتمل هذا الكتاب على قسمين كل واحد منهما يحتوى على ثمانية فصول وبالتالى فإن الكتاب يتضمن ستة عشر فصلا ، يتناول المؤلفان فى الفصول الثمانية الأولى (القسم الأولى) العديد من المواضيع والتطورات التاريخية ذات الأثر الكبير فى تاريخ أوروبا ، ويبدأ بالنهضة الأوروبـية بوصفها فترة انتقالية بين العصور الوسطى والعصور الحديثة ، وكانت النهضة مشهداً مدهشا إذ أخذ الإنسان يفكر خلالها بالأمور الدنيوية أكثر من تفكيره بالحياة بعد الموت أو بالآخـرة ، ويـبدو أنـه مـن الصعب تحديد عصر النهضة إلا من طريق اتهام العصور الوسطى والحط من قدرها ، والواقع أن مفهوم النهضة فى حدّ ذاته مفهوم جدالى لأن النهضة لا تـأتى إلا بعـد فـترة انحطاط وعليه ما سبقها كان انحطاطاً . ولكن هذا لا يروق لمحبى العصور الوسطى الذين لا يقبلون بهذه الصورة عن الليل الطويل والمظلم لتلك العصور ولذا فـإنهم يشـدّدون على عناصر الاستمرارية والتواصل ، وفى الفصلين الثانى والثالث يتناول المؤلفـان حـركة الكشوف الجغرافية وحركة الإصلاح الدينى ونتائجها على التوالى . وفى الفصلين الرابع والخامس يتناول المؤلفان تاريخ كل من بريطانيا وفرنسا فى القرنين السادس عشـر والسابع عشر ثم ينتقل فى الفصلين السادس والسابع فتناولا مسألة ظهور دولة بروسيا

دولـــة قوية فى وسط أوروبا وظهور روسيا دولة قوية أخرى فى شرقها ، أما الفصل الثامن فقـــد خصصه المؤلفان لحرب الاستقلال الأمريكية ومراحلها وبالتالى نشأت الولايات المتحدة الأمريكية دولة قوية مستقلة فى العالم الجديد ، وهو فصل خارج عن نطاق الكتاب ..

وفـــى القسم الثانى من هذا الكتاب يتناول المؤلفان بالدراسة الثورة الفرنسية فى سنة 1789 ف وتطوراتهـــا وامتداداتها فى الفصلين الأول والثانى ، ثم الوحدة الإيطالية والاتحاد الألمانى فى الفصلين الثالث والرابع ، وفى الفصلين الخامس والسادس يناقش المؤلفان تصاعد الأزمـــات الأوروبـــية فى الفترة من سنة 1870 إلى سنة 1914 ، ثم الحرب العالمية الأولى 1914 – 1918 مع التركيز على الأسباب غير المباشرة للحرب مثل التنافس الاستعمارى ، ونظام المحالفات السّرية ونمو الروح العسكرية وغيرها . أما فى الفصلين السابع والثامن فقد تـــناول المؤلفان التطورات التى طرأت على تاريخ أوروبا المعاصر فى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم الحرب العالمية الثانية وما ترتب عليها من تطورات أخرى مهمة ..

يحتوى الكتاب أيضا على مقدمة فى صفحة واحدة وتمهيد فى صفحة ونصف ، وعلى قائمـــة بالمصادر والمراجع الأجنبية والعربية والمعربة وهى قائمة متواضعة لم تشتمل على الكثير من المراجع التى نشرت حديثا ، ومن ناحية أخرى لم يتضمن الكتاب خاتمة تلخص ما ورد فـــى الكـــتاب من معلومات أو توضح للقارىء النتائج التى توصل إليها المؤلفان ، وهذا يعنى أنه على القارىء قراءة كل الكتاب حتى يستطيع متابعة ما ورد فيه . .. ومع ذلك يعتبر هـــذا الكتاب بشكل عام إسهاماً علمياً قدمه المؤلفان إلى المكتبة التاريخية العربية ، وهو عمل مفيد للطلاب وغيرهم من المهتمين بالتاريخ ودراسته وفهمه لاسيما أن تاريخ أوروبا الحديث والمعاصـــر يعد محوراً من المحاور الرئيسية فى دراسة تاريخ العالم فى العصر الحديث كما يلاحظ المؤلفان فى مقدمة الكتاب ..

4 – <u>دراسة فى التاريخ الأوروبى والأمريكـــى الحديث</u> ، تأليف : عمر عبد العزيـــز عمر ، (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1992)

يحـــتوى هذا الكتاب على 423 صفحة وخمسة عشر فصلاً وملحقين فقط ، ولا توجد به خاتمة ولا مقدمة ، كما تنقصه الهوامش وثبت بأسماء المصادر والمراجع التى استعان بها المؤلـــف فـــى إعـــداد الكتاب . ويبدو أن الكتاب مجرد مذكرات جامعية غير مصقولة قدمها المؤلف لدار المعرفة الجامعية بالإسكندرية فظهرت فى شكل كتاب . قُسم الكتاب إلى قسمين : معالم التاريخ الأوروبى الحديث ومعالم التاريخ الأمريكى الحديث ، تناول المؤلف فى الفصل

الأول من القسم الأول من الكتاب عصر النهضة الأوروبية فى ايطاليا ، وفرنسا ، وبريطانيا وأسبانيا وهو هنا لم يأت بجديد بل كرر معلومات تاريخية معروفة جيداً تلقى عادة محاضرات على طلاب أقسام التاريخ فى المعاهد العليا والجامعات ، ولكن فى الفصل الثانى يتناول المؤلف التكوين السياسى لأوروبا ونشأة الدول القومية الحديثة فى بداية القرن السادس عشر ولاسيما فى بريطانيا ، وفرنسا وأسبانيا ، وهذا موضوع مهم فى تاريخ أوروبا الحديث . ثم يناقش فى الفصل الثالث حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية وما ترتب على ذلك من آثار ونتائج . وفى الفصل الرابع يتناول الحروب الإيطالية أو التنافس الدولى بين أسبانيا وفرنسا فى شبه الجزيرة الإيطالية فى الفترة من سنة 1494 إلى سنة 1559 وهو موضوع رتيب وممل ..

أما الفصول الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع فموضوعها الأساسى هو حركة الإصلاح الدينى وانتشارها فى أوروبا وما ترتب على ذلك من نتائج وآثار بما فى ذلك حرب الثلاثين عاما ، وهنا أيضا لم يأت المؤلف بجديد حتى فى مجال الشرح والتحليل . وفى الفصل العاشر يستعرض المؤلف تاريخ فرنسا فى عهد لويس الرابع عشر 1661 – 1715 ، ويناقش الملكية الفرنسية المطلقة التى بالرغم من أنها ظهرت بمظهر القوة فإنها – من ناحية أخرى فقدت هيبتها فى أواخر القرن الثامن عشر بسبب مساوىء الملوك الأشرار واستبدادهم ، وكثرة الحروب التى استنزفت الأرواح والأموال ، والضرائب ، والإسراف وسوء الإدارة ، وتفاقم الاستياء الشعبى بسبب الاضطهاد الدينى والسياسى ، وفى الفصل الحادى عشر يتتبع المؤلف التطورات المهمة فى تاريخ فرنسا حتى قيام الثورة الفرنسية فى سنة 1789 .

وفى القسم الثانى من الكتاب أى فى الفصول 12 ، 13 ، 14 يتتبع المؤلف بإيجاز معالم تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية منذ اكتشاف العالم الجديد فى سنة 1492 حتى بداية القرن العشرين ، وقد برزت أمريكا ، كما هو معروف ، من غمرة الخفاء على مسرح التاريخ ، منذ حوالى أربعة قرون فحسب ، وهى أحدث الأمم الكبيرة وأكثرها إثارة للاهتمام وخلاصة القول إن هذا الكتاب كما سبق أن ذكرنا عبارة عن مذكرات أو محاضرات جامعية نشرت فى كتاب تنقصه الهوامش والمصادر والمراجع وهو كتاب ربما يفيد الطلاب فى مراحل التعليم المختلفة ، ولكن حتى فى هذه الحالة لا يصلح أن يكون كتاباً منهجياً جامعياً شاملاً ، لعيوب كثيرة فيه لا تخفى على من يحاول قراءة الكتاب إذا توفر له الوقت .

5- أوروبـــا 1815 – 1919 ، تأليف عمر عبد العزيز عمر ، (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1992)

تناول المؤلف فى هذا الكتاب الأحداث التاريخية المهمة فى التاريخ الأوروبى الحديث والمعاصر فى الفترة من سنة 1815 إلى سنة 1919 وذلك فى تسعة فصول . وبالإضافة إلى هذه الفصول التسعة يوجد فى الكتاب ملحق واحد حول بعض نصوص ميثاق عُصبة الأمم (1919) وعدد من الخرائط والكتاب مماثل تماما للكتاب الذى تم عرضه فى الصفحة السابقة وذلـــك مـــن حيـــث عدم اشتماله على مقدمة وخاتمة ، كما تنقصه الهوامش وثبت بالمصادر والمـــراجع ، وهـــذا الأمـــر يُعـــد مـــن عيوب هذا الكتاب الذى يبدو أنه مجرد مذكـــرات (محاضـــرات) جامعـــية قُدمت للنشر من دون صقل وتنقيح فظهرت فى شكل كتاب . وعلى الـــرغم من أن الكتاب قد يكون مفيداً لطلاب المرحلة الجامعية فإنه من المهم أن نشير إلى أن المؤلـــف لـــم يسلك ما تم التعارف عليه فى البحث التاريخى من توثيق للمعلومات من خلال الهوامش ، كما أهمل إعداد ثبت بالمصادر والمراجع التى استخدمها أو اطلع عليها .

خصـــص المؤلف الفصول الثلاثة الأولى لمناقشة فكرة التنظيم الدولى فى أوروبا قبل القـــرن التاســـع عشر ، والتفاهم الأوروبى فى القرن التاسع عشر ، ونظام المؤتمرات على الـــتوالى ، ثـــم يتتـــبع فى الفصل الرابع التاريخ الفرنسى فى الفترة من سنة 1815 إلى سنة 1852 ، وغـــنى عـــن البـــيان أن فرنســـا من الدول الأوروبية العريقة ، وتاريخها الحديث والمعاصـــر يمكن فهمه من خلال دراسة ماضيها ، أما فى الفصل الخامس فقد تناول المؤلف المســـألة الشـــرقية وحـــرب القرم 1853 – 1856 والوحدة الإيطالية والاتحاد الألمانى فى الفصلين السادس والسابع ، ثم يناقش التحالفات الدولية فى أوروبا فى الفترة 1871 – 1914 فى الفصل الثامن ولا سيما دور بسمارك فى هذه التحالفات وأخيراً يناقش المؤلف فى الفصل التاســـع وهو الأخير الحرب العالمية الأولى مركزاً على أسبابها ، ومراحلها ، ونتائجها . فقد شـــهدت أوروبـــا استقراراً كبيراً منذ مؤتمر فيينا فى سنة 1815 ، باستثناء بعض النزاعات المحلـــية ، والحرب الألمانية الفرنسية فى سنتى 1870 – 1871 ولكن بدءا من سنة 1914 انتهى عهد السلام الطويل . وبعد نهاية الحرب فى سنة 1918 أصبحت أوروبا مقسمة وظهر ما يزيد عن عشرين دولة متمسكة بحدودها وقلقة على أمنها .. وفى الوقت ذاته أنشئت عصبة الأمم التى لم تستطع القيام بالدور المنوط بها من أجل تعزيز السلام بين الدول فى العالم ..

وخلاصـــة القول يعد هذا الكتاب أو يمكن اعتباره إسهاماً لا بأس به قدمه المؤلف إلى المكتبة التاريخية العربية ومن الواضح أن المؤلف قد تطرق إلى مواضيع تاريخية كثر يمكن أن يكون كل موضوع منها نواة لدراسة مستقلة ، كما أنه اهتم بطرح معلومات تبدو فى أغلب الأحـــوال معـــروفة بل أحياناً سطحية ، وبدلاً من التركيز على التاريخ السياسى لأوروبا كان الأحرى بالمؤلف أن يناقش أيضا التطورات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، وأن يبتعد عن السرد التاريخى الذى يتخذ أسلوباً إنشائياً مملاً وجافاً ..

ترحال فى الصحراء

عرض ومراجعة :
عبد الله على الرحيبى *

أولاً : تعريف بالكتاب :

تولت جامعة قاريونس مشكورة نشر ترجمة عربية قام بها الأستاذ الدكتور الهادى مصطفى أبو لقمة لرحلة مهمة قام بها الرحالة الإنجليزى جيمس ريتشاد دسن بعنوان (ترحال فى الصحراء) أمضى خلالها أكثر من ثمانية أشهر ونصف من 1845/8/2 إلى 1846/4/18 متنقلاً مع القوافل التجارية من طرابلس إلى غدامس ، وغات ، ومرزق ، وسوكنة ، ومصراتة ، مروراً بعدد من القرى مثل جنزور ، والزاوية ، ويفرن ، والرجبان ، وسيناون ، وسبها ، وسمنو ، وتمنهنت ، وأبو نجيم ، وزليطن ، وتاجوراء .

وتمثل الهدف من هذه الرحلة فى اطلاع الرحالة عن كثب على كل ماله صلة بتجارة الرقيق ، فهو من أشد المناهضين لها ، وأحب أن يتحقق بأم عينيه من الأسباب الكامنة وراء ممارستها واستمرارها ، فاكتشف وأعلن فى كتابه مراراً وتكراراً " بأن التجار الأوربيين بنقودهم وبضائعهم يحتكرون فى كل من طرابلس ، وتونس ، والجزائر ، ومصر ثلاثة أرباع حركة تجارة الرقيق فى الصحراء الكبرى وإفريقيا الوسطى " ص508 . وتحقق الرحالة من أن الجزء البسيط من السكان الذى يمارس تجارة الرقيق يقوم بدور الوسيط فقط ، فهم الذين يتولون عملية النقل من أسواق الرقيق إلى المدن الكبيرة على الساحل الجنوبى للبحر المتوسط مقابل مبالغ زهيدة لا تتناسب مع مشاق السفر عبر طرق صحراوية وجبلية طويلة ووعرة ، فضلاً عن الحرارة الشديدة نهاراً والبرد القارص ليلاً ، ناهيك عن قلة مصادر المياه العذبة ، ومحدودية الطعام والمخاطر الأخرى مثل قطاع الطرق ، وتلك التى تتسبب فيها الحشرات والزواحف والحيوانات المفترسة .

" إن جل بضائع القافلة ملك للمسيحيين ، واليهود من تجار طرابلس ، إن تجار غدامس ليسوا سوى حلقة اتصال ، وممثلين تجاريين ، وإن البضائع سيتم نقلها وتبادلها بأخرى بما فى ذلك العبيد الذين تذهب أرباحهم بمجرد بيعهم فى طرابلس إلى أولئك التجار الذين تضللهم راية الحماية (الصواب حسب النص الأصلى : الأوروربية) وفى هذا تأكيد للرأى الذى تحدثت عنه فى تقاريرى التى تفيد بأن تجارة الرقيق عبر سوق طرابلس إنما تمول بأموال وبضائع أوروبية " ، ص295 .

وينطبق الحديث نفسه على سكان واحة سوكنة ذات الموقع المهم على طريق القوافل المتجهة من أواسط إفريقيا عبر غات أو مرزق إلى أسواق المدن الساحلية " إن تجارها

• أستاذ مساعد بقسم الآثار ـ كلية الآداب ـ جامعة قاريونس ـ بنغازى .

(سـوكنة) يعـانون من مصاعب تجار غدامس نفسها ، ذلك أن جلهم لايملكون رأس المال اللازم ، وأنهم بلا استثناء عبارة عن وسطاء مع التجار اليهود والمسيحيين فى طرابلس " ص ص554 : 555 .

بيـن الرحالة بأن التجار الليبيين سيتوقفون حتماً عن ممارسة تجارة الرقيق فى حالة توفر بدائـل اقتصـادية تعيـنهم علـى مواجهة أعباء الحياة الصعبة ، ولكنهم حالياً مجبرون على مزاولتها ليس حباً فيها ولكن بفعل الظروف الاقتصادية السيئة التى يعيشونها ، فالحكم التركى للـبلاد مستمر فى تجريد السكان من ممتلكاتهم فى شكل ضرائب جائرة ، غير مكترث بالفقر المدقـع الـذى يعيشونه ، ليتمكن بذلك من تحقيق سيطرته المطلقة عليهم ، ويمنع أية فرصة تسـمح بالثورة وتحقيق الاستقلال ، يقول حاكم غدامس التركى مثلاً " ولذا فلا نوفر لهم إلا قوتـاً قليلاً فى منطقة الجبل (الغربى) فما لديهم قليل وسيبقى قليلاً حسب تعليمات السلطان للسيطرة عليهم وتحطيم معنوياتهم وإجبارهم على الخضوع والاستسلام " ص ص159 : 160 . ويشـيد الـرحالة بحسن معاملة العبيد فى المناطق التى زارها مقارنة بالمعاملة السيئة التى يتعرضـون لها فى أمريكا " وهنا لن يكون من الإنصاف مطلقاً إغفال معاملة سكان غدامس الجيدة لعبيدهم الذين يملكون الوقت الكافى للترفيه عـن أنفسهـم ، خلافـاً لعبيـد ابعاديـات (مـزارع) السكر والقطن التى يملكها مسيحيو الولايات المتحدة " ص203 . ويقول الرحالة فى مكان آخر " أعلمنى خادمى (سيد) عند عودتى من منزل الرايس بأن أصدقاءه من عبيد الطـوارق أكدوا له بأن سادتهم أقلعوا نهائياً عن جلد عبيدهم وضربهم وأنهم يعاملونهم معاملة الـند للند خلافاً لما كان يحدث فى السابق ... نعم مازال أمام أمريكا المتحضرة شوط طويل لتتعلم دروساً فى الحرية والإنسانية ممن تصفهم بالمتخلفين من سكان الصحراء " ص158 .

وأشاد الرحالة بسلوك إنسانى آخر تتميز به أخلاق أهل الصحراء عن نظرائهم فى أمريكا يتمـثل فى حق العبيد المحررين فى العودة إلى أوطانهم دون أن يمسوا بأذى خلافاً لما يحدث فـى أمـريكا مـن إعادة اعتقال للعبيد المحررين " كم هى مختلفة أخلاق أهل الصحراء عن أخـلاق الأمريكييـن الوضيعة ، الذين يفاخرون بإعادة اعتقال العبيد المحررين ، أو بشنقهم تماشياً مع قانون لانش ، رغم مابذلوه من جهد ليتمكنوا من شراء حريتهم " ص308 .

وأبـدى الـرحالة إعجابه بأسلوب التعليم فى غدامس الذى يشتمل أيضاً على التعليم الليلى بحيث أصبح كل سكان غدامس يقرأون ويكتبون ، عكس انجلترا التى لايستطيع نصف شعبها كتابة أسمائهم " ص353 بتصرف .

وقد عبر الرحالة بصفة عامة عن إعجابه بأخلاق السكان فى المناطق التى زارها بالمقارنة مـع مايدور فى بعض المدن الأوروبية ، فهى أخلاق حضارية إنسانية راقية تعتمد على الثقة المتـبادلة والصـدق والإيثار والتعاون ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى تعاليم الدين الإسلامى الحنيف التى جعلتهم على هذا المستوى الرفيع من الأخلاق .

" ومجمـل القـول فـإن مستوى الأخلاق لايمكن مقارنته بحال بما يحدث فى أكثر المدن الأوروبية المتحضرة ، فأخلاق أهل الصحراء مازالت نقية وبعيدة عن الدنس الذى ترعاه مدن كبيرة كلندن وباريس مثلاً " ص170 .

ثانيا : المراجعة :

لـم يكـن فى الحسبان مراجعة الترجمة ، ولا حتى تصفح النسخة الانجليزية ، لولا عدم ورود المعلومـات الأولية التى تعرف بالكتاب الأصلى ، وكثرة الأخطاء المطبعية التى تمنع معـرفة بنائها السليم من خلال النص فكان لا مفر من العودة إلى المصدر الأصلى لتوضيح الغمـوض الذى يحيط بها ، بالإضافة إلى الخلل البين فى تركيب بعض الجمل نتيجة لسقوط بعض الكلمات أثناء الطباعة أو الترجمة ، الأمر الذى حتم مراجعة المصدر الأصلى من أجل إعـادة الصـياغة بشـكل مفهوم ، ولعل الأمر الذى كان أكثر إلحاحاً فى العودة إلى النسخة الانجلـيزية ورود معلومـات فى الصفحة 117 مفادها أن " الرحالة علم فى تاريخ لاحق أن يهوديين ذهبا عام 1884 إلى إقليم البرنو : " فإذا كان هذا التاريخ صحيحاً ، متى كان نشر الرحلة ؟ وهل بقيت الرحلة بدون نشر لمدة أربعين سنة تقريباً ؟

كـل هذه الأمور مجتمعة أدت إلى ضرورة البحث عن المصدر الأصلى لاستجلاء الأمر وتوضـيح الجمل المبهمة فى الوقت ذاته والأخطاء المطبعية المستعصية ونشرها ليستفيد منها القارىء ، والمترجم ، والناشر فى حالة صدور طبعة ثانية للكتاب المترجم .

صدرت الطبعة الأولى للكتاب سنة 1848 ف ثم أصدرت شركة فرانك كاس المحدودة فى لـندن طـبعة ثانية له سنة 1970 ف ، ويتكون الكتاب من جزئين يصل عدد صفحاتهما إلى تسـعمائة واثنتيـن وعشـرين صـفحة ، فضلاً عن عشرين صفحة للمقدمة مرتبة بالأرقام اللاتينيـة ، مـع خـريطة تبين طرق القوافل الممتدة بين موانىء البحر المتوسط الجنوبية وأسواق أواسط إفريقيا ، مروراً بالقرى والواحات الواقعة على امتداد هذه الطرق .

إن عـدم نشر هذه الخريطة فى الترجمة العربية ، وعدم ترجمة صفحات وهوامش كثيرة اتضـح مـن خـلال الرجوع إلى بعضها أنها لا تقل أهمية عن تلك التى يتضمنها الكتاب ، وتجـاهل الـتعريف بالكتاب الأصلى ، بالإضافة إلى عدم ذكر المترجم للأسباب التى جعلت الكـتاب يصـدر بهذا الشكل أنقصت كثيراً من قيمة الكتاب وحرمت القارىء الذى لا يمكنه الرجوع إلى الكتاب الأصلى من الاستفادة من كل المعلومات الواردة فيه .

أصدرت جامعة قاريونس كتاب ترحال فى الصحراء سنة 1993 ف مما يعنى مضى أكثر مـن عـدة عقود إن لم تكن قروناً على صدور أول كتاب يتضمن فهارس متعددة لمحتوياته حسب الحروف الأبجدية لكل موضوع على حدة ، إذ يحتوى هذا الكتاب على صفحات كثيرة وجـب علـى الناشـر أو المترجم فهرسة مواضيعه بحيث يتمكن القارىء من الوصول إلى المعلومة المطلوبة بكل سهولة ويسر، وتغمر السعادة قلبه لأنه لاقى الاحترام الذى يليق بـه .

إن أسـلوب إخراج الكتاب لايختلف كثيراً عن منشورات القرون الماضية ، بل إن بعضاً من هـذه المنشورات يتميز بتجزئة المحتويات إلى وحدات صغيرة تتكون من صفحات قليلة العدد تمكن القارىء من الرجوع إلى الفقرة المطلوبة فى وقت قصير وجهد قليل .

من الواضح أن الكتاب لم يخضع للمراجعة لا قبل الطباعة ولا بعدها وترك أمره لمشرفى الطباعة يرتبون صفحاته كيفما يشاؤون فصارت الصفحتان 452 ، 453 لا صلة لهما بالمكان الـذى يشغلانه وإن مكانهما السليم يأتى بعد الصفحة 551 ، وعلى القارىء أن ينتقل مباشرة

بعد الصفحة 451 إلى الصفحة 454 إذا أراد متابعة الموضوع بشكل متناسق .

الأخطاء المطبعية والجمل الناقصة :

ورد اســم التاجر الغدامسى (ماقورا) فى الترجمة العربية بالشكل التالى " ماكورا " اثنان وثلاثــون مرة وبالشكل " ماقورا " مرتين ، وعائلة " ماقورا " من العائلات العريقة المعروفة فى غدامس ، ويكتب الاسم حسب نطق أهل غدامس حالياً " ماقورا " ، أما فى القديم فقد كان ينطق " مقورن " وهذا يتفق تماماً مع ما أورده الرحالة فى كتابه عند الإشارة إلى هذا التاجر الغدامســى النبــيل " makouran " . وتعنى كلمة " مقورن " باللهجة الغدامسية " الكبير أو السيد " ، وهى كلمة عربية الأصل مشتقة من كلمة " القرن " التى من أحد معانيها " السيد " .

كذلــك ذكر بئر " امجزم " على الطريق الممتدة بين سيناون وغدامس بعدة صيغ : " آبار امجس " ص81 ، و " آبار ابحسن " ص82 ، و " قرية امجسن " ص252 ، والصواب حسبما أفاد بعض من أهل المنطقة " بئر امجزم " .

أما الجمل والفقرات غير الواضحة وغير الكاملة بسبب سقوط بعض الكلمات أثناء الطباعة أو الــترجمة فإنها سترد مرتبة حسب تسلسل الصفحات ، وأنصح القارىء المتخصص الذى يريد الاستشهاد ببعض ما ورد فى الترجمة العربية بالعودة إلى النص الأصلى .

ستكون المراجعة على النحو التالى : يعطى أولاً رقم الصفحة فى الترجمة العربية متبوعاً بالجملــة أو الفقــرة التى فى حاجة إلى مراجعة ثم تذكر الجملة أو الفقرة حسب ورودها فى الــنص الأصــلى متــبوعة بــترجمة عربية متضمنة الكلمات التى سقطت اثناء الطباعة أو الترجمــة .

1 ــ ص27 وردت فى هذه الصفحة الجملة التالية :

" التى يقودها ربان مالطى الجنسية " .

" the captin and owner was a maltese " . p4, vol (1) .

وكان الربان والمالك مالطى الجنسية .

2 ــ ص28 وردت فى هذه الصفحة الجملة التالية :

" ومــع هذا يضطر الصيادون الفقراء إلى دفع قدر يصل إلى خمس محصولهم إلى الحكومة مقابل إذنها لهم بممارسة هذه الحرفة " .

" unhappily the poor fishermen are obliged to pay from twenty- five to fifty per cent. Of the fish cought to government" p5 vol 1 .

وبكــل حــزن فإن الصيادين الفقراء مجبرون على الدفع من 25% إلى 50% من السمك الذى تم صيده إلى الحكومة .

3 ــ ص28 ورد فى هذه الصفحة النص التالى :

"يبدو المنظر المحيط بالمرفأ عارياً ، ولا أثر لأحد سوى عدد من الناس يجنون الشعير ومن حولهــم بعــض الماشية أو يزرع محصول الشعير وغيره من الحبوب على أرض الجزيرة الخصبة بين أشجار النخيل والزيتون " .

" the scene was wild and bare, the coloures of the landscape light and bright. There ws some moors winnwing barley an ox was treading out the corn in scripture fashion. Cropes of barley and other grain are grown all over this fertile isle, under the date palm and olive trees " pp5- b, vol 1 .

يـــبدو المنظر المحيط بريا وقاحلا ، وألوان الطبيعة مشرقة وزاهية ، ويقوم بعض السكان بـــتذرية حصاد الشعير ، فى حين يشاهد ثور أثناء عملية درس الحنطة على غرار ماذكر فى الكـــتاب المقـــدس ،وتنمو محاصيل الشعير والحبوب الأخرى فى كامل هذه الجزيرة الخصبة تحت أشجار النخيل والزيتون .

4 ــ ص29 ورد فى هذه الصفحة النص التالى :

" يعـــيش إيطالى فى هذه المنطقة ، يعمل وكيلاً فرنسيا مهمته التجسس على منطقة الحدود بين تونس وطرابلس رغم ضآلة الأجر الذى يتقاضاه " .

" there is at biban a single European resident, an Italian, who acts as a french agent and spy on the frontiers of Tunis and Tripoli. He is paid about eighteen- pence a day. P6, vol 1 .

يعـــيش فـــى مـــنطقة البيبان مواطن أوروبى وحيد ، إيطالى ، وهو عميل فرنسى مهمته التجســـس علـــى مـــنطقة الحدود بين تونس وطرابلس ويتقاضى حوالى ثمانية عشر بنسا فى اليـــوم .

5 ــ ص29 ورد فى هامش هذه الصفحة الفقرة التالية:

" تشبه هذه الملاحات ملاحات صيدا "

" like the fish- lakes of biseerta in tunis " p7 vol 1 .

تشبه بحيرات السمك فى بنزرت فى تونس .

6 _ ص31 ورد فى هذه الصفحة النص التالى :

" حيـــن ظهـــر قطيع من خنازير البر يمرح ويتابع سير سفينتنا التى لايقل حجم بعض أفراد القطيع عنها كبراً " .

" we are followed for three hours by a shoal of porpoises some nearly as big as our bark which enjoyed highly the run with us . p10, vol 1 .

وكـــان يلاحقنا لمدة ثلاث ساعات قطيع من خنازير البحر ، استمتعت كثيراً بالتسابق معنا ، يصل حجم بعضها تقريباً إلى حجم مركبنا ذى الثلاثة صوار .

7 _ ص81 وردت فى هذه الصفحة فقرة بالشكل التالى :

" كان جملى الخاص جيداً وفطنا وقاسياً أيضاً فقد كان من عادته عض الإبل التى لا تروق له عند هبوط أى منحدر ، كما أنها تدور وتلف من حولها الوقوع ضمن عادة الإبل التريث عند هبوط أى منحدر ، كما أنها تدور وتلف من حولها إذا كانت شديدة الانحدار " .

" the camel which I rode was a very knowing, and like many knowing animals, very vicious, he was in the habit of biting all the other camels which did not please him on their hind quarters, but took care not to get bitten himself, he seldom stumbled and I was rearly in fear of falling. A

camel will never plunge down a deep descent, but always turn round when it comes to the edge of the precipice. P85 vol 1 .

إن الجمـــل الذى ركبته جيد جدا ومتمرس جدا ، ومثل كثير من الحيوانات المتمرسة فهو قـاس جـــدا ، فقد كان من عادته عض الإبل الأخرى التى لا تروق له فى أطرافها الخلفية ، ويحـــتاط حـــتى لا يـــتعرض للعض هو نفسه ، إنه نادرا مايتعثر ، وتبعا لذلك قلما راودنى الخوف من الوقوع ، والجمل لا يتهور أبدا فى هبوط منحدر عميق ، ولكن دائما يغير اتجاهه عندما يأتى إلى حافة الجرف .

8 ــ ص81 ورد فى الصفحة العبارة التالية :

" غدامس مدينة باسيو !! " .

ghadames blad " medina " (ghadames is a city) p85 vol 1 .

ولاأدرى مـــن أين جاءت كلمة " باسيو " وعلامتا التعجب خلفها ، إذ من الواضح أن معنى الجملة : غدامس بلاد " مدينة " ، أى بمعنى (غدامس مدينة) .

9 ــ ص113 وردت فى هذه الصفحة فقرة بالشكل التالى :

" لايعلـــم التجار على وجه اليقين مناطق استخراج الذهب فبعضهم يؤكد بأنـــه إقليـــم فـــوك fouk " " الواقـــع شمال تمبكتو أما الآخرون فيرجعونه إلى المنطقة الواقعة عند مدينة جينى وبامـــبارا الواقعتيـــن علـــى بعد ثلاثة أشهر من تمبكتو باتجاه الجنوب الغربى ، وهى منطقة شاســـعة تـــتكون من عدة مناطق ومقاطعات ، ولو أن منطقتها الأساسية هى فورا التى يغلب علـــيها اســـتواء ســـطحها علـــى وجـــود بعض المناطق الرملية وخلوها بالكامل من أى أثر للصخـــور ، كما يقال إن الأرض التى يعتقد وجود الذهب فى مناجمها تباع عن طريق المزاد العلنى ، مما يعنى أن الحظ وحده هو الذى يحدد إمكان الحصول على ثروة هائلة أو الرجوع بخفى حنين .

The gold country of the merchants is not very distinctly understood by them. Some say it is "fouk " , " above" , Timbuctoo, others beyond Jinnee and Bambara, a bout three months from Timbucto, in a south-west direction. The country . is called melle, which includes many large districts and provinces, but the particular district is furra. This is a flat and sandy place, " not a stone, " say the merchants, " is to be seen. " the mines of furra, if such they may be called, are sold by auction, and the lot of land is a lot of fortune. Some plots producing nothing, others gold in aoundane. When the gold arrives at Timbuctoo, it is converted into women's ornaments, mostly ear- rings. P132 vol 1 .

لايعلـــم التجار على وجه اليقين مناطق استخراج الذهب ، بعضهم يقول إنها أعلى " تمبكتو " فـــى حين يرجعه آخرون إلى البلاد التى تلى " جينى " و " بامبارا " الواقعتين على بعد ثلاثة أشـــهر مـــن " تمبكتو " فى اتجاه الجنوب الغربى ، تسمى هذه البلاد " ميلى " وهى تضم عدة مـــناطق وأقاليم كبيرة ، أهمها منطقة " فورا " إن أمكن نعتها بذلك ، عن طريق المزاد العلنى

ممـــا يعـــنى أن الحـــظ وحده الذى يحدد إمكان الحصول على ثروة هائلة أو الرجوع بخفى حنيـــــن . وعندما يصل الذهب إلى " تمبكتو " يتم تحويله إلى حلى نسائية ، أغلبه على شكل أقراط .

10 ــ ص117 ورد فى هذه الصفحة فقرة بالشكل التالى :

" والغريـــب أنـــنى علمت فى تاريخ لاحق أن يهوديين مغربيين ذهبا عام 1884 إلى إقليم " بورنو " وبعض جهات السودان الأخرى وعادا سالمين ... " إذ يحكى عن ترددهم على مدينة تمبكتو .. ويعملون تحت حراسة مشددة "

Afterwards I learnt that two barbary jews went either to Bornou or Sudan, in the year 1844, and returned safe ... some have said they go to Timbuctoo, but this report is not authenticated ... about twenty [jewish] families are established amongst the Souafah, in the greatest security of life and property. P138 vol 1.

علمـــت بعد ذلك أن يهوديين ذهبا إما إلى " بورنو " أو " السودان " فى سنة 1844 ، وعادا سالمين .. يقول بعض الناس إنهما ذهبا إلى " تمبكتو " ولكن هذا القول غير متحقق منه .

تعـــيش حوالـــى عشـــرين عائلة (يهودية) مع قبيلة (سوافه) فى أمان كامل على حياتهم وممتلكاتهم .

11 ــ ص128 وردت فى هذه الصفحة جملة بالشكل التالى :

" وأن ثالث المترددين منهم قرر الاستعاضة عن العلاج بتناول مع بعض الماء ليلاً " .

" Another sufferer craved a talisman to drink with water at night " p158. vol 1 .

من الواضح أن كلمة " رقية " سقطت أثناء الطباعة ، وتبعاً لذلك تكون الجملة : بتناول رقية مع بعض الماء ليلاً .

12 ــ ص186 وردت فى هذه الصفحة فقرة بالشكل التالى :

" تربط المراجيح فى أعلى طرف من أشجار النخيل القريب بعضها من بعض ، وفى العادة يستغلها أكثر من شخص واحد لعدم خطورتها ولأنها الوسيلة الأكثر شيوعاً من وسائل التسلية التى لا وجود لها " .

" the swings are tied high up to the tallest date- palms, two or three persons swing together, and the sport is a little dangerous. Saw no other amusements during the ayed, except here and there drafts, played in the primitive way of making small holes in the sand for the squares. P252, vol 1.

تـــربط المراجيح عاليا فى أشجار النخيل الأكثر ارتفاعاً بحيث يتأرجح شخصان أو ثلاثة فى آن واحد وهى رياضة قليلة الخطورة ، لم أشاهد خلال فترة العيد وسائل تسلية أخرى باستثناء ألعاب بدائية تلعب هنا وهناك تتكون من حفر صغيرة فى الرمل تقوم مقام المربعـــات .

13 ــ ص186 وردت فى هذه الصفحة الفقرة التالية :

" تمكن خلال الحملة العسكرية على جنوب الجزائر بى بسكرة ، بعد غياب الحاكم العسكرى ، من الانقضاض على الحامية الصغيرة والقضاء عليها والاستيلاء على مابخزينتها من أموال ثم انطلق هاربا إلى منطقة شط الجريد حيث يعيش فى آمان " .

During the expedition of the duke d'aumale to the south of Algeria, the bey of Biskera, mohammed-es-sagheer, murdered the small garison of soldiers left behind, emptied the chest of what francs were in it, and went off to the desert. P252, vol 1 .

خلال حملة الدوق أومالى على الجنوب الجزائرى قتل بى بسكرة محمد الصغير جنود الحامية الفرنسية الصغيرة الذين بقوا فى مقر الحامية وأفرغ الخزينة من الفرنكات التى كانت بها ورحل إلى الصحراء .

14 ــ ص282 ورد فى هذه الصفحة أن الرحالة العياشى تونسى ، وفى الحقيقة فإن العياشى مغربى وليس تونسياً ، وبالعودة إلى النص الأصلى ، اتضح أن الكاتب أشار إليه باسمه فقط ولم يذكر اسم بلده .

El- aishi, describing the sandy sahara... p404 vol 1 .

ومن الإنصاف الإشارة إلى أن الرحالة الإنجليزى أورد فى مكان آخر من كتابه اسم العياشى متبوعاً باسم بلده المغرب والسنة التى أنجز فيها رحلته . (ص275 ج1) .

15 ــ ص295 ورد فى هذه الصفحة فقرة بالشكل التالى :

" مع أننى شعرت بالإعياء والمرض فى المساء لا بسبب ماأشرت إليه من انفعال بقدر أثر فعل شرب تلك المياه الآسنة التى تركت أثرها على جميع المسافرين وكأنها ملح ابسوم الحقيقى " .

Felt very sick this morning with drinking the water of Mislah. It is purging all the people like gnuine epsom. P414. vol 1 .

شعرت بمرض شديد هذا المساء بفعل شرب مياه بئر مسلة التى تسببت فى إصابة كل الرجال بالإسهال وكأنها ملح ابسوم الأصيل .

16 ــ بص494 ورد فى هذه الصفحة جملة بالشكل التالى :

" فقد شد انتباهى حدثان هامان تمثل الأول فى قتل خمسمائة جندى فرنسى فى الجزائر " وبالعودة إلى النص الأصلى اتضح أن موقع المعركة لم يرد فى الترجمة وهو : قرب جامع الغزوات near jama el- ghazouat ولم يذكر الكاتب اسم الجزائر فى النص ، ولكنه ذكر أن الحادثة تمت انتقاما لجريمة حرق قبيلة عربية فى كهوف جبال الأطلس قام بها الاستعمار الفرنسى . (يوجد النص الأصلى فى ص313 ج1) .

كما تحتوى هذه الصفحة من النص الأصلى على هامش مهم يبين أن بعض الصحف الفرنسية احتجت ضد هذه الجريمة البشعة التى ارتكبتها القوات الفرنسية فى حق السكان الأبرياء . ويفترض أن المترجم نقل هذا الهامش إلى اللغة العربية حتى يكون القارىء على بينة تامة بما ورد فى النص الأصلى ويوضح له ، بالتالى ، وجهة نظر بعض الفرنسيين ، على الأقل ، حول الممارسات غير الإنسانية ضد الشعب الجزائرى .

17 ــ ص235 ورد فــي هــذه الصــفحة تعليق من المترجم وضع فى المتن ، ومكانه فى الهامش ، بطبيعة الحال يقول التعليق :

" والغريب فى الأمر أن المؤلف يتحدث عن هذه اللعبة .. الخ " .

وبالعودة إلى النص الأصلى (ص381 ج2) اتضح أن هذه الصفحة لم تترجم بشكل كامل ويتلخص حديث الرحالة الذى لم يترجم ، فى مشاهداته لتجمعات بعض السكان الذين يضيعون الوقــت الثمين فى لعب السيزة / الخربقة ، ويستغرب التناقض فى تصرفات بعض المسلمين الذيــن يمتنعون عن شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فى حين لايتورعون عن إضاعة الوقت الكثير فى لعب القمار الذى نهى عنه الله مثله فى ذلك مثل الخمر ، ويستدل على ذلك بآية من ســورة الــبقرة " يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير " (219) وأخرى من سورة المائدة " إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر " (91) .

18 ــ ص537 ورد فى هذه الصفحة العنوان التالى :

من سوكنة إلى مرزق ، والصحيح من مرزق إلى سوكنة .

19 ــ ص538 ورد فى هذه الصفحة فقرة غير كاملة الترجمة ، كما أن الهامش لم يترجم هو أيضــاً رغــم احتوائه على معلومات مهمة حول نظام التبادل التجارى المتبع فى " البورنو " المسمى " القوبقا " تقول الفقرة :

" أولاً إحضــار آلة صغيرة لصنع العملة المعدنية التى ينوى سلطان " البورنو " إحلالها بدل قطــع القمــاش المــتداولة والمعروفة " بالجوبجا " التى يصعب التعامل بها ، وثانياً إحضار مايحــتاجه الســلطان من وسائل تمكنه من إشعال النار فى أكواخ مدن أعدائه ، ثالثاً وأخيراً تعليمات تحضير وتجهيز الصباغة ، وشمع النحل ، ودباغة الجلود مكتوبة باللغة العربية " .

First for the sheikh of bornou, I am to bring a small coining- machine to make a copper- currency, replacing the present inconvenient system of pieces of cotton called Ghubha, next, I am to bring congreve-rocket by which the sheikh may set on fire the straw hut cities of his enemies; but I should think a good drill-serjeant would be better than rockets. Finally, some instruction, in Arabic language, for preparing indigo, a bee' wax, and tanning leather. Pp388-9 vol .

أولاً : إحضــار آلة صغيرة لصنع العملة النحاسية لشيخ (سلطان) بورنو لتحل محل النظام الحــالى غــير العملى المتمثل فى قطع من القماش القطنى تسمى القوبقا ، ثم إحضار قذائف ناريــة ليحرق بها الشيخ (السلطان) أكواخ مدن أعدائه ، أظن أن ضابط تدريب جيد أفضل من هذه القذائف . وأخيراً إحضار بعض التعليمات باللغة العربية حول إعداد صبغــة النيلــة (صبغة زرقاء اللون) ، وشمع النحل ، ودباغة الجلود .

أمــا المعلومــات التى ذكرها الرحالة فى الهامش حول معنى " القوبقا " ولم تترجم إلى اللغة العربية فهى :

القوبقــا : مقــياس طوله ستة أقدام (حوالى 1.38 م) يقاس به قطع القماش القطنى بالطول السابق نفسه وعرض ثلاثة بوصات (حوالى 8 سم) . وعلى هذا الأساس عرف نظام العملة المتداولة .

يعـادل الرطل " أربعة قوبقات " ويعادل الدولار الأسبانى الواحد " ثلاثين رطلاً " . هكذا كان سعر الصرف فى سنة 1845 .

20 ــ ص539 وردت فى هذه الصفحة فقرة بالشكل التالى :

" فالتبشـير الدينى إذا تم وأريد له النجاح ، يجب حسب تصورى أن يستند فى المقام الأول إلـى اعتماد فئة لاعلاقة لها بالتجارة ومستعدة للعمل بأيديها بدل تبنى شعار الخطب الجوفاء الـتى لا تغنى عن شىء ، لأن نجاح مثل هؤلاء بمباركة العناية الإلهية يعنى اختيار مشاريع مدروسة من متطلبات المنطقة ".

But, it is to be understood, that the missionaries should go as merchants and,like paul, work with their hands at mechanical trades. It must not be a wild-goose chase of empty declamation, but a thoroughly conscientious jproject, wrought out according to the circumsances of the country with discretion and courag. In this way it would, with the blessing of providence, succeed admirably. Pp389-390 bol 2 .

ولكن يجب أن يكون مفهوماً بأنه على المبشرين الذهاب بوصفهم تجاراً ، مثل بول ، يعملون بـأيديهم فى المهن الميكانيكية ، ويجب أن لا يكون مشروعا أحمق يتكون من خطب جوفاء ، ولكـن مشـروعا مـتكاملاً يملـيه الضمير ، مخططا له حسب ظروف البلد ، بكل عقلانية وشجاعـة ، وبهذه الطريقة وبرعاية العناية الإلهية سيلاقى المشروع نجاحاً باهـراً .

21 ــ ص539 ورد فى هذه الصفحة اسم بئر تاغيكا tagheaka وبالعودة إلى النص الأصلى وجد أن اسم البئر تاغيته " tagheetah jkp380 bol 2 " .

22 ــ ص539 ورد فـى هـذه الصـفحة فقرة تتضمن ترجمة عربية ناقصة عن ماورد فى النص الأصلى وهى كالتالى :

" فـإن معظـم أهلنا يعيشون على التمر ، والحشائش فقط ، كما أن الجميع يأكلون القطب ، الـذى يشـبه لحد علمى نبات الحرص ، ومهما كان الأمر فإن سكان فزان يبدون جميعاً فى صحة جيدة ، وسعداء فقد باركت السماء ، وجبتهم الفقيرة هذه وجعلتها سائغة ومنعشة " .

Many of the people live only on dates and hasheesh (herbs). We eat the ghoteb. In the abandoned huts I found three or four women just come from Zeghen. They were collecting and boiling the ghoteb, which they sell in their town; it eats very cooling and pleasant with dates. If I recollect, it is something like the barilla-plant. I tested the herb, but could make nothing of it. Nevertheless, the inhabitants of Fezzan are apparently healthy and happy. Pp390-1 vol 2 .

يعيش معظم الناس على التمر والحشائش فقط ، كما نأكل القظب أيضاً وجدت ثلاث أو أربع نسـوة فى الأكواخ المهجورة عائدات للتو من زيغن كن يجمعن ويغلين القظب الذى يبعنه فى مدينتهن ، إن أكله مع التمر بارد ولذيذ ، ويشبه إلى حد ما نبات الحرص ، وقد تذوقته ، غير أننى لم أجد وصفاً له .

23 ــ ص540 وردت فى أعلى هذه الصفحة جملة تقول : " باحتواء هذا النوع من الحصى

علـــى نســـبة من خام الحديد " وبالعودة إلى النص الأصلى وجد أن الكلمة المستعملة تعنى " حجارة stone " p391 vol 2 .

24 ــ ص540 ورد فى منتصف هذه الصفحة :

" ومـــع أننى لاأستطيع تناول اللحم ، كما لم أعد أطيق أكل الكسكسى الذى بدأت أفضل عليه البازين " .

But can't get meat. Had a good drink of camel's milk this morning. Tired of coscasou, and now like bazeen better. Pp391-2 vol 2 .

ولكننى لم أستطع الحصول على اللحم ، شربت كمية من حليب الإبل هذا الصباح ... الخ .

25 ــ ص551 لاتشتمل هذه الصفحة على الوصف الذى ذكره الرحالة للجناح الذى يقيم فيه قاضى سوكنة ، وموقع القلعة بالنسبة للمدينة ، يقول الرحالة :

" يحتل جناح القاضى جزءاً من القلعة ، وإن الممرات المؤدية إليه عبارة عن كتل من مواد البناء المنهارة ، ويراودك الخوف من جدران أو سقوف الغرف المتداعية فوق رأسك .. بنيت قلعة سوكنه منفصلة عن المدينة مثلها فى ذلك مثل قلعة مرزق ، ص409 ج2 " .

26 ــ ص552 وردت فى هذه الصفحة الجملة التالية :

" كان هذا كافياً بالنسبة لنا لأننا أول المسافرين فى إفريقيا " .

مـــن الواضـــح أن هناك نقصاً فى الترجمة ، لأنهم لم يكونوا أول المسافرين الأوروبيين فى إفريقيا ، وبالعودة إلى النص اتضح أن كلمة " الانجليز " هى الكلمة المفقودة ، وتبعاً لذلك تكو ن الجملة بالشكل التالى :

" لأننا أول المسافرين الانجليز فى إفريقيا ص414 ج2 " .

27 ــ ص553 ورد فى هذه الصفحة اسم شجرة على النحو التالى :

" أشجار الجرود sharuod " وبالعودة إلى النص الأصلى اتضح أن اسم الشجرة كالتالى :

Observed the tree calledgharod, or gharoth, or gurd it bears a seed-pod which is used in tanning leather from its great astringency.. also employed medicinally. P417. vol 2 .

ومـــن خلال المعلومات الواردة فى النص يتضح أن الشجرة المقصودة هى شجرة " القرظ " وهى معروفة فى واحة سوكنة وبعض الواحات والمناطق الأخرى من الجماهيرية باستعمالها فى الدباغة وبخصائصها الطبية .

أمـــا الأخطاء المطبعية فهى كثيرة وتبلغ نحو 300 خطأ مطبعى ، وربما أكثر ، ويبدو أنها نتجـــت أساساً عن عدم قيام المترجم بمراجعة الطبعة التجريبية للكتاب مما ترتب عليه ظهور هذا العدد الكبير من الأخطاء .

وأخـــيراً لابـــد أن أشكر مع التقدير د . ميلاد أ . المقرحى لما أسداه لى من ملاحظات قيمة حـــول هـــذه المـــراجعة وموضـــوعها ، وأيضاً إلى د . عبدالله محمد الزيات الذى قرأ هذه المـــراجعة وراجعها لغوياً ، وأحمد فوزى المانع ، ووالده محمد على المانع لما تفضلا به من معلومات مهمة حول بلدة غدامس والمنطقة المتاخمة لها ، و د . محمد أبوبكر حسن الذى قام بمراجعة الفقرات المترجمة .

التغيرات البيئية " جغرافية الزمن الرابع "

Environmankal Change . Contemporory Problems in Gcograply

تأليف : أندرو . س . جودى – Androw Eoudie

ترجمة أ. د . محمود محمد عاشور أستاذ الجغرافيا الطبيعية ـ جامعة عين شمس . " المجلس الأعلى للثقافة – المشروع القومى للترجمة – القاهرة 1996 "

عرض وتحليل : د . محمد عبدالله لامه *

يعد هذا الكتاب مرجعاً هاماً فى كثير من الأمور التى تتعلق بجغرافية الزمن الرابع ، لأسباب كثيرة يأتى فى مقدمتها سهولة الأسلوب ورشاقة العرض ، وهذا ما يتميز به مؤلفه آندرو جودى الذى يشغل حالياً رئيس قسم الجغرافيا بجامعة اكسفورد بانجلترا ، ثم غزارة المعلومات والمعالجات التى يحويها الكتاب ويعرضها بأمانة واضحة ، كما يحوى عدداً كبيراً من الرسوم التوضيحية التى تعين القارىء على تفهم الكثير من الآراء وهى فى نفس الوقت تعتبر جزءاً أساسياً من الكتاب ، واتبع المؤلف أسلوباً مفيداً جداً فى ذكر المراجع حيث عرضها فى أسلوب توضيحى نقدى لمحتواها ، ولم يكتف بذكر عناوينها فقط كما هو متبع فى معظم الكتب (العلمية ، بل فوق كل هذا وذاك فقد عرض لموضوعات كثر حولها الجدل فى السنوات الأخيرة وخلت منها مكتبتنا العربية بل مناهجنا الدراسية وموضوعاتنا البحثية..

وإحساسا بأهمية موضوعات الكتاب فقد قام الأستاذ الدكتور محمود محمد عاشور مشكوراً بترجمة هذا الكتاب ووضعه بين يدى القارىء والدارس العربى ليكون مرجعاً فى موضوعه فقط ، ولكن ليكون أيضا أحد المفاتيح التى توجه القارىء إلى مكتبة حديثة متخصصة فى هذا المجال ، وإلى طرق بحث حديثة ، وقد صدرت أول طبعة لهذا الكتاب عام 1977 (Clasendon Press, Oxford).

وأتفق مع وجهة نظر المترجم أن يصبح كتاب جغرافية الزمن الرابع أحد المقررات التى تدرس بأقسام الجغرافيا والجيولوجيا فى الجامعات العربية حتى نستطيع إعداد دارسين لهم المقدرة على فهم هذه الموضوعات ومن ثم التعامل مع البيئة ، علماً بأن هذا المقرر لن

---

* أستاذ مشارك بقسم الجغرافيا / كلية الآداب / جامعة قاريونس ، بنغازى – ليبيا .

يكـــون بديـــلاً لموضـــوع الجغرافـــيا التاريخية أو الجيولوجيا التاريخية أو علوم البيئة أو موضوع العصور الجيولوجية ، فالفارق كبير بينه وبينها جميعاً ، وفى نفس الوقت لابد أن نشجع البحوث فى هذا المجال خاصة أن منطقتنا وصحارينا العربية تقدم نفسها كمجال بحث خصب يندر أن نجد مثله فى مناطق أخرى من العالم .

يـــتكون الكتاب المترجم من سبعة فصول تناول الفصل الأول عدداً من الموضوعات مـــنها التغير البيئى أثناء البليستوسين من حيث حجمه وأهميته وكذلك وسائل الدراسة من تقليدية وحديثة وأهمها وسائل التاريخ .

وفـــى الفصـــل الثانى : عرض للتتابع وطبيعة البليستوسين وقد ناقش المؤلف هنا موضـــوعات فى غاية الأهمية ، وهو طول البليستوسين أو كما يسميه بعض العلماء باسم عصر الانسان أو الأنثربوجين الذى تختلف في تاريخه الآراء بين مليون سنة وثلاثة ملايين ســـنة ، ويـــرجح المؤلف أن ما يسمى بالبليستوسين المطول (3 مليون سنة) وذلك على أساس بقايا الإنسان التى وجدت فى شرق أفريقيا وقدر عمرها بحوالى 2.7 مليون سنة .

وفـــى الفصـــل الثالث : يناقش المؤلف موضوعاً هاماً وهو أحداث البليستوسين فى المـــناطق المدارية وشبه المدارية وذلك من خلال عرض للكثبان الرملية الجغرافية وفترات المطـــر فـــى هذه المناطق ، ويعرض لقضية هامة وهى التعاصر بين الفترات الجليدية فى العروض الشمالية وما يقابلها فى المناطق المدارية وشبه المدارية ، ويسوق المؤلف عدداً مـــن الأدلـــة النظرية والملموسة على عدم صحة النموذج الكلاسيكى الذى شاع بعد الحرب العالمية الثانية والذى يحيط بين الفترات الجليدية والفترات المطيرة وفترات الدفء وفترات الجفـــاف ، وقد أثبتت الدراسات التفصيلية فى كثير من المناطق المدارية وشبه المدارية فى كـــل مـــن آسيا وأفريقيا عدم التعاصر بين الفترات الجليدية فى العروض الشمالية وفترات المطر فى العروض المدارية ..

وفـــى الفصـــل الـــرابع : يعـــالج المؤلـــف التغـــير البيئى فيما بعد الجليد أى خلال الهولوســـين (الحديـــث) وهى فترة العشرة آلاف سنة الأخيرة ، ويعرض الكتاب هنا لعدة موضوعات تتعلق بالظروف المناخية والبيئية خلال الهولوسين والانتقال من الفترة الجليدية الأخـــيرة (مرحلة فيرم) إلى الهولوسين والانقراض الحيوانى الكبير الذى حدث فى الفترة وأســـبابه ، ويـــناقش الظـــروف المناخية خلال الهولوسين وأثر ذلك على الحيوان والنبات والإنسان ..

وفـــى الفصل الخامس : يقترب من وقتنا الحالى بدراسة عن الفترة التى استخدمت فيها أجهزة الرصد الجوى أى منذ الثورة الصناعية ، فلم تعد الاستنتاجات والتحليلات مبنية على دراسة أشكال سطح الأرض والرواسب بقدر ما هى قائمة على قراءات وسجلات سواء أكـــان ذلـــك فيما يتعلق بالمطر أم بدرجة الحرارة وكذلك مستوى سطح البحيرات وتصريف الأنهار وتذبذب الجليد ثم التغيرات الحيوانية والنباتية ويختتم الفصل بدراسة الدور المزدوج لكل من التغيرات المناخية والإنسان ..

وفـــى الفصـــل الســـادس : يعرض لنا الكتاب موضوعاً مثيراً كثر الجدل حوله فى الســـنوات الأخـــيرة وذلـــك لعلاقته المباشرة بالنشاط البشرى فى المناطق الساحلية ، وهو موضـــوع تذبـــذب مستوى سطح البحر فى الزمن الرابع والعوامل التى أدت إلى ذلك سواء أكانت عالمية أم محلية والتى يأتى فى مقدمتها أثر الجليد عندما يتراكم على أسطح القارات أثناء الفترات الجليدية مما يؤدى إلى انخفاض مستوى سطح البحر ، ولكن لا ننسى أن هذا الجلـــيد يشكل حملاً على اليابس . ثم هناك عملية الإفراغ حيث تفرغ بعض البحار الداخلية مـــياهها فـــى المحـــيط .. الخ .. وغير ذلك من عوامل متشابكة لا يمكن فصل بعضها عن البعض الآخر .

وفـــى الفصـــل السابع : يعالج أسباب التغير المناخى والباعث الرئيسى على التغير البيئى ، ويعرض هنا لمجموعة من الأسباب التى تقوم كلها على أسس نظرية وفرضية فى المقام الأول ، ومن هذه الأسباب : كمية الاشعاع الشمسى ونوعه على مر العصور ومرجع ذلـــك إلى عدد من الأسباب ثم اختلاف المغناطيسية الأرضية وتغير المركز الهندسى للأرض وغيره من العوامل ..

وقـــد بـــذل المـــترجم جهداً كبيراً فى ترجمة هذا الكتاب ، وقد كان موفقاً فى مسعاه وتحقـــيق هدفه فى نقل هذه المعلومات للقارىء العربى ليكون حافزاً للدارسين العرب على ارتياد هذا المجال ..

إصدارات جديدة

- إسماعيل أحمد ياغى ، تاريخ شرق آسيا الحديث (الرياض : مكتبة العبيكان 1994)
- أنجيلو ديل بوكا ، الإيطاليون في ليبيا جـ2 ترجمة محمود على التائب ومراجعة عمر محمد البارونى (طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،ز199)
- إريـك هو بسباوم ، الأمم والنزعة القومية ترجمة عدنان حسن مراجعة وتحرير مجيد الراضى (دمشق : دار المدى للثقافة والنشر ، 1999) .
- جلال يحيى ، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر (الاسكندرية : المكتب الجامعى الحديث ، 1999) .
- جورج بنوا ، تاريخ جهنّم ، تعريب أنطوان أ . الهاشم (بيروت : منشورات عويدات ، 1996) .
- جون توش ، المنهج في دراسة التاريخ : إتجاهات ومنهجيات وأهداف جديدة في دراسة التاريخ الحديث ، ترجمة ميلاد أ . المقرحى (بنغازي : منشورات جامعة قاريونس ، 1994) .
- صـموئيل هنتنغتون ، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي ، نقلة إلى العربية مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف (مصراتة : الدار الجماهيرية للنشر . 1999) .
- عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم ، محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث : عصر النهضة (فاليتا : منشورات ELGA ، 1999) .
- ـــــــــــــــ ، محاضرات في تاريخ أوروبا بين النهضة والثورة الفرنسية (فاليتا : منشورات ELGA ، 1997) .
- عصام الدين عبدالرؤوف الفقى ، بلاد الهند في العصر الاسلامي (القاهرة : دار الفكر العربى ، 1996) .
- عقـيل حسـين عقـيل ، سـيادة البشر : دراسة في تطور الفكر الاجتماعي (فاليتا : منشورات ELGA ، 1996) .
- عقـيل محمد البربار ، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث (فاليتا : منشورات ELGA ، 1996) .

- محمد عبدالله لامه ، سهل بنغازي ، دراسة في الجغرافيا الطبيعية (طرابلس : المركز القومى للبحوث والدراسات العلمية ، 1999) .
- محمـــد خريسات وآخرون ، تاريخ الحاضرة الانسانية (اربد – الأردن : دار الكندى للنشر والتوزيع ، 1999) .
- محمود السيد ، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها (الاسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، 1999) .
- ميلاد أ . المقرحى ، موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر (فاليتا : منشورات ELGA ، 1999) .
- ـــــــــــــــــ ، موجـــز تـــاريخ أوروبـــا الحديث والمعاصر (بنغازي : منشورات جامعة قاريونس ، 1998) .
- ـــــــــــــــــ ، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر جـــ1 : شرق آسيا : الصين ، اليابان ، كوريا بنغازى : منشورات جامعة قاريونس ، 1997) .
- ـــــــــــــــــ ، تـــاريخ أوروبـــا الحديـــث 1453 – 1848 (بنغازى : منشورات جامعة قاريونس ، 1996) .
- نبـــيلة حســـن محمد ، في تاريخ الدولة العباسية (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1999) .
- الهادى المبروك الدالـــى ، التاريخ السياسي والاقتصادى لإفريقيا فيما وراء الصحراء (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 1999) .

كشاف للبحوث والمقالات والدراسات التى نشرت بمجلة كلية الآداب (ق قاريونس) من العدد 1 إلى العدد 20

إعداد : صالح احميدة حويل *

يحتوى هذا الكشاف على البحوث والمقالات والدراسات التى نشرت بمجلة كلية الآداب بجامعة قاريونس من العدد الأول الذى صدر سنة 1958 إلى العدد العشرين الذى صدر سنة 1996 ، مع ملاحظة أن العددين السابع عشر والثامن عشر قد صدرا فى مجلد واحد ، وكذلك العددان التاسع عشر والعشرون ..

دلالات الأرقام فى كشاف العناوين :

الرقم الأول يدل على رقم العدد

الرقم الثانى الذى وضع بين هلالينين يدل على بداية البحث أو المقال أو الدراسة ونهايته .

دلالات الأرقام فى كشاف المؤلفين :

يدل الرقم على تسلسل البحث أو المقال أو الدراسة فى كشاف العناوين ..

* عضو هيئة التدريس بقسم المكتبات والمعلومات ، كلية الآداب ، جامعة قاريونس ، بنغازي ..

(أ)

1. الآثار الاجتماعية لتدهور الجانب النفسى فى المجتمعات الغربية ، د. عمران سالم احتيوش . 14 ، (33 – 39)
2. آراء فى تفسير طبيعة الأصالة عند الفنانين والعلماء . د . نورى جعفر 2 ، (193 – 233) .
3. الآمدى وكتابة الموازنة . د . طه الحاجرى . 1 ، (17 – 65) .
4. إبن الإجدابى . د . عبدالعزيز هام . 3 ، (145 – 182) .
5. إبن خلدون وعلم الاجتماع . د . عبد القادر عرابى . 10 ، (151 – 216) .
6. أبو محنف الأزدى بين الرواية والكتابة . د . رشيد الجميلى 10 ، (27 – 61) .
7. الاتجاهات النفسية . د . أمل على المخزومى . 12 ، (9 – 14) ..
8. اتجاهات كمية الجريمة فى ليبيا . د . مصطفى عمر التير . 5 ، (141 – 162) .
9. أثر التقليد فى ضعف حركة إحياء التراث الدينى ، د . محمد حسنين . 10 ، (115 – 150) ..
10. أحمد بن طوير الجنة ورحلته عبر ليبيا ، د . محمد فرج دغيم ، 18/17 ، (17 – 33) ..
11. أحمد رفيق المهدوى : شاعر الوطنية والإنسان والحب . د . عبدالقادر أحمد رمضان . 9 ، (149 – 249) ..
12. الأدهوكية : أى جرم يرتكبه العلماء عندما يجؤون إليها ؟ د . نجيب الحصادى . 15 ، (95 – 106) ..
13. أساليب الاتصال . د . عبدالسلام مختار الزليتنى . 16 ، (51 – 70)
14. استحسان الشعر واستقباحه عند الهمذانى فى شرح القصيدة الدامغة .. د . هادى عطية مطر الهلالى . 20/19 ، (147 – 170) ..
15. أسس الإعلام فى النظام الجماهيري . د . على المنتصر فرفر . 11 ، (407 – 445) ..
16. الأصول المنهجية فى جغرافية الوحدات السياسية : تحليل فى تطور الفكر الجيوبوليتكى ، د . محمد عبدالله نجم . 15 ، (9 – 34) ..

17. أغلوطة فى المقدمة . د . رشيد الجميلى . 9 ، (23 – 30) ..
18. الأنثروبولوجيا الحديثة والمدرسة الدوركايمية ، د . صالح على الزين . 15 ، (69 – 76) ..
19. الإنسان والطبيب والمترجم : حنين بن اسحاق العبادى ، د . رشيد الجميلى . 11 ، (69 – 101) ..
20. الأهداف التربوية : نقطة البداية فى العملية التربوية ، د . أنور طاهر رضا 12 ، (77 – 112) ..
21. الأهداف التى ينبغى أن تسعى التربية إلى تحقيقها فى ليبيا ، د . عمر التومى الشيبانى . 4 ، (205 – 228) ..

(ب)

22. البترول العربى وتجارته . د . فهمى هلالى أبو العطا . 4 ، (243 – 299) ..
23. بعض جوانب التجديد فى الفكرى الإسلامى . د . أحمد محمود صبحى 5 ، (51 – 80) ..
24. البناء على الشاهد الأبتر . سعيد الأفغانى . 7 ، (217 – 231) ..
25. بين أصول التحديث وأصول التأريخ : دراسة مقارنة فى المناهج . د . أحمد محمود صبحى 4 ، (9 – 50) ..
26. بين السمع والبصر فى القرآن الكريم ، على النجدى ناصف ، 8 ، (131 – 142)

(ت)

27. التأثير المتبادل بين اللغة ووسائل الاتصال . اللافى ادريس عبدالقادر . 16 ، (71 – 80) ..
28. التاريخ الكمى وكتابة التاريخ عند العرب . د . شارل بيلات . 5 ، (163 – 173)
29. تجارب التاريخ الوحدوية : دراسة تاريخية تحليلية مقارنة لثلاث تجارب وحدوية : الولايات المتحدة الأمريكية ، إيطاليا ، ألمانيا ، د . ميلاد المقرحى . 13 ، (73 – 92) ..
30. التحضر فى الوطن العربى : دراسة جغرافية . د . حمد المبروك المهدوى . 12 ، (195 – 213) ..

31. التحليل الاجتماعى لظاهرة العمل . د. السيد محمد بدوى . 5 ، (109 – 140) ..
32. التحليل النفسى : فن ومبادىء العلاج . د. رجب أبو دبوس . 12 ، (59 – 75) ..
33. التخلف الاجتماعى والاقتصادى فى بلدان العالم الثالث : جوهره ومسبباته . د. صبحى محمد قنوص . 16 ، (33 – 51) ..
34. الترجمة الأدبية . د. علاء الدين أحمد حسين . 20/19 ، (125 – 145) ..
35. التركيب العمرى والنوعى للسكان الليبيين 1954 – 1973 . د. فتحى عبدالله فياض . 11 ، (381 – 405) ..
36. تطور مورفولوجية مدينة مصراتة فى عهد الثورة . د. فوزى عبدالمجيد الأسدى . 9 ، (251 – 325) ..
37. تعليم الرياضيات على مشارف القرن الحادى والعشرين : بعض المعوقات وإمكانات تجاوزها . د. أحمد خالد محمد بخيت . 20/19 ، (43 – 75) ..
38. التغير الاجتماعى نظرياً وتطبيقياً . د. عبدالقادر عرابى . د. عبدالله الهمالى أ – فى مفهوم التغير ومناهجه . 11 ، (287 – 304) .. ب – دراسة تحليلية لمفهوم التغير ونظرياته ومناهجه ومقارنتها بمناهج التغير السائدة فى الوطن العربى . 11 6 (305 – 337) .. جـ ــ مظاهر التحديث فى المجتمع العربى الليبى المعاصر : دراسة ميدانية . 11 ، (341 – 379) ..
39. تقييـــم النظرية العلمية اللسانية . د. علاء الدين أحمد حسين ، 18/17 ، (67 – 74) ..
40. التلوث البيئى وتأثيراته المختلفة على المدن . د. فتحى أحمد الهرام . 20/19 ، (77–124) ..
41. التنمية الاقتصادية والاجتماعية وأثرهما فى عمليتى النمو والتركيب السكانى فى منطقة الجبل الأخضر ، ليبيا . د. صبحى محمد قنوص . 15 ، (35 – 68) ..
42. توكيد بدس . د. ابراهيم نصحى . 2 ، (9 – 64) ..

(ث)

43. الثقافة الليبية والترجمة والنشر . أ . عثمان الكعاك . 2 ، (165 – 191) ..
44. الثنائية فى اللغة . د. محمد مصطفى رضوان . 4 ، (301 – 327) ..

(ج)

45. الجاحظ فى كتاب البخلاء . شفيق جبرى . 7 ، (385 – 392) ..

46. الجغرافيا البحرية بين النشأة والتطور . د. الهادى مصطفى أبو لقمة . 13 ، (93 – 114) ..

47. الجهمية والمحدثون . د. محمد طاهر ملك . 8 ، (143 – 168) ..

(ح)

48. الحاجة والحرية . د. رجب بو دبوس . 9 ، (13 – 21) ..

49. الحدود البحرية . د. فتحى عبدالله فياض . 12 ، (165 – 194) ..

50. الحرب التركية الروسية 1877 – 1878 : دراسة تحليلية وثائقية . د. محمد محمود السروجى . 4 ، (83 – 156) ..

51. حفريات قسم الآثار : اكتشافات جديدة لمقابر من العصر الرومانى فى منطقة سيدى حسين – بنغازي . د. أحمد حسن غزال . 6 ، (9 – 74) ..

52. الحياة العقلية عند الانسان : جانبها الفسلجى ومستلزماتها الاجتماعية . د. نورى جعفر . 3 ، (183 – 206) ..

(خ)

53. خريجو الجامعة الليبية . شعيب المنصورى . 4 ، (157 – 204) ..

(د)

54. الدبلوماسية البريطانية والعدوان الايطالى على ليبيا 1911 – 1912 . د. هاشم التكريتى . 4 ، (51 – 81) ..

55. دراسة التاريخ عند ارنولد توينبى . د. اسحق عبيد . 7 ، (353 – 383) ..

56. دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال المندثر والسبيل الحالى للسلطان قاتيباى " بالحرم الشريف " بالقدس . د. محمد مصطفى نجيب . 11 ، (171 _ 283) ..

57. دراسة فى فن النحت الإغريقى فى العصر المبكر (660 – 480 ق . م) د. أحمد غزال . 5 ، (175 – 240) ..

58. دراسة نحوية : عرض وتحليل لقضية الإعراب وما دار حولها من جدال فى القديم والحديث . يوسف حسين بادى . 13 ، (161 – 171) ..

59. دراسة نص لأبى الحسن العامرى : تولد الاختلافات فى باب الديانات ، أو البواعث النفسية الفردية للخروج عن الايديولوجية . د. عبدالمعطى سويد . 11 ، (447 – 459) ..

60. دراسة الأشكال الهندسية والنباتية فى الزخرفة الإسلامية : دراسة تحليلية فنية على الشكل النجمى . د. فاروق أحمد شعبان . 13 ، (115 – 146) ..

61. دعوى الحسبة فى المسائل الجنائية فى الشريعة الإسلامية . د. أحمد الحجى ا لكردى . 5 ، (9 – 49) ..

62. دور الموارد البشرية فى استثمار الثروة المعدنية فى منطقة المغرب العربى . د. احسان محمد الحسن . 13 ، (49 – 72) ..

63. الدين والعقل . د. رجب بو دبوس . 11 ، (11 – 22) ..

(ر)

64. رأى حول : اقتصاديات التعليم والتخطيط التربوى . تقديم وتعريب . د. على الساعدى . 16 ، (101 – 112) ..

65. الرياضيات الكلية عند ليبنتز . د. جعفر الشكرجى . 11 ، (103 – 120) ..

(س)

66. السلطان محمد الفاتح وبداية عهد جديد فى الدولة العثمانية . د. سيد رضوان على . 7 ، (147 – 216) ..

67. السوسيولوجيا وأزمة المجتمع العربى . د. عبدالقادر عرابى . 9 ، (89 – 148).

68. سوسيولوجية الأسرة ومضامينها فى الكتاب الأخضر . د. صالح على الزين . 13 ، (15 – 26) ..

69. سيرة السنوسى الكبير : نقد المصادر وضرورة إنشاء مجموعة لحفظ تراث الأستاذ الإمام السنوسى . د. محمد عبدالهادى شعيره . 1 ، (189 – 217) ..

(ش)

70. شاهد عيان يسد فراغاً فى التاريخ . محمد جميل بيهم . 7 ، (427 – 441) ..

71. الشيخ أحمد زروق : دفين مصراتة . أ . عبدالله كنون 2 ، (129 – 163) ..

(ص)

72. صراع المذاهب فى تاريخ الاسلام . د. رجب بو دبوس 10 ، (65 – 114) ..

(ض)

73. ضرورة الاستفادة من مخطوطة جامعة قاريونس فى طبعة جديد لأمالى القالى . د. السيد محمد يوسف . 8 ، (65 – 129) ..

(ط)

74. الطبيعة المزدوجة للصحافة الرأسمالية . د. لطفى ناصف . 13 ، (27 – 48) ..

(ع)

75. العالم الثالث والتنمية . د. هشام سعيد الحلاق . 12 ، (25 – 45) ..

76. العطاءات الفكرية والاقتصادية عند ابن خلدون . د. حامد شعلان . 12 ، (47 – 58) ..

77. علاقة المؤلف بالناشر . د. ابراهيم احمد المهدوى . 20/19 ، (273 – 285) ..

78. العلم والتقنية فى خدمة الانسان والمجتمع . د. هشام سعيد الحلاق . 10 ، (13 – 23) ..

79. العمل فيما له روايتان من الشواهد اللغوية . سعيد الأفغانى . 8 ، (11 – 25) ..

80. عــن إيجاز الحذف فى القرآن الكريم . د. محمد أحمد الحوفى . 7 ، (325 – 352) ..

(غ)

81. الغزالى : مشكلة وحل ، أو ، منهج لفهم الغزالى . د. حسام محى الدين الألوسى . 4 ، (351 – 418) ..

82. غياب طلبة كلية التربية فى جامعة البصرة . د. أنور طاهر رضا . 13 ، (147 – 159) ..

(ف)

83. فترة حاسمة من تاريخ المغرب : موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين فى إفريقيا ونقلتهم إلى مصر . د. سعد زغلول عبدالحميد . 1 ، (219 – 258) ..

84. فـــزان ودورها فى انتشار الإسلام فى إفريقيا . د. حسين مؤنس . 3 ، (69 – 119) ..

85. فكرة السببية بين علم التفسير والفيزياء . د. حسن عثمان ذهب . 10 ، (217 – 228) ..

86. الفلسفـــة القورنيائية فى المصادر العربية . د. عبدالرحمن بدوى . 2 ، (89 – 128) ..

(ق)

87. قرار قورينى الثالث . د. مصطفى كمال عبدالعليم . 6 ، (129 – 149) ..

88. قضية فرض الحدود الدولية والنزاع العربى الاسرائيلى . د. فوزى عبدالمجيد الأسدى . 6 ن (153 – 186) ..

89. القوى المتصارعة فى المغرب خلال القرن الثانى الهجرى ودور ليبيا فيه (1) . د. مراجع الغناى . 5 ، (81 – 107) ..

90. القوى المتصارعة فى المغرب خلال القرن الثانى الهجرى ودور ليباي فيه (2) . د . مراجع الغناى . 6 ، (101 – 127) ..

91. القيمة الجمالية للطبيعة . د. جعفر الشكرجى . 15 ، (77 – 93) ..

(ك)

92. كاليماخوس القورينى . د. ابراهيم نصحى . 3 ، (9 – 67) ..

93. كتـــاب الأخبار الطوال للدينورى ومحققه فى الميزان . د. سيد رضوان على . 5 ، (241 – 263) ..

(ل)

94. اللغة والمجتمع : رأى ومنهج . د. محمود السعران . 1 ، (67 – 187) ..

95. ليبيا : الاسم ومدلولاته التاريخية . د. محمد عبدالهادى شعيره . 1 ، (1 – 16) .

96. ليبيا فى مؤلفات أرسطو . د. عبدالرحمن بدوى . 3 ، (121 – 143) ..

(م)

97. المخطوطـــات المصورة بدير سيناء " أيوب " . د. سامى شنوده . 7 ، (399 – 425) ..

98. مدن الواحات فى الصحراء الكبرى : دراسة لنمط من أنماط النمو الحضرى فى المناطق الجافة . د. حسان عوض . 2 ، (65 – 97) ..

99. مدينـــة بنغـــازي وقسم تخطيط المدن . د. الهادى أبو لقمة . 11 ، (141 – 169) ..

100. المذهب التاريخى عند مانهايم . د. جعفر الشكرجى . 12 ، (135 – 152) ..

101. المرأة والتنمية فى ليبيا : دراسة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وأثر ذلك على وضع ودور المرأة . د. زينب محمد زهرى . 14 ، (41 – 89) ..

102. المرأة والمشاركة السياسية . د. عبدالله عامر الهمالى ، د. عبدالقادر عرابى . 14 ، (91 – 153) ..

103. مشكلة الأمطار فى ليبيا . د عبدالعزيز طريح شرف . 1 ، (295 – 320) ...

104. المضامين الحضارية والبيئية القديمة للصحراء الليبية من خلال لوحات الفن الصخرى . د. ابراهيم موسى محمد . 20/19 ، (171 – 234) ..

105. معاوية فى الأساطير . سعيد الأفغانى . 6 ، (75 – 99) ..

106. المعرفة بين العقل والنقل . د. محمد بالروين . 11 ، (123 – 139) ..

107. المعلومـــات والتنمية الشاملة . د. ابراهيـــم أحمد المهدوى . 18/17 ، (35 – 56) ..

108. مفارقات الإشارة الذاتية . د. نجيب الحصادى 16 ، (81 – 90) ..

109. مفهوم المعجـــزة : أى ما صدق ينتمى إليه . د. نجيب المحجوب الحصادى . 14 ، (9 – 23) ..

110. مفهوم الوظيفة لدى (رادكلف براون وما لينوسكى) وأهمية هذا المفهوم فى ميدان الانثروبولوجيا " علم الانسان " . د. صالح على الزين . 12 ، (153 – 164) ..

111. مقومات تخطيط المدينة العربية والمعايير والقيم القياسية اللازمة لها . د. الهادى أبو لقمة . 4 ، (229 – 242) ..

112. ملاحظات حول التأثيرات الليبية فى مقابر سهل مسارا . د. أحمد حسن غزال . 7 ، (289 – 321) ..

113. ملاحظات حول الحركات القومية فى آسيا وإفريقيا . د. ميلاد أبو سلامة المقرحى . 12 ، (15 – 23) ..

114. ملاحظات حول الحركة القومية الكردية . د. ميلاد المقرحى . 14 ، (25 – 32) .
115. مناخ أقليم المرج . د. سعد قسطندى ملطى . 7 ، (233 – 282) ..
116. مناهج البحث فى استنباط الأحكام . د. عبدالسلام محمد الشريف . 16 ، (91 – 99) ..
117. منخفض الكفرة : دراسة اقتصادية . د. محمد ابراهيم حسن . 4 ، (419 – 447)
118. منهجية علم الانسان الاجتماعى . د. صبحى قنوص . 9 ، (33 – 64) ..
119. المهـــارات الاجتماعية : اضطرابها وعلاجها . د. رضوى محمد على السيد . 12 ، (113 – 134) ..
120. الموازنة بين ابن خلدون واوجيست كونت . د. زيدان عبد الباقى . 11 ، (23 – 67) ..
121. المؤتمر الثانى لكلية الآداب – جامعة قاريونس : المؤتمر الجغرافى الأول – جغرافية ليبيا . د. جودة حسنين جودة . 7 ، (5 – 145) ..
122. المؤرخ والحكم الأخلاقى . د. جعفر الشكرجى . 20/19 ، (11 – 42) ..

(ن)

123. الناحية الوجدانية فى حياة الانسان : أصولها الفسلجية ومقوماتها الاجتماعية . د. نورى جعفر . 4 ، (329 – 349) ..
124. نظام العاقلة فى الإسلام . د. عبدالسلام محمد الشريف . 18/17 ، (57 – 65) .
125. نظرات فى المدينة العربية الإسلامية خلال العهدين الأموى والعباسى . د. سليم عبدالحق . 8 ، 0 27 – 62) ..
126. النظرية العنصرية : نقد وتحليل . د. أحمد الخشاب . 1 ، (259 – 293) ..
127. نظريـــة فـــن القول عنـــد جازم القرطاجنى . د. محمد المهدى الغزالى . 20/19 ، (287 – 305) ..
128. نقوش رومانية من توخيرا . خالد محمد الهدار . 20/19 ، (235 – 271) ..
129. نمو السكان فى مصراتة . د. منصور الكيخيا . 9 ، (67 – 86) ..

(و)

130. الوحى هو المصدر الحقيقى للقرآن الكريم . عمر سالم عمر البيبى . 14 ، (155 – 182) ..

131. الوطنية فى الأدب المصرى (الفرعونى) القديم . د. أحمد عبدالحميد يوسف . 6 ، (187 – 220) ..

132. وعد بلفور : دراسة فى الصراع العربى الصهيونى . مصطفى على هويدى . 16 ، (13 – 32) ..

كشاف المؤلفين

(أ)

إبراهيم أحمد المهدوى	77 ، 107
إبراهيم موسى محمد	104
إبراهيم نصحى	42 ، 92
إحسان محمد الحسن	62
أحمد الحجى الكردى	61
أحمد الخشاب	126
أحمد حسن غزال	51 ، 57 ، 112
أحمد خالد محمد بخيت	37
أحمد عبدالحميد يوسف	131
أحمد محمود صبحى	23 ، 25
إسحاق عبيد	55
أمل على المخزومى	7
أنور طاهر رضا	20 ، 82

(جـ)

جعفر الشكرجى	65 ، 91 ، 100 ، 122
جودة حسنين جودة	121

(حـ)

حامد شعلان	76
حسام محى الدين الألوسى	81
حسان عوض	98
حسن عثمان ذهب	85
حسين مؤنس	84

(خ)

خالد محمد الهدار	128

(ر)

رجب أبو دبوس	32 ، 48 ، 63 ، 72
رشيد الجميلى	6 ، 17 ، 19
رضوى محمد على السيد	119

(ز)

زيدان عبد الباقى	120
زينب محمد زهرى	101

(س)

سامى شنودة	97
سعد زغلول عبد الحميد	83
سعد قسطندى ملطى	115

سعيد الأفغانى	24 ، 79 ، 105
سليم عبد الحق	125
سيد رضوان على	66 ، 93
السيد محمد بدوى	31
السيد محمد يوسف	73

(ش)

شارل بيلات	28
شعيب المنصورى	53
شفيق جبرى	45

(ص)

صالح على الزين	18 ، 68 ، 110
صبحى محمد قنوص	33 ، 41 ، 118

(ط)

طه الحاجرى	3

(ع)

عبد الرحمن بدوى	86 ، 96
عبدالسلام محمد الشريف	116 ، 124
عبدالسلام مختار الزليتنى	13
عبدالعزيز برهام	4

عبدالعزيز طريح شرف	103
عبدالقادر أحمد رمضان	11
عبدالقادر عرابى	5 ، 67 ، 38 ، 102
عبدالله عامر الهمالى	38 ، 102
عبدالله كنون	71
عبدالمعطى سويد	59
عثمان الكعّاك	43
علاء الدين أحمد حسين	34 ، 39
على الساعدى (تقديم وتعريب)	64
على المنتصر فرفر	15
على النجدى ناصف	26
عمر التومى الشيبانى	21
عمر سالم عمر البيبى	130
عمران سالم احتيوش	1

(ف)

فاروق أحمد شعبان	60
فتحى أحمد الهرّام	40
فتحى عبدالله فياض	35 ، 49
فهمى هلالى أبو العطا	22
فوزى عبدالمجيد الأسدى	36، 88

(ل)

اللافى إدريس عبدالقادر	27
لطفى ناصف	74

(م)

محمد إبراهيم حسن	117
محمد أحمد الحوفى	80
محمد المبروك المهدوى	30
محمد المهدى الغزالى	127
محمد بالروين	106
محمد جميل بيهم	70
محمد حسنين	9
محمد طاهر ملك	47
محمد عبدالهادى شعيرة	69 ، 95
محمد فرج دغيم	10
محمد محمود السروجى	50
محمد مصطفى رضوان	44
محمد مصطفى نجيب	56
محمود السعران	94
محمود عبدالله نجم	16
مراجع الغناى	89 ، 90
مصطفى على هويدى	132
مصطفى عمر التير	8

مصطفى كمال عبدالعليم	87
منصور الكيخيا	129
ميلاد أبو سلامة المقرحى	29 ، 113 ، 114

(ن)

نورى جعفر	2 ، 52 ، 123
نجيب المحجوب الحصادى	12 ، 108 ، 109

(هـ)

هادى عطية مطر الهلالى	14
الهادى مصطفى أبو لقمة	46 ، 99 ، 111
هاشم التكريتى	54
هشام سعيد الحلاق	75 ، 78

(ى)

يوسف حسين بادى	58

كشاف البحوث والمقالات والدراسات التي نشرت باللغة الانجليزية

Titles

"A"

1- The American civil war and its reflection in literature. Baban, Naman. Vol. 8, P.P 39-90

2- Aurelius prudentius clemens contra symmachum. Ebeid, I.T. vol. 6, P.P 15-30

"B"

3- A Bird's eye view of the diglossic situalion in Arabic. Ageli, Nuri R. vol. 17/18 P.P 69-74.

4- The British policy and the partition of Ireland. El-Mograhi, Milad A. vol. 16, P.P 25-38.

"C"

5- Changes In the industrial geography of libya 1970-1980. EL-Mehdawi, Mohammed. Vol. 13, P.P. 23-35.

"D"

6- Distribution and density of population 1954-1964 in libya. Hartley, R.Y. vol. 3, P.P 79-168.

7- The Dynamics of Terra Rossa soils. Atkinson, Kenneth. Vol. 3, P.P. 15-35.

"E"

8- The Early Aragonese pardina: its etymology and function. Nelson, Lynn H. vol 7,P.P 29-51.

9- English Writers on the Arab world. Baban, Naman. Vol. 4, P.P 23-34.

"F"

10- The form and function of Misratah's Commercial centre. Blake, Gerald H. vol. 2, P.P 9-40

"H"

11- Historical roots of three intellectual movements. Abu Shanab, Robert E. vol. 7, P.P. 9-28.

"I"

12- The Impact of Arab Aid on the African voting behavior regarding Arab issues. Abulgasem, Mustata Abdalla. Vol. 16, P.P. 11-24.

13- Impressions of an English Travelles in Libya. Toynbee, Arnold. Vol. 3, P.P. 9-14

14- Industrial location in Tripoli and Benghazi. El-Mehdawi, Mohamed. Vol. 7, P.P. 111-169.
15- Issues clusters and UN voting behavior : the voting patterns of Afro-Arab states. Abulgasem, Mustata Abdalla. Vol 17/18, P.P. 31-53.

" K "

16- Kufra depression : a study in economic development. Hassan, Mohamed Ibrahim. Vol. 4, P.P 199-201.

" L "

17- Landed property and economic change in Tripolitania. Mc Lachlan, K. vol. 2, P.P. 85-101.
18- Libya and the Arab world, A geographical view. Blake, Gerald H. vol. 4, P.P. 9-22.

" M "

19- Modern evolution of manufacturing in libya. El- Mehdawi, Mohamed. Vol. 8, P.P. 9-38.

" P "

20- Peri enypnion (I sogni) di sinesio di cirene. Casini, cesare. Vol. 4, P.P. 47-94.
21- Profilo biografico di cinesio di cirene. Casini, cesare. Vol. 4, P.P. 95-198.

" R "

22- Recent development in agriculture in Libya with special reference to areas close to Tripoli. Allan, J.K. vol. 3, P.P. 37-77.
23- Recenti studi di storia Musulmana in Italia. Gabrieli, Francesco. Vol. 3, P.P. 71-83.
24- The Russo- Japanese war (1904-1905) its causes and its consequences. El- Magrahi, Milad A. vol 17/18, P.P. 11-30.

" S "

25- Al-Shabbi and Wordsworth : Two romantics. Abu- Baker, Mohammed Hassan. Vol. 16, P.P. 39-53.
26- Shakespear's interest skin colour. Williams, Gwyn. Vol. 1, P.P. 1-14.
27- Sinesio di cirene. Casini, cesare. Vol. 3, P.P. 169-304.
28- Social class and classroom cheating. Attir, Mustata Omer. Vol. 6, P.P. 3-14.
29- Soil analysis and its relation to land use in el-Marj plain, Cyrenaica. Buru, Mukhtar. Vol. 2, P.P. 41-70.
30- Some considerations on foreign language teaching in the faculty of Arts, including uses of the language laboratory and the question of a period of residence abroad. Brewer, E.F. vol. 4, P.P. 35-46.

31- Stages in language aquisition. Abuarrosh, Khadejah Kosarich. Vol. 17/18, P.P. 55-67.

32- A Study in sitologia in Roman Egypt. EL . Mosailamy, Abdalla H.S. vol. 7, P.P. 53-109.

33- Super imposition of international boundaries and the Arab- Israeli conflict – (Summary) . Asadi, Fawzi. Vol. 6, P.P. 31-35.

34- The system in Egypt in the 18th & 19th centuries. EL-Sourougi, Mohamed M. vol. 5, P.P. 9-47.

" W "

35- Western culture in relation to the third world. Newsone, Eric. Vol. 13, P.P. 7-22.

36- What is the role of the modern poet ? Homsley, Bonnie. Vol. 5, P.P. 49-70.

Authors

" A "

Abuarrosh, Khadejah Kosarich	31
Abu- Baker, Mohammed Hassan.	25
Abulgasem, Mustata Abdalla.	12,15
Abu shanab, Robert E.	11
Ageli , Nuri R.	3
Allan, J.K.	22
Asadi, Fawzi.	33
Atkinson, Kenneth.	7
Attir, Mustafa Omar.	28

" B "

Baban, Naman.	1,9
Blake, Gerald H.	10,18
Brewer, E.F.	30

Buru, Mukhtar,	**29**
" C "	
Casini, Cesare.	**20,21,27**
" E "	
Ebeid, I.T.	**2**
" G "	
Gabrieli, Francesco	**23**
" H "	
Hartley, R..Y.	**6**
Hassan, Mohamed Ibrahim	**16**
Homsley, Bonnie	**36**
" M "	
Mc Lachlan, K.	**17**
EL – Magrahi, Milad A.	**4,24**
EL – Mehdawi, Mohammed.	**5,14.19**
EL – Mosallamy, Abdalla H.S.	**32**
" N "	
Nelson, Lynn H.	**8**
Newsone, Eric.	**35**
" S "	
EL – Sourougi, Mohamed M.	**34**
" T "	
Toynbee, Arnold.	**13**
" W "	
Williams, Gwyn.	**26**

الشركة العامة للورق والطباعة – مطابع الثورة / بنغازى